



سِرَاجُ الْمَنَابِرِ
خُطَبُ إِيْمَانِيَّةٍ تُنِيرُ الدُّرُوبَ وَتَغْرِسُ الْيَقِينَ

إِعْدَادُ وَالْقَاءُ:
أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ
أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الزَّائِدِي
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ، عَظَّمَ شَأْنَ الْكَلِمَةِ، وَعَلَّمَ الْبَيَانَ، وَجَعَلَ مِنَ الْكَلِمَاتِ مَا تَحْيَا بِهِ الْقُلُوبُ، وَيَزْدَادُ بِهِ الْإِيمَانُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الْمُنْبَرَ لَهُ مَقَامٌ عَظِيمُ الشَّانِ، وَالْكَلِمَةُ فِيهِ مِيزَانٌ؛ تُقَامُ بِهَا الْحُجَّةُ، وَتُوقَظُ الْقُلُوبُ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَبِهَا تُسْتَنْهَضُ الْهَمَمُ، وَتُعَلَّقُ الْقُلُوبُ بِرَبِّهَا، وَتَذْكُرُ النُّفُوسُ بِعَظَمَةِ خَالِقِهَا.

وبالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ تَحْيَا الْقُلُوبُ، وَتُسْتَقِيمُ الدُّرُوبُ، وَيُبْنَى الْوَعْيُ، وَيُزْرَعُ الْيَقِينُ، وَتَذْكُرُ بِوَاقِعِ الْأُمَّةِ، وَتُسَهِّمُ فِي رَفْعِ الْغُمَّةِ، إِذِ الْمُنْبَرُ سِرَاجٌ هِدَايَةٍ، وَمَعْلَمٌ تَوْجِيهِ، وَمَنَارَةٌ إِصْلَاحٍ.

وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى جَاءَ جَمْعُ هَذِهِ الْخُطَبِ الْمَوْسُومَةِ بِـ «سِرَاجِ الْمَنَابِرِ»، وَعَدَدُهَا سَبْعَةٌ وَسِتُّونَ خُطْبَةً، تَتَوَعَّثُ مَوْضُوعَاتُهَا بَيْنَ تَرْسِيخِ الْإِيمَانِ، وَتَقْوِيمِ السُّلُوكِ، وَإِصْلَاحِ الْقُلُوبِ، وَالتَّذْكِيرِ بِمَا غَفَلَتْ عَنْهُ النُّفُوسُ، وَمُعَالَجَةِ بَعْضِ مَا يَقَعُ فِي الْمَجْتَمَعِ مِنْ أَخْطَاءٍ، مَعَ مُرَاعَاةِ الْإِخْتِصَارِ وَالْإِيْجَازِ؛ لِيَكُونَ نَفْعُهَا أَعْمَ، وَأَثَرُهَا أَبْقَى. وَمَا كَانَ هَذَا الْعَمَلُ ادِّعَاءَ كَمَالٍ، وَلَا تَرْكِيَّةَ نَفْسٍ، وَإِنَّمَا هُوَ بَدَلُ وَسْعٍ، وَأَدَاءُ مَا فَتَحَ اللَّهُ بِهِ، وَمَا تيسَّرَ مِنَ الْبَيَانِ، رَجَاءً أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ عَوْنًا لِلْخُطَبَاءِ، وَنُورًا عَلَى طَرِيقِ الدَّعْوَةِ، وَتَذْكِرَةً لِلْقُلُوبِ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصًا لَوَجْهِهِ، خِدْمَةً لِلْمُنْبَرِ وَأَهْلِهِ، مُبَارَكًا فِي أَثَرِهِ، نَافِعًا لِقَارِيئِهِ وَسَامِعِيهِ، وَدُخْرًا يَوْمَ نَلْقَاهُ، وَأَنْ يَكْتُبَ لَنَا بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ رِضَاهُ، وَأَنْ يَجْعَلَهَا عِنْدَهُ مِنَ الْقُرْبَاتِ، وَالْمُنْجِيَّاتِ، وَالبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ، وَأَنْ يَتَقَبَّلَهَا بِقَبُولِ حَسَنِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.
وَكَتَبَهُ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الزَّايْدِي

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ... نُورُ الْهِدَايَةِ وَمِنْهُجُ الْحَيَاةِ.

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا } [الكهف: ١]، هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَرَحْمَةً وَشِفَاءً، وَنُورٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مِنْ عَبْدِهِ مَنْ يَشَاءُ، هُوَ تَذَكُّرٌ وَعِبْرَةٌ لِمَنْ يَخْشَى، يُوقِظُ الْقُلُوبَ مِنْ غَفْلَتِهَا، وَيُذَكِّي فِيهَا جَذْوَةَ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَعَدَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ أَنْ لَا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } [طه: ١٢٣]، وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ حَقَّ التَّقْوَى، فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ الْهُدَى.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّهُ الْحَيَاةُ الْحَقِيقِيَّةُ لَوْ عَقَلَ النَّاسُ، وَبَغْيَرَهُ فَلَيْسَ ثُمَّ حَيَاةٌ وَإِنْ رَأَاهَا النَّاسُ كَذَلِكَ، وَصَفَ اللَّهُ الْمُعْرِضِينَ عَنْهُ بِالْمَوْتِ وَإِنْ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَيَعْدُونَ وَيَزُوحُونَ، وَبِالْصُّمِّ وَالْعُمَى وَإِنْ كَانُوا يَسْمَعُونَ وَيُبْصِرُونَ { فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِ وَلَا تَسْمَعُ الصُّمِّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ } ٥٢ ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ٥٣ ﴿ [الروم: ٥٢-٥٣]، { أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا } [الأنعام: ١٢٢].

فَلَا حَيَاةَ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ، كَيْفَ وَقَدْ سَمَاهُ اللَّهُ رُوحًا { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الشورى: ٥٢].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كَلِمَةٌ تَكَرَّرَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِتَصَارِيفِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ مَرَّةٍ، إِنَّهَا كَلِمَةُ الْهُدَى؛ لِيَعِيَ الْمُتَدَبِّرُ لِلْقُرْآنِ أَنَّ كِتَابَ رَبِّهِ كِتَابُ هِدَايَةٍ، { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [المائدة: ١٦]، فَأَوَّلُ وَصْفٍ وَصَفَ اللَّهُ كِتَابَهُ الْمُبِينُ { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } [البقرة: ٢]، وَأَوَّلُ وَصْفٍ رَتَّبَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَلَاحَ الْمُؤْمِنِينَ { وَأُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [البقرة: ٥].

وَهُوَ أَوَّلُ وَصْفٍ تَرَتَّبَ عَلَى تَخَلُّفِهِ خَسَارَةُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ { أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتْ بِحُرْمَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } [البقرة: ١٦].

وَهُوَ أَوَّلُ فَاصِلٍ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ سَبِيلِ النَّاجِينَ { قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة: ٣٨].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

فَلَا هُدًى إِلَّا فِي هُدَاهُ، وَلَا يَتَحَقَّقُ الْإِهْتِدَاءُ بِهِ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ هِدَايَاتِهِ، فَالْهُدَى هُدَى الْقُرْآنِ، وَمَا سِوَاهُ وَصَفَهُ اللَّهُ بِالْهَوَى؛ وَلِذَلِكَ أَمَرَنَا اللَّهُ بِالْإِسْتِسْلَامِ لِمَا جَاءَ فِيهِ { قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمَرْنَا لِسُلَيْمٍ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } [الأنعام: ٧١]، وَبَيَّنَّ لَنَا أَنَّ مُخَالَفَةَ هُدْيِهِ هُوَ الْهَوَى وَالضَّلَالُ بِعَيْنِهِ { فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ } [الفصل: ٥٠]، فَلَا طَرِيقَ لِلْهِدَايَةِ بِدُونِهِ، وَمَنْ حَبَبَ قَلْبُهُ عَنِ الْإِثْقَاعِ بِهِ فَلَنْ يَهْتَدِيَ بِهِ { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَءَايَتِهِ يُؤْمِنُونَ } [الجاثية: ٦].

اللَّهُمَّ أَذْخِلْنَا فِي رَحْمَةٍ مِنْكَ وَفَضْلٍ، وَاهْدِنَا إِلَيْكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. أَقُولُ مَا سَمِعْتُكُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ: كِتَابُ رَبَّنَا كِتَابُ هِدَايَةٍ لِحَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ }، وَقَدْ جِيءَ بِصِبْغَةِ التَّفْضِيلِ { }؛ لِتَدُلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُسَاوِيَ مَعَ غَيْرِهِ أَبَدًا، وَذُكِرَتِ الصِّفَةُ { }، وَلَمْ يُذْكَرْ مَوْصُوفٌ؛ لِإِتِّبَاتِ عُمُومِ الْهِدَايَةِ بِالْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ: وَأَكْثَرُ مَا جَاءَ وَصَفُ الْقُرْآنِ بِالْهِدَايَةِ خُصَّ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ أَوِ الْمُتَّقُونَ أَوِ الْمُحْسِنُونَ؛ لِأَنَّهُمْ قَبِلُوا هُدَاهُ وَعَمِلُوا بِمُقْتَضَاهُ، وَإِلَّا فَالْأَصْلُ أَنَّ الْقُرْآنَ هُدًى لِلنَّاسِ جَمِيعًا { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى } [فصلت: ٤٤]. فَمَنْ أَرَادَ الْإِثْقَاعَ بِالْقُرْآنِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَدَبَّرَ آيَاتِهِ وَيَعْمَلَ بِهَدَايَاتِهِ { يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } [الأنفال: ٢٤].

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، هَذَا كِتَابُ رَبِّكُمْ، فِيهِ نُورٌ قُلُوبِكُمْ، وَحَيَاةٌ أَرْوَاحِكُمْ، وَسَعَادَةٌ دُنْيَاكُمْ وَنَجَاتُكُمْ فِي آخِرَاتِكُمْ، فَاقْبَلُوا عَلَيْهِ تِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا، وَاعْمَلُوا بِهِ أَمْرًا وَهَمًّا، تَفُوزُوا بِالْهِدَايَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْفَلَاحِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْقُرْآنَ رِبْعَ قُلُوبِنَا، وَنُورَ صُدُورِنَا، وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا، وَذَهَابَ هُمُومِنَا وَعُغُومِنَا اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مِنْهُ مَا جَهِلْنَا، وَذَكِّرْنَا مِنْهُ مَا نُسِينَا.

تَعْظِيمُ الْقُرْآنِ ... سَبِيلُ الِاتِّفَاعِ بِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَظَّمَ كِتَابَهُ فَقَالَ فِي كِتَابِهِ الْمُيِّنِ: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ}، وَجَعَلَ تَعْظِيمَ كِتَابِهِ سِمَةً مِنْ سِمَاتِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ {قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا
تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾
وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ
وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾} [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا
كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَخَيْرُ الْوَصَايَا وَأَعْظَمُهَا لِمَنْ عَقَلَهَا، وَاتَّبَعَهَا مَا وَصَّى اللَّهُ بِهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: {وَلَقَدْ
وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ} [النساء: ١٣١].
اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

سِمَةً مِنْ سِمَاتِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَالسِّرُّ الَّذِي بِهِ يُعْرِفُ عِلَاقَةُ الْمَرْءِ بِكِتَابِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ إِنَّهُ عِبَادَةُ تَعْظِيمِ كِتَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ {فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾
وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾
لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾} [الواقعة: ٧٥-٧٩].

فَالْعِلَاقَةُ مَعَ الْقُرْآنِ تَعْظُمُ عِنْدَ تَعْظِيمِهِ وَاجْلَالِهِ، وَتَضَعُفُ عِنْدَ فَقْدِ ذَلِكَ؛ حَتَّى
تُظْهَرَ فِي مَظَاهِرِ وَسُلُوكِيَّاتٍ مُخَالَفَةٍ تَدُلُّ عَلَى خُلُوءِ الْقَلْبِ مِنْ تَعْظِيمِ الْقُرْآنِ، وَغِيَابِ
الْوَعْيِ بِعَظَمَتِهِ وَمَكَانَتِهِ {قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: ٨٨].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كَيْفَ لَا يُعَظَّمُ هَذَا الْقُرْآنُ فِي قُلُوبِنَا، وَقَدْ نَوَّهَ اللَّهُ بِهِ فِي مُفْتَتِحِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سُورَةً،
وَنَوَّهَ بِهِ فِي مُحْتَتَمِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سُورَةً، أَفَرُؤُوا إِنْ شِئْتُمْ {الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ
النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ:
{هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ءَوَلِيْعَلَّمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرَ أَوَّلُوا
الْأَلْبَابِ}. [إبراهيم: ١] {الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ}. وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ۖ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ
تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾} [يوسف: ١]. {ق وَالْقُرْءَانِ

الْمَجِيدِ ﴿١﴾. وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾} [ق].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مِمَّا يَقْوَى بِهِ تَعْظِيمُ كِتَابِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اسْتِشْعَارُ الْعَبْدِ لِعَظَمَةِ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، فَالْكَلَامُ يَعْظُمُ بِعَظَمَةِ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [السجدة: ٢]، كَلَمًا قَوِيَّتْ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ [?] زَادَ تَعْظِيمُهُ لَهُ، وَلِكَلَامِهِ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ مَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ طَرِيقًا مُوَصِّلًا لِتَعْظِيمِ اللَّهِ. اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَانْفَعْنَا وَارْفَعْنَا بِهِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمِنْ صُورِ تَعْظِيمِ الْقُرْآنِ تَطْهِيرُ الْقَلْبِ وَإِصْلَاحُهُ وَمُدَاوَاتُهُ وَعِلَاجُ أَمْرَاضِهِ، فَالْقَلْبُ هُوَ الْمُخَاطَبُ الْأَوَّلُ بِالْقُرْآنِ {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء: ١٩٣]. {لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا} [يس: ١]؛ أَيُّ: حَيُّ الْقَلْبِ، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق: ٣٧]، وَلَنْ يَنْتَفِعَ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ، وَعَبْرِهِ، وَمَوَاعِظِهِ إِلَّا الْقَلْبُ السَّلِيمُ، أَمَّا الْقُلُوبُ الَّتِي أَمْرَضَتْهَا الذُّنُوبُ وَاسْتَوَلَتْ عَلَيْهَا الشَّهَوَاتُ الْمُحَرِّمَةُ فَلَنْ تَتَأَثَّرَ بِالْقُرْآنِ: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف: ١٤٦]. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، اللَّهُمَّ افْتَحْ قُلُوبَنَا لِتَدْبُرَ كِتَابِكَ أَعْظَمَ مَا فَتَحْتَ لِأَوْلِيَائِكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا عِبِيدُكَ بَنُو عِبِيدِكَ بَنُو إِمَائِكَ نَوَاصِينَا بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيْنَا حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيْنَا قَضَاؤُكَ، نَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قُلُوبِنَا، وَنُورَ صُدُورِنَا، وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا، وَذَهَابَ هُمُومِنَا وَعُغُومِنَا، اللَّهُمَّ ذَكِّرْنَا مَا نُسِينَا، وَعَلِّمْنَا مَا جَهِلْنَا، وَارْزُقْنَا تِلَاوَتَهُ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ عَنَّا.

الله... الاسم الأعظم

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} ١ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ ٢ ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ ٣ { [الأنعام: ١-٣]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، { لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ٢١]، فَبِتَحْقِيقِ الْعِبَادَةِ تَتَحَقَّقُ التَّقْوَىٰ، وَبِصِدْقِ الْعُبُودِيَّةِ يَسِيرُ الْمَرْءُ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ وَهُدًى.

عباد الله:

هُوَ الاسمُ الْجَامِعُ لِجَمِيعِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى، هُوَ الاسمُ الْأَعْظَمُ الَّذِي تَفَرَّدَ بِهِ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ أَحْصَى أَسْمَاءَهُ لَمْ يَتَسَمَّ بِهِ غَيْرُهُ، اسْمُ جَامِعٍ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ وَالْجَمَالِ، مَرْجِعُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى إِلَيْهِ، وَمَدَارُ مَعَانِيهَا عَلَيْهِ، هُوَ الاسمُ الَّذِي تُكْشَفُ بِهِ الْكُرْبَاتُ، وَتُسْتَرَّلُ بِهِ الْبَرَكَاتُ، وَتُجَابُ بِهِ الدَّعَوَاتُ، وَتُقَالُ بِهِ الْعَزَاتُ، وَتُسْتَدْفَعُ السَّيِّئَاتُ، وَتُسْتَجْلَبُ بِهِ الْحَسَنَاتُ، هُوَ الاسمُ الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، افْتَتَحَ اللَّهُ بِهِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ آيَةً مِنْ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ أَكْثَرُ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَرُودًا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، إِذْ وَرَدَ أَكْثَرُ مِنَ الْفَيْنِ وَسَبْعِمِائَةِ مَرَّةٍ، إِنَّهُ اسْمُ اللَّهِ أَحْصَى أَسْمَاءَهُ سُبْحَانَهُ وَأَعْظَمُهَا وَأَجْمَعُهَا، وَهَذَا يَدُلُّ. يَا عِبَادَ اللَّهِ. عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ لِيُعَرِّفَ النَّاسَ بِرَبِّهِمْ، وَيُقَرِّبَهُمْ إِلَيْهِ، وَيُدْلِّهِمْ عَلَيْهِ، وَيَهْدِيَهُمْ إِلَيْهِ إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَوْصِلِ إِلَى رِضَاهُ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِهِ إِذَا نَسُوا، وَيُقَوِّي صِلَتَهُمْ بِهِ إِذَا ضَعُفُوا، لِيَكُونُوا مَعَ اللَّهِ دَائِمًا غَابِدِينَ، ذَاعِينَ، مُسْتَعِينِينَ، مُتَصَرِّعِينَ، طَائِعِينَ، خَاشِعِينَ، مُنِيبِينَ، مُسْتَغْفِرِينَ.

عباد الله:

وَاسْمُ اللَّهِ يَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَتَيْنِ عَظِيمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ: أَوَّلُهُمَا أَنَّهُ الْإِلَهُ الْجَامِعُ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، وَثَانِيَهُمَا: الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ أَحَدٌ سِوَاهُ، {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ} [الأنعام: ٣]، أَيُّ: الْمَعْبُودُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْمَعْبُودُ فِي الْأَرْضِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

عِنْدَمَا يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ مُتَّصِفٌ بِهَذَا الْإِسْمِ الْعَظِيمِ، وَأَنَّهُ الْجَامِعُ لِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ بِحَقِّهِ مِنَ التَّعْبُدِ الَّذِي هُوَ كَمَالُ الْحُبِّ مَعَ كَمَالِ الدَّلِّ وَالتَّعْظِيمِ، فَوَاللَّهِ مَا شَيْءٌ أَطْيَبُ لِلْعَبْدِ وَلَا أَلَدُّ وَلَا أَهْنَأُ لِقَلْبِهِ وَعَيْشِهِ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَدَوَامِ ذِكْرِهِ فِي لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَعَقْلِهِ، وَالسَّعْيِ فِي مَرْضَاتِهِ، وَالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَالْعِبَادَةُ. عِبَادَ اللَّهِ. لَا تُسَمَّى عِبَادَةً حَتَّى تَجْتَمِعَ فِيهَا ثَلَاثَةُ أُمُورٍ عَظِيمَةٍ:
الْأَوَّلُ: الْمَحَبَّةُ الصَّادِقَةُ الْعَظِيمَةُ؛ فَهِيَ رُوحُ الْعِبَادَةِ وَأَعْظَمُ دَرَجَاتِهَا.
الثَّانِي: التَّعْظِيمُ وَالْإِجْلَالُ؛ فَالْعَابِدُ مُعْظَمٌ لِمَحْبُوبِهِ، مُجِلٌّ لَهُ غَايَةَ الْإِجْلَالِ.
الثَّالِثُ: الدَّلُّ وَالْخُضُوعُ وَالْإِنْقِيَادُ؛ فَالْعَبْدُ مُنْقَادٌ لِمَعْبُودِهِ، خَاضِعٌ لَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، رَاضٍ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ. فَإِذَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ كَانَ عَبْدًا لِلَّهِ حَقًّا، مُخْلِصًا لَهُ فِي عُبودِيَّتِهِ، فَإِذَا خَلَتْ الْعِبَادَةُ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي كَانَتْ جَسَدًا بِلَا رُوحٍ، لَا تُزَكِّي نَفْسًا، وَلَا تُصْلِحُ قَلْبًا، وَلَا تُقَرِّبُ عَبْدًا مِنْ رَبِّهِ.
اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبَنَا بِمَعْرِفَتِكَ وَمَحَبَّتِكَ وَخَشْيَتِكَ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عِبَادَ اللَّهِ:

مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ هَذَا الْإِسْمِ الْعَظِيمِ «اللَّهُ» وَمَعْرِفَتِهِ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ: طُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ وَسَعَادَتُهُ وَأُنْسُهُ بِهِ؛ فَإِنَّ اللَّذَّةَ وَالْفَرَحَةَ وَطَيْبَ الْوَقْتِ وَالتَّعِيمَ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ التَّغْيِيرَ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَتَوْجِيدِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، فَمَا نَالَ الْعَبْدُ نَعِيمًا قَطُّ مِثْلَ مَعْرِفَتِهِ اللَّهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، وَقُرْبُ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ هُوَ أَعْظَمُ نَعِيمٍ، وَبِهَذَا الْقُرْبِ تَطْيِبُ النُّفُوسُ وَتَظْمِينُ الْقُلُوبِ.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا. رَحِمَكُمُ اللَّهُ. عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الله الْوَلِيُّ... أَمَانُ الْمُؤْمِنِينَ وَنَاصِرُ الْمُتَّقِينَ

الحمدُ لله الَّذِي يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ، وَيُعْطِي بِحِكْمَتِهِ وَهُوَ الْوَاسِعُ الْمَجِيدُ، وَيَمْنَعُ بِلُطْفِهِ وَيُدَبِّرُ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَيَتَوَلَّى أَوْلِيَاءَهُ الصَّالِحِينَ، وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللهَ جَعَلَ وَلَايَتَهُ لِأَهْلِ التَّقْوَى، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا.

اللهم آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

عِبَادَ اللهِ:

هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى الَّتِي أَشْرَقَ بِهَا كِتَابُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَكْرَمَ بِهَا عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ، مِنْ أَعْظَمِ مَا يُحْيِي اللهُ بِهِ الْقُلُوبَ، وَيُثَبِّتُ بِهِ الْأَقْدَامَ، وَيُزَكِّي بِهِ النُّفُوسَ، وَيَهْدِيهَا سُبُلَ السَّلَامِ، إِنَّهُ اسْمُ اللهِ الْوَلِيُّ.

فَإِذَا عَرَفَ الْعَبْدُ اسْمَ رَبِّهِ الْوَلِيِّ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، قَوِيَ إِيمَانُهُ، وَعَظُمَ يَقِينُهُ، وَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِرَبِّهِ، وَكَانَ أَشَدَّ مَحَبَّةً لَهُ. وَكَيْفَ لَا يُحِبُّ الْقَلْبُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيَتَوَلَّاهُ وَيَحْفَظُهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَمَنْ كَانَ اللهُ وَلِيَّهُ فَلَيْسَ لَهُ وَلِيٌّ سِوَاهُ.

عِبَادَ اللهِ:

وَإِذَا تَوَلَّى اللهُ عَبْدَهُ يَتَوَلَّاهُ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ: حِفْظًا، وَنَصْرًا، وَعِنَايَةً، وَتَوْفِيقًا، وَتَرْبِيَةً، وَتَرْكِيَةً، وَهِدَايَةً، وَسَدَادًا، وَكَفَايَةً، وَأَغْنَاهُ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ.

وَالْوَلَايَةُ يَا عِبَادَ اللهِ مَبْنَاهَا عَلَى صِدْقِ الْإِقْبَالِ عَلَى اللهِ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ، فَمَنْ أَرَادَ الْوَلَايَةَ فَعَلَيْهِ بِلُزُومِ طَرِيقِ الْاسْتِقَامَةِ وَالْتِمَسُّكِ بِكِتَابِ اللهِ {إِنَّ وَلِيَّيَ اللهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} [الأعراف: ١٩٦].

عِبَادَ اللهِ:

وَمِنْ أَعْظَمِ آثَارِ وَلَايَةِ اللهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ: الْهِدَايَةُ لِلْحَقِّ، وَالْخُرُوجُ مِنْ ظُلُمَاتِ الشَّكِّ وَالنَّفَاقِ وَالْعِيٍّ وَالْهَوَى إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ وَالْهُدَى {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}، وَمِنْ آثَارِ وَلَايَةِ اللهِ لِلْعَبْدِ: مُحَارَبَةُ اللهِ تَعَالَى مَنِ يُعَادِي أَوْلِيَاءَهُ، وَدِفَاعُهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُ {إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا} [الحج: ٣٨]، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ يَقُولُ اللهُ: ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)). (١)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦١٣٧).

وَيَا لَهُ مِنْ شَرَفٍ عَظِيمٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ أَنْ يُعْلِنَ الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ حَرْبَهُ دِفَاعًا عَنْ أَوْلِيَائِهِ،
أَلَا قَوْلُ لِمَنْ حَارَبَهُ اللَّهُ، وَقَوْلُ لِمَنْ حَارَبَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَعَادَاهُمْ.

وَمِنْ آثَارِ وَلَايَةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ: تَوْفِيقُهُ وَتَسْدِيدُهُ لِمَا يَنْفَعُهُ، وَاسْتِجَابَةُ دُعَائِهِ، وَإِعْطَاؤُهُ
سُؤْلَهُ، وَإِعَادَتُهُ مِمَّا يَخَافُهُ وَيَحْذَرُهُ، قَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: ((فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ كُنْتُ
سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي
بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأَعْطِيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأَعِيْذَنَّهُ)) (٢).

وَمِنْ آثَارِ وَلَايَةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ: وَعْدُ اللَّهِ لأَوْلِيَائِهِ بِالْأَمْنِ وَالْبُشْرَى، وَرَفْعُ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ
عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ٦٢ ﴿
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ٦٣ { [يونس: ٦٢-٦٣].

وَمِنْ الْبَشَارَاتِ لأَوْلِيَاءِ اللَّهِ: الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، وَالْمَوَدَّةُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالرُّؤْيَا
الصَّالِحَةُ، وَأَعْظَمُ تِلْكَ الْبَشَارَاتِ وَأَجْلُهَا دَارُ السَّلَامِ فِي الْآخِرَةِ: {لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: ١٢٧].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ،
أَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

عِبَادَ اللَّهِ:

أَعْظَمُ نِعْمَةٍ يَرْزُقُهَا اللَّهُ الْعَبْدَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى وَلِيَّهُ، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ وَلِيَّهُ سَعِدَ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِذَا كَانَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ، فَبِحَسَبِ إِيْمَانِ الْعَبْدِ وَتَقْوَاهُ
تَكُونُ وَلَايَتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ كَانَ أَكْمَلَ إِيْمَانًا وَتَقْوَى كَانَ أَكْمَلَ وَلَايَةٍ لِلَّهِ. فَالنَّاسُ
مُتَفَاضِلُونَ فِي وَلَايَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ تَفَاضُلِهِمْ فِي الْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى.

وَإِذَا نَالَ الْعَبْدُ وَلَايَةَ اللَّهِ نَالَ السَّكِينَةَ وَالطُّمَأْنِينَةَ فِي الدُّنْيَا، وَالْبُشْرَى عِنْدَ الْمَوْتِ،
وَالْأَمْنُ يَوْمَ الْقَرَعِ الْأَكْبَرِ، وَالنَّجَاةُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا
تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} ٣٠ ﴿
[فصلت: ٣٠].

تِلْكَ يَا عِبَادَ اللَّهِ بَشَارَاتُ الْوَلَايَةِ، وَوَعْدُ اللَّهِ لِأَهْلِ الْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد: ٤].

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا أَنْتَ.

العِلْمُ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ... أَشْرَفُ الْعُلُومِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَحْزَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} {سبأ: ١} {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} {الحديد: ٤} {خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوْرِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} ﴿٧٣﴾ {[الأنعام: ٧٣]} {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} ﴿١٠٢﴾ {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} ﴿١٠٣﴾ {[الأنعام: ١٠٣]} {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ {[القصص: ٨٨]} {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} {سورة الرعد: ٢}، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ، وَأَشْهَدُهُمْ لَهُ خَشْيَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} ﴿١٨﴾ {[الحشر: ١٨]}.

عِبَادَ اللَّهِ:

هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْعُلُومِ وَأَسْمَاهَا، وَأَشْرَفُهَا وَأَرْكَاهَا، هُوَ أَصْلُ الْإِيمَانِ وَثَمَرَةُ شَجَرَةِ الْإِحْسَانِ، وَرُوحُ كُلِّ عِبَادَةٍ، وَبِهِ يَجِدُ الْمَرْءُ لَذَّةَ الطَّاعَةِ، أَفْضَلُ مَا اكْتَسَبَتْهُ الْقُلُوبُ، وَخَصَلَتْهُ النَّفُوسُ، وَأَدْرَكَتْهُ الْعُقُولُ؛ إِنَّهُ الْعِلْمُ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ، ذَلِكَ أَنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ بِشَرَفِ مَعْلُومِهِ، وَلَا مَعْلُومَ أَفْضَلُ وَأَجَلُ مِنَ اللَّهِ؛ فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ عَرَفَ مَا سِوَاهُ، وَمَنْ جَهِلَ بِرَبِّهِ فَهُوَ لِمَا سِوَاهُ أَجْهَلُ.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ بِحَيَاةِ قَلْبِهِ وَرُوحِهِ، وَلَا حَيَاةَ لِقَلْبِهِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ فَاطِرِهِ، وَمَحَبَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَحَدَهُ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَالطَّمَأْنِينَةَ بِذِكْرِهِ، وَالْأُنْسَ بِقُرْبِهِ، وَمَنْ فَقَدَ هَذِهِ الْحَيَاةَ فَقَدَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، فَأَعْظَمُ الْعُلُومِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا الْقُرْآنُ هُوَ الْعِلْمُ بِاللَّهِ؛ فَهُوَ الْمَطْلَبُ الْأَعْلَى وَالْمَقْصِدُ الْأَجَلُ، فَالْقُرْآنُ أَنْزَلَ لِتَعْرِيفِ عِبَادِهِ بِهِ وَبَصْرَاتِهِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ، {وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} {الأعراف: ١٨٠}. {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ

مِثْلُهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق: ١٢]، فهذا العلم هو غاية الخلق المطلوبة، وأول فرض فرضه الله على العباد توحيدَهُ، وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْعِلْمِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}، {فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَلَا حَيَاةَ وَلَا صَلَاحَ لِلْقُلُوبِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ بَارِئِهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعْبُدُوهُ دُونَ أَنْ يَعْرِفُوهُ، فَلَا شَيْءَ تَعَالَى بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ اشْتِغَالَ بِمَا خُلِقَ لَهُ الْعَبْدُ، وَتَرْكُهُ وَتَضْيِيعُهُ إِهْمَالٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَنَّنا نَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يُقَدِّرُونَكَ حَقَّ قَدْرِكَ، وَيَعْرِفُونَكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

أَعْرِفُ النَّاسَ بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَاجْتِلَالًا، وَكَلَّمَا زَادَتْ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ زَادَتْ هَيْبَتُهُ وَخَشْيَتُهُ إِيَّاهُ، إِنَّمَا {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨]، وَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ أَغْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ تَعَالَى، كَانَ هُوَ أَشَدَّهُمْ خَشْيَةً لَهُ، قَالَ ﷺ: «وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً».^(٣)

وَالْمَقْصُودُ بِالْمَعْرِفَةِ: الْمَعْرِفَةُ الَّتِي تَقْتَضِي مَيْلَ الْقَلْبِ إِلَيْهِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَالْإِنْقِطَاعَ إِلَيْهِ بِالنِّتْمَامِ، وَالْأَنْسَ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَالطَّمَأْنِينَةَ بِذِكْرِهِ، وَالْحَيَاءَ مِنْهُ، وَالْهَيْبَةَ لَهُ، وَتَعَلُّقَ الْقَلْبِ بِهِ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِهِ، وَخَشْيَتَهُ وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَالْفِرَارَ مِنَ الْخَلْقِ إِلَيْهِ؛ فَمَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَالتَّعَبُّدُ لَهُ بِمُقْتَضَاهَا، أَعْظَمُ سَبِيلٍ لِتَحْقِيقِ أَعْظَمِ وَأَجَلِّ مَقَامَاتِ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ، وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْجَهْلِ بِهِ؛ فَالْجَهْلُ بِاللَّهِ سُمْ مُهْلِكٌ، وَأَظْهَرُ دَلِيلٍ عَلَى مَوْتِ الْقَلْبِ.

اللَّهُمَّ افْتَحْ قُلُوبَنَا لِتَدْبِيرِ كِتَابِكَ، وَالتَّفَقُّهِ فِي أَسْمَائِكَ الْحُسْنَى.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا. رَحِمَكُمُ اللَّهُ. عَلَى مَنْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الثِّقَّةُ بِاللَّهِ زَادُ الْقُلُوبِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمْضَى فِي خَلْقِهِ قَدْرَهُ عَلَى مَا افْتَضَتْ حِكْمَتُهُ، وَسَبَقَتْ بِهِ كَلِمَتُهُ، مَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ كَانَتْ مَعَهُ الْقُوَّةُ الَّتِي لَا تُفْهَرُ، وَالْفَيْتَةُ الَّتِي لَا تُغْلَبُ: { وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [يوسف: ٢١]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } [الطلاق: ١٢]، وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَمَنْ آمَنَ بِهِ هَدَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

عِبَادَةُ قَلْبِيَّةٌ، هِيَ: حِصْنُ السَّابِقِينَ، وَمَقَامٌ مِنْ مَقَامَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَسِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَأَوَّلِيَّائِهِ الصَّادِقِينَ، هِيَ: عُدَّةُ الصَّابِرِينَ فِي دَارِ الْإِبْتِلَاءِ وَالْإِمْتِحَانِ الْمُبِينِ، تَزِيدُ النَّفْسَ ثَبَاتًا وَالْإِيمَانَ رُسُوحًا، إِذَا امْتَلَأَ بِهَا الْقَلْبُ نَزَلَتْ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُ الطَّمَأْنِينَةُ، فَهَدَأَتْ نَفْسَهُ وَاطْمَأَنَّ قُودَاهُ. إِنَّهَا الثِّقَّةُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَبِصِدْقِ وَعْدِهِ وَلِقَائِهِ، إِنَّهَا الْيَقِينُ الثَّابِتُ بِكَمَالِ اللَّهِ، بِصِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، وَبِصِدْقِ وَعْدِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَإِحَاطَةِ عِلْمِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَيْسَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ غُنْيَةٌ عَنْ فَفْهَهَا عِلْمًا وَعَمَلًا. إِنَّهُ الْيَقِينُ بِتَدْيِيرِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، قَدْ يَكُونُ الدَّخْلُ الْقَلِيلُ فِي مَالِهِ جَامِحًا لِأَهْوَائِكَ وَشَهَوَاتِكَ، قَدْ تُصَابُ بِمَرَضٍ فِي بَدَنِكَ؛ لِيُبَلِّغَكَ اللَّهُ دَرَجَاتٍ فِي الْجَنَّةِ لَمْ يَبْلُغَهَا عَمَلُكَ.

عِبَادَةُ اللَّهِ:

إِذَا تَيَقَّنَ الْعَبْدُ بِتَدْيِيرِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، وَخَلْقِهِ، عَلِمَ أَنَّ حِكْمَ اللَّهِ تَأْتِي مَعَ الْبَلَاءِ، وَأَنَّ كُلَّ أَلَمٍ وَعَنَاءٍ لَا يَدُومُ، وَلَنْ يَكُونَ لَهُ الْبَقَاءُ، فَمَا بَعْدَ الْعُسْرِ إِلَّا التَّيْسِيرُ، وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ وَقْتُ وَتَدْيِيرٌ، وَيَمْضِي قَدْرُ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِأَنْ تَكُونَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. فَتَقِ أَهْمًا الْمُؤْمِنِ بِتَدْيِيرِ اللَّهِ، وَتَيَقَّنْ أَنَّ كُلَّ قَدَرٍ مَكْتُوبٌ فَهُوَ خَيْرٌ، وَإِنْ خَالَفَ مَا هُوَ مَحْبُوبٌ، فَلَا تَقَاسُ الْعِظَايَا الْإِلَهِيَّةُ بِالْمَكَاسِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ الْمَنْعُ خَيْرًا مِنَ الْعِظَاءِ: { وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ } [الشورى: ٢٧].

عباد الله:

كُلُّ مَخْلُوقٍ مُعَرَّضٌ لِلْمَكْدَرَاتِ وَالْمُنْعَصَاتِ، وَلَنْ تَسْلَمَ نَفْسٌ مِنَ الْفِتَنِ وَالْإِبْتِلَاءَاتِ، قَلَّ ذَلِكَ أَمْ كَثُرَ، صَغُرَ أَمْ كَبُرَ، وَبَحَسَبَ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْإِيمَانِ يَكُونُ الْإِبْتِلَاءُ وَالْإِمْتِحَانُ، وَإِذَا سَلِمَ الدِّينُ وَالْإِيمَانُ فَكُلُّ مَفْقُودٍ قَدْ صَغُرَ وَهَانَ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ الثِّقَةَ بِاللَّهِ لَهَا صُورٌ مُتَعَدِّدَةٌ، فَمِنْ صُورِهَا: ثِقَةُ الْمُؤْمِنِ فِي تَفْرِيجِ الْكُرُوبَاتِ وَالشَّدَائِدِ، وَلَنَا فِي إِخْرَاجِ اللَّهِ تَعَالَى لِيُهِودِ بَنِي النَّضِيرِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ عِزَّةً، بَعْدَ مَا ظَنَّ أَهْلُ الْإِسْلَامِ أَنْ لَا يَخْرُجُوا؛ لِشِدَّةِ مَنَعَةِ حُصُونِهِمْ، وَبَعْدَ مَا ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ، وَنَسُوا قُدْرَةَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا، وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ: {وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَحْدَةً ۖ كَلِمَةً بِالْبَصَرِ} [القمر: ٥٠]: {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٢١].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ يَثْقُونَ بِقُدْرَتِكَ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

وَمِنْ صُورِ الثِّقَةِ بِاللَّهِ:

الْبَيْقِينُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَفُوتُهُ وَلَا يُعْزِزُهُ هَارِبٌ، فَحَقُّ الْمَظْلُومِ مُحْفُوظٌ عِنْدَ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ، فَيُظْمَنُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مَهْمَا تَعَرَّضَ فِيهَا لِظُلْمٍ وَقَهْرٍ؛ لِأَنَّهُ يَغْلُمُ أَنَّ حَقَّهُ مُحْفُوظٌ مَأْخُودٌ لَهُ مِمَّنْ ظَلَمَهُ، وَكَيْفَ لَا يُظْمَنُ قَلْبُهُ؟ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ: {وَأَصْبِرْ حَتَّى يَخُصِمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [يونس: ١٠٩]: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْزِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمُوتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطر: ٤٤]: {وَعَنْتِ أَلُوجُوهٌ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} [طه: ١١١]: {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ} [السجدة: ٢٢]: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ} [الزمر: ٣٧]: {وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: ٦]: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مريم: ٦٤]: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [الشعراء: ٢٢٧]: {إِنَّهُ لَا يُلْفِظُ الظَّالِمُونَ} [الأنعام: ٢١]: {فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: ٤٥].

اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُلُوبَنَا مُظْمَنَةً بِكَ، وَامْتَحِنَا الْبَيْقِينَ بِأَنَّكَ الْحَاكِمُ الْعَادِلُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَفُوتُهُ هَارِبٌ، وَاجْعَلْ حَيَاتَنَا عَلَى هَذَاكَ وَرِضَاكَ.

تَعْظِيمُ اللَّهِ ... رُوحُ الْعِبَادَةِ وَبَهَاؤُهَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَخَصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، عَرَفَ عَظَمَتَهُ مَلَائِكَتُهُ الْمُقَرَّبُونَ؛ فَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ، وَعَرَفَ عَظَمَتَهُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ وَالْمُتَّقُونَ؛ فَهُمْ مِنْ ذِكْرِهِ وَجِلُونَ: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون: ٦٠]، {الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء: ٤٩]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ؛ فَتَقْوَى اللَّهِ أَعْظَمُ وَصِيَّةٍ، وَأَكْرَمُ سَجِيَّةٍ، وَخَيْرُ لِبَاسٍ وَزَادٍ، وَأَعْظَمُ وَسِيلَةٍ لِرِضَا رَبِّ الْعِبَادِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هُوَ رُوحُ الْعِبَادَةِ وَأَسَاسُهَا، وَجَلَالُهَا وَبَهَاؤُهَا، فَالْعِبَادَةُ بِدُونِهِ جَسَدٌ بِلَا رُوحٍ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ، وَمِنْ أَجَلِّ وَأَشْرَفِ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ؛ إِنَّهُ تَعْظِيمُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَالْعِبَادُ يَتَفَاضِلُونَ فِي الْإِيمَانِ عَلَى قَدْرِ تَعْظِيمِ اللَّهِ فِي الْقُلُوبِ وَالْإِجْلَالِ لَهُ، وَالْمُرَاقَبَةِ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ.

وَأَعْرِفُ النَّاسَ بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَاجْتِلَالًا { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر: ٢٨]، وَعَلَى قَدْرِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ يَكُونُ تَعْظِيمُهُ فِي قَلْبِهِ، وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ مَنْ لَا يُعْظِمُهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ، وَلَا يَعْرِفُهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح: ١٣]، {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمُوتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: ٦٧].

عباد الله:

مِنْ أَعْظَمِ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [البقرة: ٢٥٥]، وَمَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكَرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكَرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ، وَمِنْ عَظَمَتِهِ أَنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ أَصْغَرُ مِنَ الْخَرْدَلَةِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ تَدَبُّرُ أَسمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ؛ فَلَيْسَ هُنَاكَ كِتَابٌ حَوَى مِنَ التَّعْظِيمِ وَالثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ مِثْلَ مَا حَوَاهُ الْقُرْآنُ: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}

[محمد: ١٩]، فَالْعِلْمُ بِاللَّهِ هُوَ النُّورُ الَّذِي يُضِيءُ طَرِيقَ التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [لقمان: ٢٦]. ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ { [لقمان: ٢٨]. } يُبَيِّنُ إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمُوتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ { [لقمان: ١٦]. } وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ { [الأنعام: ٥٩].

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ اسْتِحْضَارُ مَشْهَدِ الْإِحْسَانِ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَهَذَا يُورِثُ فِي الْقَلْبِ الْخَشْيَةَ وَالْخَوْفَ وَالْهَيْبَةَ وَالتَّعْظِيمَ. وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى التَّعْظِيمِ التَّفَكُّرُ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ، وَأَيَاتِهِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ: {سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} ﴿٥٣﴾ [فصلت: ٥٣].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَظِيمُ؛ فَإِذَا عَظُمَ فِي النُّفُوسِ زَكَتْ وَطَهَّرَتْ؛ فَصَارَتْ تَخَافُ هَذَا الْعَظِيمَ. جَلَّ جَلَالُهُ. بِاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، وَتَرْجُوهُ بِفِعْلِ أَمْرِهِ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَتُعْظَمُ حُرْمَاتِهِ وَشَعَائِرُهُ وَشُرْعُهُ: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتُ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُنْتَلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} ﴿٣٠﴾ [الحج: ٣٠]، {ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} ﴿٣٢﴾ [الحج: ٣٢].

مَنْ عَظَّمَ اللَّهَ عَظَمَ بِاللَّهِ إِيْمَانُهُ، فَخَافَهُ وَرَاقَبَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَأَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ، وَسَارَعَ إِلَى طَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ.

"مَحَبَّةُ اللَّهِ" طَرِيقُ الطَّاعَةِ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَصَّ بِرَحْمَتِهِ عِبَادًا يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، نَوَّرَ قُلُوبَهُمْ بِنَعِيمِ مَعْرِفَتِهِ، وَبَسَّرَ لَهُمْ سُبُلَ مَحَبَّتِهِ، وَأَكْرَمَهُمْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ نَعِيمَ الْقَلْبِ وَبَهْجَتَهُ، فَحُبُّ الرَّحْمَنِ يُورِثُ فِي الْقَلْبِ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ أَسْبَابِ مَحَبَّتِهِ: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [التوبة: ٤].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هِيَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ، الَّتِي مَتَى خَلَتْ مِنْهَا فَهِيَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ، هِيَ قُوَّةُ الْقُلُوبِ وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ وَقُرَّةُ الْعُيُونِ، وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حَرَمَهَا فَهُوَ فِي جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ، وَالثُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بَحَارِ الظُّلُمَاتِ. مِنْ أَعْظَمِ وَاجِبَاتِ الْإِيمَانِ وَغَايَةِ مَا يَتِمَّنَاهُ الْإِنْسَانُ: إِنَّهَا مَحَبَّةُ اللَّهِ، فَأَظْيَبُ مَا فِي الدُّنْيَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَمَحَبَّتُهُ ((اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّكَ)). (٤)

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

جَعَلَ اللَّهُ الْقَلْبَ مَحَلًّا لِعُبُودِيَّتِهِ، فَالْقَلْبُ خُلِقَ لِمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَمِنْ أَعْظَمِ تَقَاضِلِ النَّاسِ فِي الْأَجُورِ أَعْمَالُ الْقُلُوبِ، وَمِنْ أَعْظَمِ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ مَحَبَّةُ اللَّهِ؛ مَحَبَّةٌ مَقْرُونَةٌ بِاجْتِلَالِ اللَّهِ وَتَعْظِيمِهِ. وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، وَقَلْبُهُ سَلِيمٌ، أَحَبَّهُ، وَكَلَّمَا ارْتَدَّادَ لَهُ مَعْرِفَةً ارْتَدَّادَ حُبًّا لَهُ، فَمَعْرِفَةُ اللَّهِ وَتَعْظِيمُهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ تَغْرِسُ حِلَاوَةَ الْمَحَبَّةِ فِي الْقُلُوبِ بِمَا لَا يُمَكِّنُ التَّغْيِيرُ عَنْهُ، وَمَتَى ذَاقَ الْقَلْبُ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ حُبًّا لِغَيْرِهِ، وَلَا أَنْسَا بِهِ.

وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا اصْطَنَعَهُ لِنَفْسِهِ، وَاجْتَبَاهُ لِمَحَبَّتِهِ، وَاسْتَخْلَصَهُ لِعِبَادَتِهِ، فَشَغَلَ هَمَّهُ بِهِ، وَلِسَانَهُ بِذِكْرِهِ، وَجَوَارِحَهُ بِخِدْمَتِهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي الصَّبْرِ عَنْ مُخَالَفَتِهِ وَمَعَاصِيهِ؛ فَإِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّهُ مُطِيعٌ، وَتَجْعَلُ الْعَبْدُ يَسْتَحْيِي مِنْ خَالِقِهِ وَمَوْلَاهُ، وَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعَاصِيهِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ.

مَحَبَّةُ اللَّهِ هِيَ الَّتِي تَجْعَلُ الْعَبْدَ يُسَارِعُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ، وَيَسْعَى لِطَلْبِ رِضَاهُ، وَيَتَنَعَّمُ بِالطَّاعَةِ وَلَا يَسْتَتِفُلُهَا؛ فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدُّ الْعِبَادِ حُبًّا لِلَّهِ، كَانَ أَكْثَرَهُمْ تَلَذُّدًا بِمُنَاجَاةِ اللَّهِ: ((وَجَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))^(٥)، ((أَرْحَنًا بِهَا يَا بَلَاءُ))^(٦).
بِمَحَبَّةِ اللَّهِ يَهْوُنُ عَلَى الْعَبْدِ بَذْلُ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ عَلَى مَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ وَصِدْقِ الْإِيمَانِ.

وَبِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَهْوُنُ عَلَى الْعَبْدِ الطَّاعَاتُ، وَيَتَنَعَّدُ عَنِ الْوُفُوعِ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْأَثَامِ وَالْمَحْرَمَاتِ وَالشَّهَوَاتِ.

وَبِالْمَحَبَّةِ يَجِدُ الْعَبْدُ اللَّذَّةَ فِي الْعِبَادَةِ وَإِنْ صَحِبَتْهَا الْمَشَقَّةُ؛ فَيُخَيِّ لَيْلُهُ بِالْقِيَامِ، وَنَهَارُهُ بِالصَّيَامِ، وَيَجِدُ فِي ظَمَأِ الْهَوَاجِرِ وَمُكَابَدَةِ الْقِيَامِ مِنْ لَذَّةِ الْأُنْسِ بِاللَّهِ وَخَلَاوَةِ الْمُنَاجَاةِ وَالْقُرْبِ مِنْهُ مَا يَهْوُنُ عَلَيْهِ أَلَمُ الْمَشَقَّةِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِيعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ بِمَثَابَةِ الرَّأْسِ لِلطَّائِرِ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ، فَمَتَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ، وَإِذَا قُفِدَتِ الْمَحَبَّةُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ؛ وَلِذَا فَمَحَرَّكَاتُ الْقُلُوبِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: الْمَحَبَّةُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَأَقْوَاهَا الْمَحَبَّةُ، وَهِيَ مَقْصُودَةٌ لِذَاتِهَا.

وَكَمَا أَنَّ الْمَرِيضَ يَذُوقُ حُلُوَ الطَّعَامِ مَرًّا، وَكَلَّمَا ارْتَدَّادَ مَرَضُهُ رَادَّ فَسَادَ ذَوْقِهِ، فَإِنَّ صَاحِبَ الْقَلْبِ الَّذِي خَلَا مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ، أَوْ ضَعُفَتْ فِيهِ تِلْكَ الْمَحَبَّةُ، يَرَى الطَّاعَاتِ ثَقِيلَةً عَلَى النَّفْسِ: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ١٤٢]، {وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كُرْهُونَ} [التوبة: ٤٥].

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُبَلِّغُنَا إِلَى حُبِّكَ.

هَذَا، وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوا. رَحِمَكُمُ اللَّهُ. عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ وَعَفْوِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، (١٤٠٦٩) تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه، (٤٩٨٥)، قال الألباني: صحيح.

الْقَلْبُ وَوَسَائِلُ إِصْلَاحِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ، مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ، عَلِمَ مَا فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ؛ فَوْقَ بَرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَاسْتَقَامَ عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى، فَعَمَّرَ قُلُوبَهُمْ بِالتَّقْوَى، وَحَذَلَ مَنْ اتَّبَعَ الْهَوَى وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ وَتَوَلَّى، وَلَمْ يَرُدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَلَا وَصِيَّةَ أَعْظَمَ وَأَنْفَعَ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ لِمَنْ عَقَلَهَا وَاتَّبَعَهَا: { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ } [النساء: ١٣١].

إخوة الإيمان:

هُوَ أَعْظَمُ الْأَعْضَاءِ خَطَرًا، وَأَبْلَغُهَا أَثَرًا، مَحَلُّ نَظَرِ اللَّهِ مِنَ الْعَبْدِ، هُوَ مَلِكُ الْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ، بِصَلَاةِ تَصْلُحُ أَحْوَالُ الْعَبْدِ كُلُّهَا، وَيَفْسَادِهِ تَفْسُدُ، بِهِ يُقَطَّعُ سَفَرُ الْآخِرَةِ، وَبِهِ يُفْلِحُ الْعَبْدُ وَيَنْجُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ: {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٩]؛ إِنَّهُ الْقَلْبُ يَا عِبَادَ اللَّهِ، مَنْ عَرَفَ مَكَانَتَهُ اعْتَنَى بِهِ أَشَدَّ الْعِنَايَةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَفِي الْحَدِيثِ قَالَ ﷺ: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))^(٧)، ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، وَيَقُولُ: إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ))^(٨).

إِنَّ الْخَوْفَ مِنَ الرَّيْبِ بَعْدَ الْاسْتِقَامَةِ، وَالضَّلَالَةَ بَعْدَ الْهُدَى، حَاضِرٌ فِي صُورِ الرَّبَّانِيِّينَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ أُولِي الْأَلْبَابِ، فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ دُعَاءَهُمْ: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: ٨]، إِذَا كَانَ هَذَا دُعَاءُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الَّذِي أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَكَيْفَ بغيرِهِمْ؟ فَكَيْفَ بِحَالِ مَنْ جَعَلَ قَلْبَهُ عُرْضَةً لِكُلِّ آسِرٍ وَكَاسِرٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا أَثِقُ بِنَفْسِي: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۗ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٢٤].

الْقَلْبُ يَا عِبَادَ اللَّهِ هَدَفٌ لِلشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا عَلِمَ - عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسُ - أَنَّ مَدَارَ النَّجَاةِ عَلَى الْقَلْبِ، أَجْلَبَ عَلَيْهِ بِالْوَسَاوِسِ، وَالشَّهَوَاتِ، وَالشُّبُهَاتِ، وَزَيَّنَ لَهُ الْبَاطِلَ، وَنَصَبَ

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٢).

(٨) أخرجه الترمذي في سننه، (٢١٤٠) وصححه الألباني.

لَهُ الْمَصَائِدَ وَالْحَبَائِلَ؛ حَتَّى يُفْسِدَ هَذَا الْقَلْبَ، وَيَجْعَلَهُ بَعِيدًا عَنْ رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ، غَارِقًا فِي بَحْرِ الْفِتَنِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مَدَارَ سَعَادَةِ الْعَبْدِ عَلَى صَلَاحِ قَلْبِهِ، وَلِذَلِكَ كَانَ هُوَ مَحَلَّ نَظَرِ اللَّهِ: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))^(٩)؛ وَلِذَلِكَ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَرَوْنَ الْفَضْلَ وَالسَّبْقَ لِمَنْ سَبَقَ بِقَلْبِهِ صَلَاحًا وَطَهَارَةً وَبِرًّا وَصِدْقًا، وَيَرَوْنَ الْمَجَاهِدَةَ لِبُلُوغِ تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ أَقْرَبَ نَفْعًا، وَأَعْظَمَ غِنَاءً، وَأَشَدَّ عَنَاءً، مِنْ مُجَاهِدَةِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ عَلَى فِعْلِ نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ؛ فَمَنْ صَلَحَ قَلْبُهُ صَلَحَتْ جَوَارِحُهُ، وَصَحَّتْ نِيَّتُهُ، فَالْتَوَرَّ نُورُ الْقَلْبِ، وَالْبَصِيرَةُ بَصِيرَتُهُ، وَالصَّلَاحُ صَلَاحُهُ: { فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [الحج: ٤٦]، وَلِذَلِكَ سَبَقُوا بِرَّ الْقُلُوبِ وَطَهَارَتِهَا وَسَلَامَتِهَا، وَقُوَّةِ تَعَلُّقِهَا بِاللَّهِ.

اللَّهُمَّ أَحِبَّنَا مُسْلِمِينَ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِذَا كَانَ الْحَالُ كَمَا ذَكَرْنَا فَحَرِيٌّ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَبْذُلَ الْأَسْبَابَ وَالْوَسَائِلَ الْمُؤَدِّيَةَ لِصَلَاحِ قَلْبِهِ وَمِنْ عِظَمِهَا:

أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الدُّعَاءِ وَيَصْدُقَ فِي الْإِلْتِمَاءِ، وَلِذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَا مُثَبَّتِ الْقُلُوبِ، ثَبَّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ»^(١٠)، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا^(١١)، وَمِنْ دُعَائِهِ «وَأَسْأَلُ سَخِيمَةَ صَدْرِي»^(١٢)، وَتَعَوَّذَ ﷺ ((مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ))^(١٣).

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٥٦٤).

(١٠) أخرجه ابن ماجه في سننه، (١٩٩)، وصححه الأرئؤوط.

(١١) أخرجه النسائي في سننه، (١٣٠٤).

(١٢) أخرجه أبو داود في سننه، (١٥١٠) وصححه الألباني.

(١٣) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٧٢٢).

وَقُوَّةُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ [؟] فِي طَلَبِ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ صَالِحِ الْقَلْبِ وَمِنْ أَسْبَابِ صَالِحِهِ
 كَذَلِكَ تَدْبُرُ كِتَابَ اللَّهِ {يَتَأَيَّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ
 وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ٥٧]. شِفَاءٌ لِأَمْرَاضِ الشَّهَوَاتِ وَأَمْرَاضِ الشُّبُهَاتِ.
 وَمِنْ وَسَائِلِ الصَّلَاحِ الْقَلْبِ كَذَلِكَ أَنَّ الْإِبْتِعَادَ عَنِ الْفِتَنِ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:
 «تُعْرِضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ عَرْضَ الْحَصِيرِ، فَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيَضَاءً،
 وَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءً، حَتَّى يَصِيرَ الْقَلْبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: أَبْيَضَ مِثْلَ
 الصِّفَاءِ لَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُزَبَّدٌ كَالْكُوزِ مُجَحِّيًا.
 وَأَمَّا كَفَّهُ. لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ. ((١٤))
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَعِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَّقِبًا، وَاجْعَلْ قُلُوبَنَا
 نَقِيَّةً ظَاهِرَةً، وَأَعْمَالَنَا صَالِحَةً، وَأَلْسِنَتَنَا صَادِقَةً، وَارْزُقْنَا الثَّبَاتَ عَلَى دِينِكَ يَا رَبَّ
 الْعَالَمِينَ.

أثر الدعاء في صلاح القلب

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَدَارَ النَّفْقَى عَلَى إِصْلَاحِ الْقُلُوبِ: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)). (١٥)

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

اسْتِقَامَةُ الْقَلْبِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَقُورُ الْآخِرَةِ، وَالْمُتَمَلِّلُ فِي ادِّعِيَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَجِدُ ذَلِكَ ظَاهِرًا، مِمَّا يُوجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْعِنَايَةَ بِتِلْكَ الْأَدِّعِيَةِ، وَحِفْظَهَا وَمُلَازِمَةَ الدُّعَاءِ بِهَا؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ مَحَلُّ الْإِيمَانِ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَصَلَاحِ الْجَوَارِحِ مُلَازِمٌ لِصَلَاحِ الْقُلُوبِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَلَمَّا كَانَ الْقَلْبُ مَحَلَّ الْحُبِّ وَالْكَرْهِ وَالْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، كَانَ الدُّعَاءُ لَهُ بِحُبِّ الْإِيمَانِ وَكَرَاهِيَةِ الْكُفْرِ مِنَ الْأَدِّعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ، وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: ((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَرَيْبَهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرْهَ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ)). (١٦)، وَالْقَلْبُ يَزِيغُ عَنِ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالِ؛ وَلِذَا كَانَ مِنْ دُعَاءِ الرَّاسِخِينَ: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: ٨] وَكَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ الدُّعَاءَ بِتَثْبِيتِ الْقَلْبِ عَلَى الدِّينِ، فَكَانَ يَقُولُ: ((يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)). (١٧)

عِبَادَ اللَّهِ:

الْقَلْبُ قَائِدُ الْجَسَدِ، فَلَا يَذْهَبُ إِلَى الطَّاعَةِ إِلَّا بِأَمْرِهِ، وَلِذَا شُرِعَ الدُّعَاءُ بِتَضَرُّفِهِ عَلَى الطَّاعَةِ، فَكَانَ ﷺ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ)). (١٨)

(١٥) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٢).

(١٦) أخرجه أحمد في مسنده، (١٥٥٣١) تعليق شعيب الأرناؤوط: رجاله ثقات.

(١٧) أخرجه الترمذي في سننه (٢١٤٠)، وصححه الألباني.

(١٨) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٦٥٤).

وَسَلَامَةُ الْقَلْبِ نَجَاةٌ لِصَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ} ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ { [الشعراء: ٨٩]؛ لَذَا كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: ((اللَّهُمَّ اغْسِلْ قَلْبِي بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرْدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ)). (١٩)

وَعَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ أَنْ يَتَعَوَّدُوا مِنْ شَرِّ قُلُوبِهِمْ، وَتَعَوَّدَ ﷺ: ((مَنْ قَلْبٌ لَا يَخْشَعُ)) (٢٠)؛ لِأَنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى قَسْوَتِهِ، وَمِنْ دُعَائِهِ ﷺ: ((وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا)). (٢١)

وَالْقَلْبُ مُحْتَاجٌ إِلَى هِدَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الدَّوَامِ؛ لِكَثْرَةِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ أَدْوَاءِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَالْوَسَاوِسِ وَالْخَطَرَاتِ، وَمِنْ الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: ((رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَأَسْلِلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي)). (٢٢)

وَمَا أَحْوَجَ الْقَلْبَ إِلَى الِاسْتِصْغَاةِ بِالنُّورِ وَتَفْرِيعِ الْقَلْبِ مِنَ الْأَحْقَادِ، وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ: ((اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا)). (٢٣)

وَكَيْفَ بِقَلْبٍ مُلَى بِالْأَحْقَادِ وَالْأَصْغَانِ أَنْ يَجِدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ قَوْلُهُ {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة]، وَذَكَرَهَا بَيْنَ آيَاتِ الصِّيَامِ، فَمَا قَبْلَهَا حَدِيثٌ عَنِ الصِّيَامِ، وَمَا بَعْدَهَا حَدِيثٌ عَنْهُ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مِنْ مَظَانِّ الْإِجَابَةِ الْجِتْهَادَ فِي الدُّعَاءِ فِي رَمَضَانَ، وَفِي حَالِ الصِّيَامِ. فَاجْتَهِدُوا عِبَادَ اللَّهِ فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا مَأْتَمٌ وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ دَعْوَتَهُ، أَوْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهَا، أَوْ يَدْخِرَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَهَا)). (٢٤)

(١٩) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٠١٦).

(٢٠) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٢٢).

(٢١) أخرجه أحمد في مسنده، (١٧١٥٥) تعليق شعيب الأرناؤوط: حديث حسن بطرقه.

(٢٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٥١٠)، وصححه الألباني.

(٢٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٩٥٧).

(٢٤) أخرجه أحمد في مسنده، (١١١٤٩) تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده جيد.

اللِّسَانِ بِالسُّؤَالِ، وَحَقِيقَتَهُ الْإِفْتِقَارُ وَالْإِنْكَسَارُ، وَاللَّهُ أَرْحَمُ وَأَجْوَدُ وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَرُدَّ عَبْدًا لَجَأَ إِلَيْهِ أَوْ قَلْبًا انْكَسَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَقَدْ فَتَحَ أَبْوَابَهُ لِلْسَّائِلِينَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمُضْطَرِّينَ: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} [النمل: ٦٢].

وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ... تَوْحِيدُ الِاسْتِعَانَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ هُوَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، مَنْ اسْتَعَانَ بِاللَّهِ مُعْتَمِدًا بَقَلْبِهِ عَلَيْهِ أَعَانَهُ وَوَفَّقَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ بغيرِهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ تَعَلَّقَ بِهِ وَخَذَلَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَذَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَمَنْ اتَّقَاهُ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

رَفِيقَةُ الْمُسَافِرِ إِلَى رَبِّهِ، فَبِهَا هُدَى السَّبِيلِ، وَبِهَا يَبْدَأُ الْمَسِيرُ، وَبِهَا يَكُونُ الثَّبَاتُ، وَيَبْلُغُ بِهَا الْغَايَاتِ، وَلِعَظِمِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ أَفْرَدَهَا اللَّهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ، وَتَعَبَّدَ الْمُسْلِمُ بِهَا فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلَاتِهِ، إِنَّهَا الِاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ: مِنْ أَعْظَمِ وَاجِبَاتِ الْإِيمَانِ، وَأَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ الْمُقَرَّبَةِ مِنَ الرَّحْمَنِ، يَتَالِ بِهَا الْعَبْدُ السَّعَادَةَ، وَالْغِنَى عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ، وَيَتَالِ بِهَا رَاحَةَ الْقَلْبِ وَاطْمِئْنَانِ النَّفْسِ، وَكَمَالَ غِنَى الْعَبْدِ فِي تَعَلُّقِهِ بِرَبِّهِ، وَمَنْ تَرَكَ الِاسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ وَاسْتَعَانَ بِغَيْرِهِ، وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ اسْتَعَانَ بِهِ فَصَارَ مَخْذُولًا، فَصَلَّاحُ الْعَبْدِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَاسْتِعَانَتِهِ بِهِ، وَمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ لَمْ يَسْتَعِنْ بِغَيْرِهِ.

عِبَادَةُ اللَّهِ:

الِاسْتِعَانَةُ هِيَ: طَلَبُ الْعَوْنِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، الْمُتَضَمَّنُ لِكَمَالِ الدَّلِّ مِنَ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ، وَتَفْوِيزِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَخَذَهُ، وَاعْتِقَادِ كِفَايَتِهِ، فَهِيَ حَالَةٌ لِلْقَلْبِ تَنْشَأُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، وَالْإِيمَانِ بِتَفَرُّدِهِ بِالْخَلْقِ وَالتَّذْيِيرِ، وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ، وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَأَنَّ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَيُوجِبُ ذَلِكَ لِلْعَبْدِ اعْتِمَادًا عَلَى رَبِّهِ، وَاسْتِعَانَةً بِهِ، وَثِقَةً وَبِقِيَّتَا بِكَفَايَتِهِ.

عِبَادَةُ اللَّهِ:

آيَةٌ يُنَاجِي بِهَا الْمُسْلِمُ رَبَّهُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلَاتِهِ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥]، شِفَاءُ الْقُلُوبِ مِنْ دَاءِ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللَّهِ لِمَنْ تَدَبَّرَهَا وَعَقَلَهَا، وَقَدْ اجْتَمَعَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ، عَلَيْهِمَا مَدَارُ الْعُبُودِيَّةِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تَبَرُّؤُ مِنَ الشَّرِكِ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تَبَرُّؤُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَتَقْدِيمُ الْمَعْمُولِ هُنَا يُفِيدُ الْحَضَرَ، فَالْمَعْنَى: لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِكَ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

الْعِبَادَةُ هِيَ الْغَايَةُ الَّتِي خُلِقَ النَّاسُ لِأَجْلِهَا، وَالِاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ هِيَ الْوَسِيلَةُ إِلَيْهَا، فَإِذَا لَمْ يُعِنْ اللَّهُ عَبْدَهُ عَلَى طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَطْلُبِ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ إِعَانَتَهُ عَلَى ذَلِكَ، لَا تَحْصُلُ

مِنْهُ تَمَامُ الْعِبَادَةِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُدْرِكُ خَيْرٌ إِلَّا بِعَوْنِهِ، وَمِنْ أَعْظَمِ مَقَامَاتِ الْإِسْتِعَانَةِ: الْإِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُ، وَنُصْرَةِ الدِّينِ، وَالتَّفَرُّغِ لِعِبَادَتِهِ، وَمِنْ وَصَايَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» ^(٢٥)، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ» ^(٢٦)، وَأَوْصَى ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ [؟] أَنْ تَقُولَ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَتْ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ» ^(٢٧).

وَأَمَرَ النَّبِيُّ مُعَاذَ بْنِ جَبَلٍ أَنْ لَا يَدْعَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» ^(٢٨)، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

الْإِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَاللُّجُوءُ إِلَيْهِ هِيَ الَّتِي تُقَوِّي الْعَبْدَ، وَتُبَسِّرُ عَلَيْهِ الْأُمُورَ، وَبِقَدْرِ صَدَقِ الْإِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَالْإِفْتِقَارُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا، بِقَدْرِ مَا يَزُرُّكَ اللَّهُ التَّوْفِيقَ، وَالْبَرَكَةَ، وَالسَّعَادَةَ فِيمَا يُقَدِّرُهُ لَكَ، وَمِنْ أَمَارَاتِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ ضَعْفُ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَاعْتِمَادُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى الْحَوْلِ وَالطُّولِ، وَالْقُوَّةِ وَالْبَأْسِ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تُرَدُّ عِبَادَةُ الثَّقَةِ بِالنَّفْسِ، وَالثَّقَةِ بِقُدْرَاتِ فَلَانٍ، وَالْإِعْتِمَادِ عَلَى ذَلِكَ اعْتِمَادًا كَبِيرًا دُونَ الثَّقَةِ بِاللَّهِ، وَإِذَا اضْطُرَرْتَ إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ بِمَخْلُوقٍ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ وَسِيلَةً وَسَبَبًا، لَا رُكْنًا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ. اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ نَرْجُو، فَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا. رَحِمَكُمُ اللَّهُ. عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(٢٥) أخرجه الترمذي في سننه، (٢٥١٦)، وصححه الألباني.

(٢٦) أخرجه أبو داود في سننه، (١٥١٠)، وصححه الألباني.

(٢٧) أخرجه الطبراني في معجمه الصغير، (١/ ٢٧٠).

(٢٨) أخرجه أبو داود في سننه (١٥٢٢)، وصححه الألباني.

إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ... دُعَاءِ الْعُمَر

الْحَمْدُ لِلَّهِ يَجْتَبِي مِنْ عِبَادِهِ مَنْ يَشَاءُ فَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: 69] يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِحُكْمَتِهِ وَعَذَلِهِ، وَمَا اهْتَدَى عَبْدٌ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَإِذْنِهِ، وَمَا ضَلَّ عَبْدٌ إِلَّا بِإِعْرَاضِهِ وَتَنَكُّرِهِ لِهَدْيِ رَبِّهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ حَقَّ التَّقْوَى، فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ الْهُدَى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

دُعَاءٌ عَظِيمٌ؛ حَاجَةُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ أَشَدُّ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، هُوَ أَعْظَمُ الدُّعَاءِ وَأَحْكَمُهُ وَأَنْفَعُهُ وَأَجْمَعُهُ، هَذَا الدُّعَاءُ هُوَ حَظُّ الْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ، وَلَمْ يُعْطِ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَفْضَلَ مِنْهُ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى سَعَادَةِ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا بِهِ، وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ. عَلَى شِدَّةِ حَاجَةِ عِبَادِهِ إِلَيْهِ. فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلَاتِهِمْ: {إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: 6]، فَسُؤَالُ اللَّهِ الْهِدَايَةِ هُوَ أَعْظَمُ مَطْلُوبٍ يَتَوَجَّهُ الْعَبْدُ فَيَسْأَلُ رَبَّهُ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ افْتِقَارِ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْهِدَايَةَ بِيَدِ اللَّهِ: {مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام: 39]، وَلَوْ لَمْ تَكُنِ الْهِدَايَةُ أَكْبَرَ نِعْمَةٍ فِي حَيَاةِ الْعَبْدِ لَمَا عَلَّمَنَا الْحَقُّ أَنْ نَدْعُو بِهَا فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلَاتِنَا.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِذَا هَدَى اللَّهُ عَبْدَهُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَعَانَهُ عَلَى طَاعَتِهِ وَتَرَكَ مَعْصِيَتَهُ؛ فَلَمْ يُصِبْهُ شَرٌّ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَتَتَحَقَّقُ لَهُ هِدَايَةُ عِلْمِيَّةٌ؛ ثَمَرَتُهَا: الْعِلْمُ بِالْحَقِّ وَالْبَصِيرَةُ فِي الدِّينِ، وَهِدَايَةُ عَمَلِيَّةٌ، ثَمَرَتُهَا: إِزَادَةُ الْحَقِّ، وَالْعَمَلُ بِهِ.

حَيَاتُكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ؛ إِنَّمَا هِيَ سَيْرٌ إِلَى اللَّهِ؛ فَإِمَّا أَنْ تَسْلُكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا يُوصِلُكَ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَإِمَّا أَنْ تَسْلُكَ سَبِيلًا مُتَفَرِّقًا تُوصِلُكَ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ. فَأَظْهَرِ افْتِقَارَكَ إِلَى اللَّهِ، وَاصْدُقْ فِي ظَلَبِ الْهِدَايَةِ مِنْهُ، وَاسْأَلْهُ وَأَنْتَ مُوقِنٌ بِحَاجَتِكَ إِلَيْهِ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَى سَعَادَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا بِاسْتِقَامَتِكَ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، فَالْمَرْءُ بِلَا هِدَايَةٍ كَالْأَنْعَامِ بَلْ أَضَلُّ سَبِيلًا.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

الْهَدَايَةُ لِلْحَقِّ وَالْعَمَلُ بِهِ مِنْ اللَّهِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِهِ: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِيكُمْ» (٢٩)، وَاسْتَشْعِرْ عَظِيمَ نِعْمَةِ اللَّهِ وَأَنْتَ تُتَاجِجُهُ فِي صَلَاتِكَ، وَهُوَ يُجِيبُكَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:
الَّذِينَ يَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى الْهَدَايَةَ لِيَسُوَ سَوَاءٌ فِي هَذَا السُّؤَالِ الْعَظِيمِ، بَلْ يَتَفَاوَتُونَ فِيهِ مِنْ وُجُوهِ:

١. حُضُورُ الْقَلْبِ عِنْدَ الدُّعَاءِ؛ فَلَيْسَ دُعَاءُ الْمَذْرُوكِ الْوَاعِي كَدُعَاءِ الْغَافِلِ اللَّاهِي.
 ٢. الْإِحْسَانُ فِي الدُّعَاءِ؛ فَلَيْسَ مَنْ يَدْعُو بِتَضَرُّعٍ وَتَقَرُّبٍ خَوْفًا وَطَمَعًا، وَيَشْهَدُ اضْطِرَارَهُ إِلَى إِبَاجَةِ اللَّهِ لِدُعَائِهِ كَمَنْ هُوَ دُونَ ذَلِكَ.
 ٣. مَقَاصِدُ الدَّاعِي مِنْ سُؤَالِ الْهَدَايَةِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْأَكْمَلَ لِلْعَبْدِ أَنْ يَقْصِدَ بِسُؤَالِهِ الْهَدَايَةَ التَّامَّةَ الَّتِي يُبْصِرُ بِهَا الْحَقَّ وَيَتَّبِعُ بِهَا الْهُدَى.
- هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا. رَحِمَكُمُ اللَّهُ. عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٥٦].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَسَلِّمْ، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ وَعَفْوِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

التَّوْفِيقُ... أسبابه وموانعه

الْحَمْدُ لِلَّهِ اخْتَصَّ بِفَضْلِهِ أَقْوَامًا فَكَانُوا هُدَاةً مُؤَفِّقِينَ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ فَهُوَ خَيْرُ مُعِينٍ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِنْ ذُنُوبٍ تُظْفِي نُورَ الْقُلُوبِ وَتَحْجُبُ عَنِ الْعَبْدِ أَبْوَابَ التَّوْفِيقِ، مَنْ وَفَّقَهُ رَبُّهُ أَصَابَ الْقَصْدَ بِأَقْرَبِ أَيْسَرِ طَرِيقٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ { [الحديد: ٢٨].

عباد الله:

هُوَ هِبَةٌ إلهِيَّةٌ وَمَنْحَةٌ رَبَّانِيَّةٌ مِنْ أَجْلِ نِعَمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِعِبَادِهِ الْمُخْلِصِينَ الصَّادِقِينَ، تُفْتَحُ بِهِ الْأَبْوَابُ وَتَلِينُ بِهِ الشَّدَائِدُ وَالصَّعَابُ، وَيَأْتِي بِهِ الْفَرْجُ وَلَوْ ضَاقَتْ الْأَسْبَابُ؛ إِنَّهُ التَّوْفِيقُ، عَطَاءٌ يَمْنَحُهُ الْكَرِيمُ الْوَهَّابُ.

عباد الله:

وَلَا تَتِمَّ الْأَعْمَالُ وَلَا تَصْلُحَ وَلَا تُؤْتَى ثِمَارُهَا إِلَّا بِتَوْفِيقٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَبِالتَّوْفِيقِ يَا عِبَادَ اللَّهِ يُصِيبُ صَاحِبَهُ الْقَصْدَ بِأَقْرَبِ وَأَيْسَرِ طَرِيقٍ.

إخوة الإيمان:

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ التَّوْفِيقَ أَنْ لَا يَكِلَكَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِكَ، وَالْخِذْلَانُ أَنْ يَخْلِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ. فَالتَّوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ وَمِفْتَاحُهُ التَّصَرُّعُ وَالِدُّعَاءُ وَالْإِفْتِقَارُ وَصِدْقُ اللَّجَا وَالرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ إِلَيْهِ، فَمَتَى أُعْطِيَ الْعَبْدُ هَذَا الْمِفْتَاحَ فَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ، وَفِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: ((يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ)). (٣٠)

وَمِنْ أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ يَا عِبَادَ اللَّهِ: صِدْقُ النِّيَّةِ وَصَلَاحُهَا، قَالَ تَعَالَى: { إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا } [النساء: ٣٥]، فَمَنْ نَوَى الْخَيْرَ هَيَّا اللَّهُ لَهُ أَسْبَابَهُ وَفَتَحَ لَهُ أَبْوَابَهُ، وَمَنْ أَصْلَحَ نِيَّتَهُ فِيمَا يَتَوَخَّاهُ وَفَقَهُهُ اللَّهُ لِمُبْتَغَاهُ، وَعَلَى قَدَرِ صَفَاءِ النُّوَايَا تَنَزَّلُ الْعُظَايَا: { إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ } [الأنفال: ٧٠]، فَعَلَى قَدَرِ صِدْقِ نِيَّةِ الْعَبْدِ يَكُونُ تَوْفِيقُهُ، وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ الْعَبْدَ الْخَيْرَ بِنِيَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ، فَلْيَتَفَقَّدْ كُلُّ مَنَّا نِيَّتَهُ، فَإِنَّ صَلَاحَ النِّيَّةِ مِفْتَاحُ التَّوْفِيقِ.

٣٠ () أخرجه أبو داود في سننه، (٥٠٩٠) قال الألباني: حسن الإسناد.

وَمِنْ أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ: صِدْقُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَاعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَيْهِ وَتَفْوِيزُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ، وَهِيَ لُزُومُ الْقَلْبِ طَاعَةَ اللَّهِ، وَأَنْ يَنْخَلَعَ الْمَرْءُ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَيَسْأَلَ رَبَّهُ أَنْ لَا يَكِلَهُ إِلَى نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَيَحْذَرُ أَشَدَّ الْحَذَرِ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالْأَسْبَابِ وَالرُّكُونِ إِلَيْهَا. قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨].

وَمِنْ أَسْبَابِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَالْقَالَ الْحَسَنُ، فَاللَّهُ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

وَمِنْ أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ: الصَّبْرُ وَبَذْلُ الْجُهْدِ وَاسْتِيفْرَاجُ الْوُسْعِ فِي تَحْصِيلِ الْمَقْصِدِ، وَالْحَذَرُ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَفِي الْحَدِيثِ: ((اُخْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ)). (٣١)

وَمِنْ أَسْبَابِهِ: مُلَازِمَةُ الْإِسْتِغْفَارِ، وَصُحْبَةُ الْأَخْيَارِ، وَسَلَامَةُ الصَّدْرِ، وَظَهَارَةُ الْقَلْبِ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْإِحْسَانُ، وَتَفْعُ النَّاسِ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَشُكْرُ الْمُنْعِمِ، وَحُسْنُ الْمَشُورَةِ، وَصَلَاةُ الْإِسْتِخَارَةِ، وَصِدْقُ الْعَزِيمَةِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ. قَالَ تَعَالَى: {فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ} [آل عمران: ٢١] فَعَزِيمَةُ الْقَصْدِ تَمْنَعُهُ مِنْ ضَعْفِ الْإِرَادَةِ وَالْهَمَّةِ، وَصِدْقُ الْفِعْلِ يَمْنَعُهُ مِنَ الْكَسَلِ وَالْفُتُورِ، وَمَنْ صَدَقَ اللَّهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ صَنَعَ اللَّهُ لَهُ فَوْقَ مَا يَصْنَعُ لِبَعْضِهِ.

وَأَعْلَى مَرَاتِبِ تَوْفِيقِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ أَنْ يُحَبِّبَ إِلَيْهِ الْإِيمَانَ وَالطَّاعَةَ، وَيُكَرِّهَ إِلَيْهِ الْكُفْرَ وَالْمَعْصِيَةَ، وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ الَّتِي نَالَهَا أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، وَامْتَنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ}، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عِبَادَ اللَّهِ:

لَيَتَفَقَّدُ كُلُّ مَنَّا قَلْبَهُ إِذَا أُغْلِقَ عَنْهُ بَابُ التَّوْفِيقِ؛ فَإِنَّ مِنْ مَوَانِعِ التَّوْفِيقِ الْمَعَاصِيَ وَالْإِضْرَارَ عَلَيْهَا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَام [٢]: "وَمِنَ الْمَعْلُومِ بِمَا أَرَانَا اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِنَا، وَبِمَا شَهِدَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: أَنَّ الْمَعَاصِيَ سَبَبُ الْمَصَائِبِ" (٣٢)، فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يُجَدِّدَ التَّوْبَةَ

(٣١) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٦٦٤).

(٣٢) مجموع الفتاوى، (١٣٨ / ٢٨).

إِلَى اللَّهِ، وَيُكْثِرَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} [النساء: ٧٩].
وَمِنْ مَوَانِعِ التَّوْفِيقِ:

أَكْلُ الْحَرَامِ، وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ، وَسُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَالتَّهَافُوتُ فِي الصَّلَوَاتِ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ، وَعُفُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَالْعُجْبُ بِالنَّفْسِ. فَمَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ، وَمَنْ اسْتَعْنَى بِعَقْلِهِ ذَلَّ، وَاعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ عَقْلِهِ.
فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، احْرُصُوا عَلَى أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ، وَخُذُوا بِمَا يَقَرِّبُكُمْ إِلَى رِضَا رَبِّكُمْ، وَاحْذَرُوا مَوَانِعَهُ الَّتِي تَحْجُبُ الْعَبْدَ عَنْ فَضْلِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ، وَتُورِثُ الْخُذْلَانَ وَالضَّلَالَ.
وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً صَادِقَةً، وَأَصْلِحُوا سَرَائِرَكُمْ، وَأَحْسِنُوا ظَنَكُمْ بِرَبِّكُمْ، فَإِنَّ التَّوْفِيقَ بِيَدِ اللَّهِ، يَمْنَحُهُ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ. نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوقِفَنَا وَأَيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَأَنْ يَجْعَلَ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا} [الكهف: ١٠].

«التَّقَاؤُ» وَقَوْدُ الْعَمَلِ وَالنَّجَاحِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَيُسَلِّمُ وَجْهَهُ إِلَيْهِ، لَا يُخَيِّبُ عَبْدًا أَحْسَنَ الظَّنِّ بِهِ وَقَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْهِ، وَلَا يَرُدُّ عَبْدًا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِرَبِّهِ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال: ٢٩]. اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا أَنْتَ

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كَلِمَةُ جَمِيلَةٍ، وَمَعْنَى يُضْفِي عَلَى النَّفْسِ الْبَهْجَةَ وَالسُّرُورَ، وَيَبْعَثُ فِيهَا الرَّاحَةَ وَالطَّمَأْنِينَةَ، وَيَجْلِبُ لَهَا السَّعَادَةَ وَالسَّكِينَةَ، فِيهِ تَقْوِيَةٌ لِلْعَزَائِمِ، وَمَعُونَةٌ عَلَى الظَّفَرِ، وَبَاعِثٌ عَلَى الْجِدِّ وَالْعَمَلِ، مَنْ حَقَّقَهُ انْشِرَاحُ صَدْرِهِ، وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ، وَطَابَ عَيْشُهُ؛ إِنَّهُ التَّقَاؤُ يَا عِبَادَ اللَّهِ، فَهُوَ انْشِرَاحُ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، وَاحْسَانُهُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ، وَتَوَقُّعُ الْخَيْرِ. كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ الْقَالُ؛ لِأَنَّ التَّقَاؤُ فِيهِ حُسْنُ ظَنٍّ بِاللَّهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ، فِيهِ الْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ» (٣٣)، أَمَّا النَّشَاؤُ فَهُوَ سُوءُ ظَنٍّ بِاللَّهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ؛ فَإِنْ قَوْمًا قَدْ أَرَادَهُمْ سُوءُ ظَنِّهِمْ بِاللَّهِ». (٣٤)

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

يَزْخُرُ الْقُرْآنُ بِنَمَازِجِ الصَّفْوَةِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَأَوْلِيَائِهِ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، كَانَ التَّقَاؤُ مِنْهَجًا لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ فِي أَحْلَاكِ الظُّرُوفِ وَأَشَدِّ سَاعَاتِ الْبِلَادِ، وَكَيْفَ أَنَّ اللَّهَ كَانَ عِنْدَ ظَنِّهِمْ بِهِ فَلَمْ يَخْذُلْهُمْ، وَلَمْ يَقْطَعْ رَجَاءَهُمْ، وَلَمْ يُخَيِّبْ أَمَالَهُمْ، أَفَرُّوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ} ٦١ ﴿﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ { [الشعراء: ٦٢]، وَأَفَرُّوا: } {إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠].

(٣٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٩٧٠).

(٣٤) أخرجه أحمد في مسنده (١٤١٥٧) تعليق شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

كَيْفَ يَحْزَنُ مَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ؟ فَاسْتَشْعَارَ الْعَبْدُ لِمَعِيَةِ اللَّهِ يَجْعَلُهُ أَكْثَرَ تَقَاوُلًا: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٤]، {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٢٢].

فَقَدْ يَغْقُوبُ ابْنَهُ يُوسُفَ ثُمَّ أَخَاهُ مِنْ بَعْدِهِ فَلَمْ يَتَسَرَّبِ الْيَأْسُ إِلَى قَلْبِهِ، وَلَمْ يَفْطِنْ مِنْ رُوحِ رَبِّهِ، بَلِ اسْتَصْحَبَ الْفَأَلَ وَالْأَمَلَ: {فَصَبِّرْ ۖ كَبِيرٌ ۚ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا} [يوسف: ٨٣]، وَقَدْ كَانَ لَهُ ذَلِكَ كُلُّهُ، فَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ بِأَوْلَادِهِ جَمِيعًا، وَرَدَّ إِلَيْهِ بَصَرَهُ الَّذِي فَقَدَهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ تَقَاوُلَ الْعَبْدِ دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ، فَهُوَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُرِيدُ لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ إِلَّا الْخَيْرَ {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ}، وَيَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ اخْتِيَارَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ خَيْرٌ مِنْ اخْتِيَارِ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}. {الْمُتَفَائِلُ حِينَ يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} يَعْلَمُ أَنَّهُ كُلَّمَا وَجَدَ عُسْرًا وَصُعُوبَةً فَإِنَّ الْيُسْرَ يُقَارِنُهُ وَيُصَاحِبُهُ، وَكُلُّ عَسِيرٍ فِي بَاطِنِهِ يُسْرٌ عَظِيمٌ، فَيَقْنُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ بِرَبِّكَ، وَاصْذُقْ فِي تَوَكُّلِكَ، وَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِهِ، وَاسْتَصْحِبِ الصَّبْرَ، وَانْتَظِرِ الْفَرَجَ، وَلَا زِمِ الدُّكْرَ، وَاجْتَهِدْ فِي الدُّعَاءِ، وَصَاحِبِ الْمُتَفَائِلِينَ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ الظَّنَّ بِرَبِّهِمْ، وَكُنْ عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكُرْبِ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَخْتَارَ الْأَلْفَاظَ الْحَسَنَةَ الَّتِي تَبْتُ رُوحَ الْفَأَلِ، وَأَنْ يَتَجَنَّبَ الْأَلْفَاظَ الَّتِي فِيهَا شَوْمٌ؛ فَقَدْ يَقَعُ عَلَيْهِ مَا قَالَهُ عُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا بِسُوءِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً.

أَحْفَظْ لِسَانَكَ أَنْ تَقُولَ فَتُبْتَلَى إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمُنْطِقِ. «دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ يَعُودُهُ، فَقَالَ: ((لَا بَأْسَ، طُهِورُ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ فَقَالَ: كَلَّا، بَلْ حُمِيَ تَفُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تَزِيرُهُ الْقُبُورُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: نعم إذا» (٣٥)، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: فَمَاتَ الرَّجُلُ مِنْ لَيْلَتِهِ.

فَيَنْتَبِغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ كُلِّ قَوْلٍ فِيهِ شُؤْمٌ؛ لِأَنَّهُ قَدْ تَقَعُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةُ
بِسَبَبِ سُوءِ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ.
وَقَدْ أَثْبَتَتِ الدَّرَاسَاتُ الطَّبِيبَةُ أَنَّ هُنَاكَ عِلَاقَةً وَطِيدَةً بَيْنَ النَّشَاؤِ وَبَيْنَ حَالَاتِ
الْإِكْتِنَابِ، وَالْقَلَقِ، وَالْأَرْقِ، وَالْإِنْطَوَاءِ، وَالْجُمُودِ، وَالْعُزْلَةِ، وَضَعْفِ مَنَاعَةِ الْجِسْمِ.
وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً وَيُشَيِّبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهِرِمُ.
فَكَمْ مِنْ مَرِيضٍ كَانَتْ عِلَّتُهُ فِي نَشَاؤِهِ وَاسْتِدْعَائِهِ الْهُمُومَ وَالْأَحْزَانَ، فَتَضَيَّقُ عَلَيْهِ
الدُّنْيَا حَتَّى يَكُونَ كَالْمَيِّتِ فِي ثَوْبِ حَيٍّ.

مَقَامُ الشُّكْرِ... مَظَاهِرُ وَوَسَائِلُهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، أَتَمَّ لِعِبَادِهِ بِنِعْمَتِهِ مَوَاسِمَ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ، وَأَفَاضَ فِيهَا عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ السَّابِقِينَ إِلَى الْخَيْرَاتِ بِعَظِيمِ الْعَطَايَا وَالْهَبَاتِ، وَكَتَبَهَا لَهُمْ عِنْدَهُ مِنَ الْقُرْبَاتِ وَالْمُنْجِيَاتِ وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

مَقَامٌ مِنْ مَقَامَاتِ الْعُبُودِيَّةِ، عَظَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ شَأْنَهُ، أَمَرَ بِهِ وَأَثْنَى عَلَى أَهْلِهِ، لَا يُحَقِّقُهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ الْعِبَادِ، مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ أَثَرًا عَلَى الْقَلْبِ، وَشَرَحًا لِلصَّدْرِ، وَرِضًا فِي النَّفْسِ؛ إِنَّهُ مَقَامُ الشُّكْرِ وَقَضْلُ الشَّاكِرِينَ، وَلِعَظِيمِ قَدْرِهِ حَصَّ اللَّهُ الشَّاكِرِينَ بِمَنْتِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ عِبَادِهِ {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} [الأنعام: ٥٣]، وَوَعَدَهُمْ بِالْجَزَاءِ الْحَسَنِ {وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٥].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

نِعْمُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ كَثِيرَةٌ لَا تَحْصَى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [النحل: ١٨]، نِعْمَ ظَاهِرَةٌ وَنِعْمَ بَاطِنَةٌ، نِعْمَ دِينِيَّةٌ وَنِعْمَ دُنْيَوِيَّةٌ {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} [الانفطار: ٨]، {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ} [لقمان: ٢٠]، مَا أَكْثَرَ نِعَمَ اللَّهِ وَمَا أَقَلَّ الشَّاكِرِينَ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ: {وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٧٢]، فَلَا يَغْبُودُونَهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ إِلَّا الشَّاكِرُونَ.

عِبَادَةُ اللَّهِ:

يَعُظَّمُ قَدْرُ الشُّكْرِ بِكَوْنِهِ مَقْرُونًا بِالْإِيمَانِ، وَجَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا مَانِعًا مِنْ عَذَابِهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ} [النساء: ١٤٧]، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ [٢]: الشُّكْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ. وَأَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ رِضَاهُ فِي الشُّكْرِ فَقَالَ تَعَالَى {وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: ٧]، فَالْإِنْسَانُ، عِبَادُ اللَّهِ، إِمَّا أَنْ يَشْكُرَ وَإِمَّا أَنْ يَكْفُرَ، وَلَا ثَالِثَةَ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان: ١].

عِبَادَةُ اللَّهِ:

وَصَفَّ اللَّهُ بِالشُّكْرِ ثُلَّةً مِنْ أَنْبِيَائِهِ، فَقَالَ عَنْ نُوحٍ {إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء: ٣]، وَقَالَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ: {شَاكِرًا لِنِعْمِهِ} [النحل: ١٢١]، وَنَبِيَّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ يُبَيِّنُ أَنَّ مَا هَدَيْ إِلَيْهِ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى وَالدِّيهِ لِلْإِسْلَامِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ تَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ فَقَالَ: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَلَدِي}

[النمل: ١٩]، وَوَابْتَلَىٰ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالسَّجْنِ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ لِهَذَا الْإِبْتِلَاءِ الْعَظِيمِ فِي مُقَابِلِ نِعْمَةٍ هِيَ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَهِيَ نِعْمَةُ الْهَدَايَةِ، فَقَالَ فِي سَجْنِهِ {ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [يوسف: ٣٨]. فَالشَّاكِرُونَ لَا يَشْكُونَ الْمَصَائِبَ، وَلَا يَنْسَوْنَ النِّعَمَ، بَلْ يَنْسَوْنَ مُصِيبَاتِهِمْ فِي مُقَابِلِ مَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنَ النِّعَمِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَالشُّكْرُ عِبَادَ اللَّهِ يَتَعَلَّقُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: بِالْقَلْبِ لِلْمَعْرِفَةِ وَصِدْقِ الْمَحَبَّةِ، وَبِاللِّسَانِ لِلثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ، وَبِالْجَوَارِحِ لِاسْتِعْمَالِهَا فِي طَاعَةِ الْمَشْكُورِ وَكَفِّهَا عَنِ مَعَاصِيهِ، وَيَكُونُ الشُّكْرُ فِي جَانِبِ الْعَمَلِ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي جَانِبِ الْقَوْلِ، قَالَ تَعَالَى: {أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا} [سبأ: ١٣]، وَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، وَتَتَوَرَّمَ سَاقَاهُ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، وَيَقُولُ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» (٣٦)، وَقَدْ صَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ غَاشُورَاءَ شُكْرًا لِلَّهِ، ثُمَّ صَامَهُ نَبِيُّنَا ﷺ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَأِطَاعَتُكَ فِي صَلَاتِكَ، وَكَثْرَةُ صِيَامِكَ، وَبَذْلُكَ مِنْ مَالِكَ لِصَدَقَاتِكَ، وَعِنْدَمَا تَتَجَدَّدُ لَكَ نِعْمَةٌ أَوْ تَنْدَفِعَ عَنْكَ بَلِيَّةٌ تَخِرُّ لِلَّهِ سَاجِدًا سُجُودَ شُكْرِ. وَدَوَامُ ذِكْرِ اللَّهِ، وَالْمُسَارَعَةُ إِلَى طَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابُ مَعْصِيَتِهِ، بِقَلْبٍ مُحِبٍّ، وَلِسَانٍ ذَاكِرٍ، وَجَوَارِحٍ مُتَقَرِّبَةٍ، مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِيرِ شُكْرِ اللَّهِ وَمِنْ ذَلِكَ الدُّعَاءُ صَبَاحًا وَمَسَاءً: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحَدَاكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمِسي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ» (٣٧).

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عِبَادَ اللَّهِ: ثَمَّةُ أُمُورٌ تُعِينُ عَلَى الشُّكْرِ، مِنْهَا:

الْإِلْتِمَاءُ إِلَى اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ وَالْإِلْحَاحِ، كَمَا فِي وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى آلِهِ وَوَسَلَّمَ لِمُعَاذٍ: «يَا مُعَاذُ، لَا تَدْعَنَّ أَنْ تَقُولَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» (٣٨)، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ زَاهِبًا، لَكَ مُطِيعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا» (٣٩). وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى

(٣٦) أخرجه البخاري في صحيحه، (١٠٧٨).

(٣٧) أخرجه أبو داود في سننه (٥٠٧٣).

(٣٨) أخرجه أبو داود في سننه، (١٥٢٢)، وصححه الألباني.

(٣٩) أخرجه أبو داود في سننه، (١٥١٠)، وصححه الألباني.

ذَلِكَ: اسْتِحْضَارُ الْعَبْدِ كَمَالَ قُدْرَةِ اللَّهِ، وَغِنَاهُ الْمُطْلَقَ، وَكَمَالَ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ وَحِلْمِهِ،
 {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ} [لقمان: ١٢].
 وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ: التَّفَكِيرُ الدَّائِمُ فِي كَثْرَةِ نِعَمِ اللَّهِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يُحْصِيهَا، ﴿وَإِنْ
 تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى
 ذَلِكَ: التَّفَكِيرُ فِي عِظَمِ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حِينَ يُسْأَلُ الْعَبْدُ عَنْ شُكْرِ
 تِلْكَ النِّعَمِ، {ثُمَّ لِنُسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر: ٨]، ثُمَّ النَّظَرُ فِيمَا فَضَّلَكَ اللَّهُ بِهِ.

الاستِغْفَارُ... دَابُّ الْمُؤْمِنِينَ وَسَبِيلُ الصَّالِحِينَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَافِرِ الذَّنْبِ، وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ، يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ: { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [الأنعام: ٥٤]، عَظَّمَ حِلْمُهُ بِخَلْقِهِ، وَسَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَلَا وَصِيَّةَ أَعْظَمَ وَلَا أَنْفَعَ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ لِمَنْ عَقَلَهَا وَاتَّبَعَهَا: { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ } [النساء: ١٣١].

عِبَادَ اللَّهِ:

هُوَ جَلَاءُ الْقُلُوبِ، وَدَوَاءُ الذُّنُوبِ، دَابُّ الْمُؤْمِنِينَ الْأَبْرَارِ، وَسَبِيلُ الصَّالِحِينَ الْأَخْيَارِ، وَطَرِيقُ يَوْصِلُ إِلَى رَحْمَةٍ وَمَغْفِرَةٍ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، نَدَمٌ وَاعْتِدَارٌ، وَتَذَلُّلٌ وَانْكِسَارٌ، فَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ، وَبَرَكَاتُهُ غَزِيرَةٌ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَأَثَرُهُ عَلَى أَهْلِهِ: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَكُنْ لَهُ أَثَرٌ} [آل عمران: ١٣٥]: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظِلْمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: ١١٠]، إِنَّهُ الْإِسْتِغْفَارُ يَا عِبَادَ اللَّهِ؛ بِهِ تُسْتَنْزَلُ الرَّحْمَاتُ، وَبِهِ تُفْتَحُ عَلَى الْعِبَادِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ الْبَرَكَاتُ: {وَيَقُومُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ} [هود: ٥٢]، {وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} [نوح: ١٢]، بِهِ أَمَانٌ مِنَ الْعَذَابِ: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: ٣٣]، بِهِ تُنَالُ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ وَالْمَتَاعُ الْحَسَنُ، قَالَ تَعَالَى: {وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} [هود: ٣]، بِهِ تُنَالُ الرَّحْمَاتُ: {لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النمل: ٤٦].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

نَحْذَرُ كُلَّ الْحَذَرِ أَنْ يَرَانَ عَلَى قُلُوبِنَا بِذُنُوبِنَا بِسَبَبِ غَفْلَتِنَا عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكُتُهُ سُودَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صَقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ

رَادَ رَادَتْ، حَتَّى يَغْلُو قَلْبَهُ ذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ [؟] فِي الْقُرْآنِ: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: ١٤]]. (٤٠)

فَالِإِضْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ آفَةٌ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُعَالِجَ نَفْسَهُ مِنْهَا، وَمِنْ عِلَامَاتِ حَيَاةِ الْقَلْبِ النَّدَمُ عَلَى الْمَعَاصِي، وَالْمُبَادَرَةُ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَمِنْ هُنَا فَرَّقَ الْعَارِفُونَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَبَيْنَ الْفَاجِرِ الَّذِي يَرَى ذُنُوبَهُ مِثْلَ دُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَذَبَّهُ عَنْهُ.

إِحْوَةٌ الْإِيمَانِ:

إِنَّ الْاسْتِغْفَارَ بِاللِّسَانِ لَا بُدَّ أَنْ يُصَاحِبَهُ اسْتِشْعَارٌ بِالْقَلْبِ، وَتَذَلُّلٌ وَانْكِسَارٌ، وَنَدَمٌ وَاعْتِدَارٌ، فَمَنْ قَالَ بِلِسَانِهِ: اسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَقَلْبُهُ مُصِرٌّ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، فَاسْتَغْفَرَهُ هَذَا يَخْتَاجُ إِلَى اسْتِغْفَارٍ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عِبَادَ اللَّهِ:

قَدْ وَصَفَ رَبُّنَا الْكَرِيمُ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ بِأَنَّهُ غَافِرُ الذَّنْبِ، وَخَيْرُ الْغَافِرِينَ، وَأَنَّهُ غَفُورٌ غَفَّارٌ، وَأَنَّهُ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ، وَأَنَّهُ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ، وَأَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ} [البقرة: ٢٢١].

((يَا بَنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَتَابِي، يَا بَنَ آدَمَ لَوْ بَلَغْتَ ذُنُوبَكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَتَابِي، يَا بَنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْنُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)) (٤١)

((يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تَخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ)). (٤٢)

فَلَا تَسْتَغْظِمُ ذُنُوبَكَ مَهْمَا بَلَغَتْ أَمَامَ مَغْفِرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَمَنْ أَقْوَى عَوَامِلِ حُصُولِ الْمَغْفِرَةِ: الْيَقِينُ وَالرَّجَاءُ بِاللَّهِ، وَعَدَمُ الْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَتِهِ، أَوِ الْيَأْسُ مِنْ رَوْحِهِ، فَاللَّهُ أَكْرَمُ وَأَرْحَمُ مِنْ أَنْ يَزُدَّ عَبْدًا لَجَأً إِلَيْهِ، أَوْ قَلْبًا انْكَسَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

٤٠) أخرجه الترمذي في سننه (٣٣٣٤)، وحسنه الألباني.

٤١) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٤٠)، وصححه الألباني.

٤٢) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٥٧٧).

التَّسْبِيحُ ذِكْرُ اللِّسَانِ وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينُونَ ﴿٢٦﴾ } [الروم] { وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ } [الفصr]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هُوَ كَثْرٌ مِّنْ كُنُوزِ الْحَسَنَاتِ، وَسَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَعِبَادَةٌ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ، افْتُتِحَتْ بِهِ سَبْعُ سُورٍ سُمِّيَتْ بِالْمُسَبِّحَاتِ، هُوَ عَلَامَةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَمِنْ أَفْضَلِ الْكَلَامِ وَأَحَبِّهِ لِلرَّحْمَنِ، وَمِنْ أَثْقَلِ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ، وَيَنَالُ بِهِ الْمَرْءُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالرُّضْوَانَ، حِفْلَ الْقُرْآنِ بِذِكْرِهِ فِي أَكْثَرِ مِنْ سَبْعِ وَثَمَانِينَ آيَةً، إِنَّهُ التَّسْبِيحُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَلِمَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُ جَعَلَ هَذَا الْكُونُ كُلَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ: { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمُوتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَفُورًا } [الإسراء: ٤٤].

التَّسْبِيحُ عِبَادَةُ اللَّهِ: هُوَ شِعَارُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَوْفِيقٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ عِبَادَةٌ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، قَالَ تَعَالَى عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: { كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا } [طه]، وَأَمَرَ اللَّهُ بِهِ زَكْرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: { وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشيِّ } [آل عمران]، وَقَالَ عَنْ نَبِيِّهِ دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: { إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشيِّ وَالْإِشْرَاقِ } [ص]، وَأَمَرَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالَ: { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ } [الحجر]، وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يَخْتِمَ حَيَاتَهُ: { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ } [النصر]، وَالتَّسْبِيحُ عِبَادَةُ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَنِ: { وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ } [غافر]، وَهُوَ ذِكْرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ: { دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ } [يونس].

عباد الله: وَبِفَضَائِلِ النَّسِيحِ حَفَلَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ، سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟» قَالَ: «مَا أَصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٤٣)، وَفِي رِوَايَةٍ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ؟ إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٤٤). وَالْإِكْتَارُ مِنَ النَّسِيحِ مِنْ أَسْبَابِ النِّجَاةِ مِنَ الْكُرُوبِ وَالشَّدَائِدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِيتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {الصفات}.

وَالنَّسِيحُ عِبَادَةُ اللَّهِ: بَابٌ لِلْإِكْتَارِ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَسَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَعْجِزُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكْسِبَ فِي الْيَوْمِ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» قَالُوا: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ اللَّهَ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيَكْتُبُ لَهُ أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَيَحْطُ عَنْهُ أَلْفَ خَطِيئَةٍ»^(٤٥)، وَبِالنَّسِيحِ يَنَالُ الْعَبْدُ السَّبْقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»^(٤٦). وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَثْقُلَ مِيزَانُ حَسَنَاتِكَ فَأَكْثِرْ مِنَ النَّسِيحِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(٤٧)، وَفِي الْحَدِيثِ: «وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَانِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٤٨)، وَهُوَ مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»^(٤٩)، فَهَنِيئًا لِمَنْ كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ وَالْمُسَبِّحِينَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ كَثِيرًا، وَمِمَّنْ يُسَبِّحُونَ لَكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

(٤٣) أخرجه أحمد في مسنده، (٢١٣٢٠)، وصححه الأرئوط.

(٤٤) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٧٣١).

(٤٥) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٦٩٨).

(٤٦) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٦٩٢).

(٤٧) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٠٤٣).

(٤٨) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٣).

(٤٩) أخرجه الترمذي في سننه، (٣٤٦٤)، وصححه الألباني.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَمَعْرِفُهُ مَعْنَى التَّسْبِيحِ تُعِينُ الْمَرْءَ عَلَى حُضُورِ قَلْبِهِ، وَمُوَاطَّاةِ الْقَلْبِ لِمَا يَقُولُهُ اللِّسَانُ، فَيُنْمِرُ التَّسْبِيحُ تَعْظِيمًا لِلَّهِ، فَمَعْنَاهُ: تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ، وَهُوَ الثَّنَاءُ الْكَامِلُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَحَقِيقَةُ تَعْظِيمِ اللَّهِ. وَمِنَ الْأَذْكَارِ الْمُضَاعَفَةِ الَّتِي يَنْتَبِغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَحْرَصَ عَلَيْهَا، مَا جَاءَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ بَيْتِ جُؤَيْرِيَّةَ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا تَعَالَى النَّهَارُ، وَهِيَ جَالِسَةٌ فِي مُصَلَّاها، فَقَالَ لَهَا: «لَمْ تَرَالِي فِي مَجْلِسِكَ هَذَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَ بِجَمِيعِ مَا قُلْتُ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» (٥٠).

" لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ "...سِرُّ الْقُوَّةِ وَالثَّبَاتِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَرَ بِعِبَادَتِهِ، وَالتَّوَكَّلَ عَلَيْهِ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ، مَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِرَبِّهِ أَعَانَهُ وَوَفَّقَهُ، وَمَنْ رَكَنَ إِلَى غَيْرِهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَخَذَلَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَذَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَمَنْ اتَّقَاهُ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ.

عِبَادَ اللَّهِ:

ذِكْرٌ مِنَ الْأَذْكَارِ قَلِيلَةٌ مَبَانِيهِ، عَظِيمَةٌ مَعَانِيهِ، كَلِمَةٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، وَبَابٌ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَغِرَاسٌ مِنْ غِرَاسِهَا، يَشْعُرُ مَعَهُ الْعَبْدُ بِمَعِيَّةِ اللَّهِ، جَاءَ فِي فَضْلِهِ أَحَادِيثٌ صَحِيحَةٌ، أَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَمْسَةً مِنْ أَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَأَوْصَى بِهِ أُمَّتُهُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَثْرٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»، أَوْ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَثْرٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» (٥١)، وَمَعْنَى الْكَثْرِ: أَنَّهُ ثَوَابٌ مُدْخَرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ ثَوَابٌ نَفِيسٌ كَمَا أَنَّ الْكَثْرَ أَنْفُسُ أَمْوَالِكُمْ، وَالْكَثْرَ مَالٌ مُجْتَمِعٌ لَا يَخْتَاجُ إِلَى جَمْعٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا تَتَضَمَّنُ التَّوَكُّلَ وَالْإِفْتِقَارَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

فَفِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ، إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

تَوْحِيدُ اللَّهِ وَتَعْظِيمُهُ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ، وَإِجْلَالُهُ وَتَفْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، كَلِمَةٌ إِسْلَامٌ وَاسْتِسْلَامٌ، وَتَوَكُّلٌ خَالِصٌ، وَتَبَرُّؤٌ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِاللَّهِ، وَاعْتِرَافٌ بِالْإِدْعَانِ لَهُ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا، وَلَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ فِي دَفْعِ ضَرٍّ، وَلَا قُوَّةٌ فِي جَلْبِ خَيْرٍ أَوْ نَفْعٍ إِلَّا بِإِزَادَةِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَفِيهَا إِظْهَارُ الْفَقْرِ إِلَى اللَّهِ ﷻ بِطَلْبِ الْمَعُونَةِ مِنْهُ عَلَى مَا يُحَاوِلُ مِنَ الْأُمُورِ، وَهُوَ حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ.

فَدَلَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْعَظِيمَةُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ حَرَكَةٌ وَلَا تَحَوُّلٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَلَا قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ الْحَوْلُ كُلُّهُ وَالْقُوَّةُ كُلُّهَا. وَلِذَا كَانَ لَزِمًا عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَفْهَمَ وَيَفْقَهُ مَذْلُولَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَمَعْنَاهَا، لِيُؤْتِيَ الذِّكْرَ ثَمَرَاتِهِ، وَتَتَحَقَّقَ فَايِدَتُهُ، وَيَنْتَفِعَ بِهِ الدَّاكِرُ، فَانْفَعُ الذِّكْرُ أَثَرًا مَا وَاطَأَ فِيهِ الْقَلْبُ اللَّسَانَ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُوَاجِهُهُ بِهِنَّ الْإِنْسَانُ تَقَلُّبَاتِ الْحَيَاةِ، وَتَحْصُلُ بِهِ الطَّمَأْنِينَةُ، أَنْ يَلْجَأَ إِلَى خَالِقِهِ، وَأَنْ يَلُودَ بِهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِهِ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، فَإِنَّ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي دَفْعِ دَاءِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحُزْنِ، وَتَأْثِيرًا فِي مُعَالَجَةِ الْأَشْغَالِ الصَّعْبَةِ، وَتَحْمُلِ الْمَسَاقِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ [٢]: "وَلَيْكُنْ هَجِيرَاهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا بِهَا تُحْمَلُ الْأَنْقَالُ، وَتُكَابَدُ الْأَهْوَالُ، وَيُنَالُ رَفِيعُ الْأَحْوَالِ". (٥٢)

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

مَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِرَبِّهِ كَفَاهُ وَوَقَّاهُ، وَحَفِظَهُ وَتَوَلَّاهُ، فَهُوَ نِعَمُ الْمَوْلَى وَنِعَمُ النَّصِيرِ، وَمَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِغَيْرِ اللَّهِ وَكَلَّهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ تَعَلَّقَ بِهِ وَخَذَلَهُ، فَمَنْ أَعَانَهُ اللَّهُ فَهُوَ الْمُعَانُ، وَمَنْ خَذَلَهُ فَهُوَ الْمَخْذُولُ، وَهَذَا تَحْقِيقُ مَعْنَى لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. اللَّهُمَّ نَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، وَصِدْقَ الْإِسْتِعَانَةِ بِكَ، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِكَ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمَا فُتِحَتْ مَغَالِيقُ الْأُمُورِ بِمِثْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَمَنْ أَعْيَاهُ الشَّيْءُ وَعَجَزَ عَنْهُ، فَقَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بَيِّقِينَ، أَعَانَهُ اللَّهُ. وَمَنْ كَثُرَتْهُ هُمُومُهُ وَغُمُومُهُ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ فَهِيَ كَلِمَةُ اسْتِعَانَةٍ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ. وَمَنْ اسْتَعَانَ بِاللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَجَمِيعِ مَا يُصْلِحُهُ. وَهِيَ مِنْ خَيْرِ مَا يَرْجَى ثَوَابُهُ وَيُؤْمَلُ خَيْرُ عَاقِبَتِهِ مِنَ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ، وَهِيَ بَرَكَتُهُ مُعْجَلَةٌ تَفِيضُ عَلَى قَائِلِهَا، مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ ثَوَابٍ.

وَقَدْ اتَّخَذَهَا الْمُؤَفَّقُونَ عُدَّةً لَهُمْ فِيمَا يُكَابِدُونَهُ مِنْ مَسَاقِ الْأُمُورِ، فَكَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ بِهَا الْفَرْجُ وَالتَّوْفِيقُ وَالْإِعَانَةُ؛ فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا عُدَّةً فِي جِهَادِهِ. كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِقَائِدِهِ فِي مَعْرَكَةِ الْقَادِسيَّةِ، سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ [٢]: «وَأَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ((وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَتَّخِذُهَا زَادًا لَهُ فِي إِمْدَادِهِ بِالثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

فَاكْثُرُوا، عِبَادَ اللَّهِ، مِنْ هَذَا الذِّكْرِ؛ فَقَدْ حَوَى مَعَانِي التَّوْحِيدِ مِنْ إِفْرَادِ اللَّهِ بِالتَّذْيِيرِ،
وَالْتَّعَلُّقِ بِهِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ، وَكَمَالِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالثَّقَّةِ بِهِ، وَالتَّفْوِيضِ وَالِاسْتِسْلَامِ،
وَإِظْهَارِ الْعَبْدِ عَجْزَهُ وَضَعْفَهُ وَفَقْرَهُ، وَتَبَرُّؤَهُ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ.

الدُّعَاءُ... بَيْنَ فَضْلِ الْعِبَادَةِ وَخَطَرِ الْمَوَانِعِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ، فَتُحَ أَبْوَابُهُ لِلسَّائِلِينَ، وَأُظْهِرَ غِنَاهُ لِلرَّاغِبِينَ، مُجِيبُ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، وَرَحْمَتُهُ قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ الْمُحْسِنِينَ، يَدُهُ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَخَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يُحِبُّ مَنْ عِبَادِهِ دَوَامَ الدُّعَاءِ وَالِافْتِقَارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليماً كثيراً، آمَنَّا بَعْدَ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102]

عِبَادَ اللَّهِ:

هُوَ ذَا بُبِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَسِمَةُ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ، مَفْرَعُ الْمَظْلُومِينَ، وَمَلَجَأُ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَهُوَ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، يَظْهَرُ فِيهِ فَاقَتُهُ وَيُرْفَعُ فِيهِ حَاجَتُهُ، فَمَا اسْتُجِلِبَتِ النِّعَمُ وَلَا اسْتُدْفِعَتِ النَّقَمُ بِمِثْلِهِ، إِنَّهُ الدُّعَاءُ. وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ((يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَأَنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ)) (٥٣)

عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ إِذَا دَعَوْهُ بِقُلُوبٍ مُؤْمِنَةٍ مُخْلِصَةٍ بِإِخْدَى ثَلَاثٍ، كَمَا أَخْبَرَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ حَيْثُ قَالَ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِيْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِخْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا". قَالُوا: إِذَا نُكْثِرُ؟ قَالَ: "اللَّهُ أَكْثَرُ)) (٥٤)

فَلَقَدْ أَخْبَرَنَا نَبِيَّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ بِأَنَّ نَتِيجَةَ الدُّعَاءِ أَحَدُ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

١. أَنْ يُعْطِيَ اللَّهُ الْعَبْدَ سُؤْلَهُ وَيُجِيبَ دُعَاءَهُ، إِلَّا أَنَّهُ يَكُونُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَقَدْ يُؤَخَّرُ سُبْحَانَهُ تَحْقِيقَ طَلَبِ الْعَبْدِ لِحِكْمَةِ أَحَاطِ بِهَا عِلْمُهُ.
٢. أَنْ يَصْرِفَ اللَّهُ عَنِ الْعَبْدِ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، كَأَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ ضَرّاً شَدِيداً أَوْ بَلَاءً عَظِيماً.
٣. أَنْ يَدْخِرَ لَهُ دَعْوَتَهُ فِي الْآخِرَةِ فَيُجْزِيَهُ بِهَا أَعْظَمَ الْأَجْرِ وَالْثَوَابِ، وَ{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى: 17]

(٥٣) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٥٧٧).

(٥٤) أخرجه أحمد في مسنده، (١١١٤٩)، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد.

وَاللَّهُ تَعَالَى إِذَا أَجَابَ دُعَاءَ عَبْدِهِ يَخْتَارُ لَهُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ الْأَنْفَعُ وَالْأَصْلَحُ لَهُ وَفُق حِكْمَتِهِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنْ إَعْطَاءَ اللَّهُ الْعَبْدَ أَوْ مَنَعَهُ مِمَّا سَأَلَ قَدْ يَكُونُ رَحْمَةً بِهِ، فَقَدْ يَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدَهُ بِمَنَعِهِ مَا سَأَلَ، وَكَمْ مَنْ أَمَرَ أَحَبُّهُ الْإِنْسَانُ وَتَأَقَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَفِيهِ هَلَاكُهُ: { وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [البقرة: 216]

فَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بِرَبِّكُمْ، وَادْعُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ. فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: ((إِنْ اللَّهُ يَقُولُ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي)) (٥٥).
 واعلموا أَنَّهُ يَقْدَرُ الْحُرْقَةُ وَالْفَاقَةُ فِي الْقَلْبِ تَكُونُ الْإِجَابَةُ: { أَمِنْ يُجِيبُ الْمَضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ } [النمل: ٦٢]، فَاللَّهُ أَرْحَمُ وَأَرْأَفُ مَنْ أَنْ يَرِدَّ عَبْدًا لَجَأَ إِلَيْهِ أَوْ قَلْبًا انْكَسَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِيعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عِبَادَ اللَّهِ:

وَقَدْ يَمْنَعُ اللَّهُ الْعَبْدَ مَا سَأَلَ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ قَدْ تَكُونُ لَهُ عَقْبَةٌ تَمْنَعُ وَصُولَ ذَلِكَ الْخَيْرِ إِلَيْهِ إِذَا قَامَ بِهِ مَانِعٌ مِنْ مَوَانِعِ الْإِجَابَةِ، وَمَنْهَا:

١. أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ غَافِلًا لَهَايَا حَالِ دُعَائِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: ((ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ)) (٥٦).

٢. وَمَنْهَا أَكْلُ الْحَرَامِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ ((ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغَدْيُهُ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ)) (٥٧).

٣. وَمَنْهَا الْإِسْتِعْجَالُ، وَفِي الْحَدِيثِ: ((يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولَ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي)) (٥٨).

(٥٥) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٦٧٥).

(٥٦) أخرجه الترمذي في سننه، (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني.

(٥٧) أخرجه مسلم في صحيحه، (١٠١٥).

(٥٨) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٩٨١).

فَالْأَمْرُ بِيَدِ اللَّهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا فِي الْوَقْتِ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ وَقَضَاهُ، فَلَا يَتَقَدَّمُ شَيْءٌ عَنْ إِبَانِهِ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْ أَوَانِهِ، وَاللَّهُ يُجِيبُ الْإِلْحَاحَ فِي الدُّعَاءِ، وَمَنْ فُتِحَ لَهُ بَابُ الدُّعَاءِ فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ.

الصلاة... عَمُودُ الدِّينِ وَعُنْوَانُ النَّجَاحِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الصَّلَاةَ فُرْةً عُيُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَشِعَارَ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ، أَمَرَ بِهَا فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا {حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: ٢٣٨]، رَفَعَ بِذِكْرِهِ مَنْ عَظَّمَهُ، وَأَقْبَلَ بِقَلْبِهِ عَلَيْهِ، وَخَذَلَ مَنْ تَكَاسَلَ وَتَنَاقَلَ عَنِ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد: ٢٨].

عِبَادَ اللَّهِ:

هِيَ عَمُودُ الدِّينِ، وَصِلَةُ قَلْبِ الْعَبْدِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، غِذَاءُ الْقُلُوبِ وَحَيَاةُ الْأَرْوَاحِ، وَعُنْوَانُ النَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ، مِيزَانُ تَعْظِيمِ الدِّينِ فِي الْقَلْبِ، أَكْثَرُ الْفَرَائِضِ ذِكْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُبِينِ، وَآخِرُ وَصِيَّةٍ وَصَّى بِهَا أُمَّتُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ إِنَّهَا الصَّلَاةُ يَا عِبَادَ اللَّهِ: أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ، مَنْ حَفِظَهَا وَخَافَظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ قَدْرَ الصَّلَاةِ فِي قَلْبِهِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ دِينُ الْمَرْءِ وَلَا تَصْلُحَ أَعْمَالُهُ إِلَّا بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، مُفْتَدِيًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ((صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)). (٥٩)

عِبَادَ اللَّهِ:

تَزَخَّرُ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ بِأَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ تُبَيِّنُ فَضْلَهَا وَأَثَرَهَا لِمَنْ أَقَامَهَا وَحَضَرَ قَلْبُهُ فِيهَا وَعَقَلَهَا، فِيهِ كَالْتَهَرِ الْجَارِي الْعَذْبُ الَّذِي بِهِ طَهَارَةُ لِلرُّوحِ وَالْقَلْبِ مِنَ الْآثَامِ وَالْأَوْزَارِ، قَالَ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بَبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا» ((٦٠))، وَهِيَ نُورٌ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، فِي قُلُوبِهِمْ وَبَصَائِرِهِمْ، وَفِي الْقَبْرِ وَيَوْمَ الْحَشْرِ، قَالَ ﷺ: ((وَالصَّلَاةُ نُورٌ)). (٦١)

(٥٩) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٠٥).

(٦٠) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٠٥).

(٦١) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٢٣).

وَلَمَّا فِي الصَّلَاةِ مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ وَالْخُشُوعِ وَالتَّذَلُّلِ لَهُ، كَانَتْ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَأَتَمَّهَا دَلَالَةً عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ، قَالَ ﷺ: ((وَأَعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ)). (٦٢)

وَمِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ، فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ)). (٦٣)

وَهِيَ قُرَّةُ عُيُونِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ ﷺ: ((وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)). (٦٤)
إِنَّ قُرَّةَ الْعَيْنِ يَا عِبَادَ اللَّهِ هِيَ غَايَةُ الْمَحَبَّةِ، أَنْ تَرَى الشَّيْءَ فَتَنْعَمَ بِرُؤْيَيْهِ حَتَّى تَسْتَقِرَّ عَيْنُكَ عَلَيْهِ، لَا تُرِيدُ مَفَارَقَتَهُ لِمَا حَلَّ بِكَ مِنَ السُّرُورِ، وَهَلْ لِلْقَلْبِ طَمَآنِينَةٌ إِلَّا بِاللَّهِ؟ وَهَلْ لِلرُّوحِ حَيَاةٌ إِلَّا بِقِوَامِ اللَّهِ؟

الصَّلَاةُ رَاحَةٌ لِلْقَلْبِ مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا وَمَشَاغِلِهَا، لِمَنْ كَانَ خَاشِعًا فِيهَا وَمُحِبًّا لَهَا، لِمَا فِيهَا مِنْ مُنَاجَاةٍ لِلَّهِ تَعَالَى، وَرَاحَةٍ لِلرُّوحِ وَالْقَلْبِ، قَالَ ﷺ: ((فُمْ يَا بِلَالُ فَأَرْحِنَا بِالصَّلَاةِ)). (٦٥)

وَالصَّلَاةُ مَفْرَعُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالنَّوَائِبِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى؛ أَيْ لَجَأَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ تَدْفَعُ الْهُمُومَ وَالْأَحْزَانَ.
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

عِبَادَ اللَّهِ: مُنَاجَاةُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْعَبْدِ، قَالَ ﷺ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا يَنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يَنَاجِيهِ)). (٦٦)

وَمَنْ ذَاقَ لَذَّةَ الْمُنَاجَاةِ خَشَعَ قَلْبُهُ، وَاسْتَشْعَرَ عَظَمَةَ الْمَوْقِفِ الَّذِي شَرَفَهُ اللَّهُ بِالْوُقُوفِ فِيهِ، وَقُرَّبَ رَبَّهُ مِنْهُ قُرْبًا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَبِأَعَظَمَةِ تِلْكَ الْمُنَاجَاةِ، الَّتِي تُثْمِرُ لِلْمُصَلِّي حُضُورَ قَلْبِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ، وَخُشُوعَهُ لَهُ، وَتَأَدُّبَهُ فِي مَوْقِفِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهِ، فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهِ بِقَلْبِهِ وَلَا بِبَدَنِهِ.

(٦٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، (٢٧٧)، وصححه الألباني.

(٦٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦١٣٧).

(٦٤) أخرجه النسائي في سننه، (٣٩٤٠)، وصححه الألباني.

(٦٥) أخرجه أبو داود في سننه، (٤٩٨٦)، وصححه الألباني.

(٦٦) أخرجه البخاري في صحيحه، (٤٠٣).

فَمَا أَغْظَمَ أَثَرُ الصَّلَاةِ إِذَا خَشَعَ فِيهَا الْقَلْبُ، وَمَا أَصْغَفَ أَثَرُهَا إِذَا غَفَلَ عَنْهَا الْقَلْبُ،
فَالصَّلَاةُ بِلَا حُضُورِ قَلْبٍ كَالْجَسَدِ بِلَا رُوحٍ.
ابْنُ آدَمَ، أَيُّ شَيْءٍ يَعْرِضُ عَلَيْكَ مِنْ دِينِكَ إِذَا هَانَتْ عَلَيْكَ صَلَاتُكَ؟

صَلَاةُ الْفَجْرِ... بَدَايَةُ الثَّوْرِ وَبَرَكَةُ الْيَوْمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} ﴿٢٨١﴾ [البقرة].

أَخُوَّةُ الْإِيمَانِ:

هِيَ اخْتِبَارٌ لِلْإِيمَانِ، وَعَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ، وَالتَّخَلُّفُ عَنْهَا عَلَامَةٌ ضَعْفِ الْإِيمَانِ، يُحْرَمُهَا مَنْ أَثَقَلَتْهُ الْخَطَايَا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، بِهَا يَسْتَقْبِلُ الْمُؤْمِنُ يَوْمَهُ، وَيَسْتَفْتَحُ بِهَا نَهَارَهُ وَعَمَلَهُ. إِنَّهَا صَلَاةُ الْفَجْرِ: {اقِمِ الصَّلَاةَ لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء: ٧٨]؛ لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، أَفْرَدَهَا بِالذِّكْرِ لِشَرَفِهَا وَعَظِيمِ مَكَانَتِهَا.

عِبَادَ اللَّهِ:

يَوْمُ الْمُسْلِمِ مُزْتَبِطٌ وَمُفْتَتَحٌ بِصَلَاةِ الْفَجْرِ؛ فَمَنْ بَدَأَ يَوْمَهُ بِصَلَاةِ الْفَجْرِ بَدَأَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ، فَهِيَ بَرَكَةُ يَوْمِهِ، وَنُورُهُ، وَطَمَائِينُهُ رُوحِهِ، وَطِيبُ نَفْسِهِ. دَعَا ذَا عِي الْفَلَاحِ، فَاسْتَشْعَرَ عُبودِيَّةَ رَبِّهِ، فَأَجَابَهُ، وَسَارَعَ إِلَى طَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ، وَانْتَصَرَ عَلَى نَفْسِهِ وَشَيْطَانِهِ وَهَوَاهُ.

أَخُوَّةُ الْإِيمَانِ:

حَفَلَتِ السُّنَّةُ بِبِشَارَاتٍ بَشَّرَ بِهَا مَنْ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، ﷺ، لِمَنْ حَافَظَ عَلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ جَمَاعَةً فِي وَقْتِهَا. قَالَ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ» (٦٧)، وَقَالَ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ» (٦٨)، وَأَخْبَرَ أَنَّ صَاحِبَ صَلَاةِ الْفَجْرِ يَمْنَحُهُ اللَّهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «بَشَّرَ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ النَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٦٩)، وَهِيَ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ: «مَنْ

(٦٧) أخرجه مسلم في صحيحه، (٦٥٦).

(٦٨) أخرجه مسلم في صحيحه، (٦٥٧).

(٦٩) أخرجه أبو داود في سننه، (٥٦١)، وصححه الألباني.

صَلَّى التَّزْدِينَ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٧٠)، وَالتَّزْدَانِ هُمَا: الْعَصْرُ وَالْفَجْرُ. وَهِيَ سَبَبٌ لِرُؤْيَا وَجْهِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَا؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا». ثُمَّ قَرَأَ: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} ٣٩ { [ق]. (٧١)

وَهِيَ سَبَبٌ لِنَشَاطِ الْبَدَنِ وَطَيِّبِ النَّفْسِ؛ قَالَ ﷺ: «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عَقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عَقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ. فَإِنْ اسْتَيْقَظَ وَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ كُلُّهَا؛ فَاصْبَحْ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَلَا أَصْبَحْ حَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانٍ»^(٧٢)، وَقَالَ ﷺ: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٧٣).

رَبَّنَا اجْعَلْنَا مُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ. رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

أخوة الإيمان:

وَمَنْ رَأَى نَفْسَهُ لَمْ تُحَرِّكْهُ تِلْكَ الْفَضَائِلُ، فَلْيَتَذَكَّرِ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي تُوعَدُ بِهَا الْمُفْرَطُونَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، وَعَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} ٤٤ {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} ٥٥ { [الماعون: ٤-٥]، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: يُؤَخَّرُونَهَا عَنْ وَفَّيْهَا {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} ٥٩ {، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: الْغَيُّ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهُ، وَقَالَ ﷺ: «لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلُ عَلَى الْمُتَنَافِقِينَ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»^(٧٤). وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ [٧]: "وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا، وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ".^(٧٥)

(٧٠) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٤٨).

(٧١) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٢٩).

(٧٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (١٠٩١).

(٧٣) أخرجه مسلم في صحيحه، (٧٢٥).

(٧٤) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٢٦).

(٧٥) أخرجه مسلم في صحيحه، (٦٥٤).

وَقَدْ جَاءَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِي حَقِّ الَّذِي يَتَأَمُّ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ؛ فِي حَدِيثِ الرَّؤْيَا: «أَمَّا الَّذِي يُشْرِخُ رَأْسَهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَتَأَمُّ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ»^(٧٦)، يَعْنِي: قَرَأَ وَجُوبَ الصَّلَاةِ فِي الْكِتَابِ، وَعَلِمَهَا فَرَضًا، ثُمَّ فَرَطَ فِيمَا عَلِمَ، وَتَرَكَ مَا أَمَرَ بِهِ؛ فَجَعَلَتِ الْعُقُوبَةُ فِي رَأْسِ صَاحِبِ هَذِهِ النُّومَةِ.

(٧٦) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٩٢).

الْبَرَكَةُ الإِلَهِيَّةُ: آثَارُهَا وَأَسْبَابُهَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَلْبَسَهُمْ لِبَاسَ التَّقْوَى خَيْرَ لِبَاسٍ، وَجَعَلَهُمْ مِنْ أَنْفَعِ النَّاسِ لِلنَّاسِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتِهِ، وَجَعَلَهُمْ مِنْ أَنْفَعِ عِبَادِهِ، وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ الْخَيْرَاتِ، وَبِهَا تُسْتَجْلَبُ الْبَرَكَاتُ، قَالَ تَعَالَى:

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ {
[الأعراف: 96]

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هِيَ عِظَاءُ إِلَهِيٍّ، وَسِرٌّ رَبَّانِيٍّ، نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ، وَاللَّهُ يَزُوقُ مَنْ يَشَاءُ بَغِيرَ حِسَابٍ، فَإِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ رَبَّهُ، وَبَدَّلَ أَسْبَابَهَا، فَتَحَ لَهُ الْكَرِيمُ الْوَهَّابُ أَبْوَابَهَا. إِنَّهَا الْبَرَكَةُ؛ إِذَا حَلَّتْ فِي الشَّيْءِ عَمَّ نَفْعُهُ، وَدَامَ خَيْرُهُ، وَهِيَ هِبَةٌ مِنَ اللَّهِ لَا تُقَاسُ بِالْأَسْبَابِ الْمَادِّيَّةِ، وَلَا بِالْعَمَلِيَّاتِ الْحِسَابِيَّةِ، هِيَ ثُبُوتُ الْخَيْرِ الْإِلَهِيِّ فِي الشَّيْءِ، وَكَثْرَتُهُ، وَدَوَامُهُ، وَتَمَرُّنُهَا صِفَاءُ النَّفْسِ، وَطِيبُ الْقَلْبِ، وَهَنَاءُ الْعَيْشِ، وَفَرَّةُ الْعَيْنِ، وَالْقَنَاعَةُ، وَالرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ: تَكَرَّرَ ذِكْرُ الْبَرَكَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ آيَةٍ، بِتَضَرُّيفَاتِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ، وَبَيَّنَ لَنَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُنَالُ بِهَا، وَمِنْ أَعْظَمِهَا: تَحْقِيقُ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى؛ فَهُمَا مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ.

وَمِنْهَا: الْعَيْشُ مَعَ الْقُرْآنِ تِلَاوَةً، وَتَدَبُّرًا، وَعَمَلًا؛ فَمَنْ أَحْسَنَ صُحْبَةَ الْقُرْآنِ عَمَرَتْهُ الْخَيْرَاتُ وَالْبَرَكَاتُ، قَالَ تَعَالَى {كِتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ} [ص].

وَمِمَّا تُنَالُ بِهِ الْبَرَكَةُ: الصَّدَقُ فِي الْمَعَامَلَاتِ مِنْ بَيْعٍ وَشِرَاءٍ وَتِجَارَةٍ وَشِرَاكَةٍ، وَفِي الْحَدِيثِ: «فَإِنْ صَدَقًا وَبَيْنًا بُورِكَ لَهُمْ»^(٧٧).

وَمِنْ أَسْبَابِهَا: اخْتِذَا الْمَالِ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ، مِنْ غَيْرِ سَرِّهِ وَلَا إِلْحَاحٍ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ»^(٧٨).

(٧٧) أخرجه البخاري في صحيحه، (١٩٧٣).

(٧٨) أخرجه البخاري في صحيحه، (١٤٠٣).

وَمِنْ أَسْبَابِ الْبَرَكَةِ: كَسْبُ الْمَالِ مِنْ حَلَالٍ.
وَمِنْ أَسْبَابِهَا: الاجْتِهَادُ فِي الدُّعَاءِ، وَمِنْ الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: «وَبَارِكْ لِي فِيمَا
أَعْطَيْتَ» (٧٩)، «وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي» (٨٠)
وَمِنْ أَسْبَابِ الْبَرَكَةِ: الْإِكْتِنَارُ مِنَ النَّفَقَةِ وَبَدْلُ الصَّدَقَةِ، قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ
شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} [سبأ: ٣٩].
وَمِنْ أَسْبَابِهَا: التَّبَكُّيرُ فِي الْأَعْمَالِ، وَذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ تَحِلُّ
بِذِكْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٧٨].
وَمِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ الْبَرَكَةِ: الْإِسْتِغْفَارُ، وَالْمُوَظَّابَةُ عَلَى الْأَذْكَارِ، وَتَعْلِيمُ النَّاسِ الْخَيْرَ،
وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَاتِّبَاعُ السُّنَّةِ، وَصَلَاةُ الْإِسْتِخَارَةِ.
اللَّهُمَّ أَنْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِحْوَةُ الْإِيمَانِ:

هُوَ كَالْعَيْثِ؛ إِنْ أَقْبَلَ فَرِحَ النَّاسُ بِهِ، وَإِنْ حَلَّ فِي مَكَانٍ عَمَّ نَفْعُهُ، وَإِنْ رَحَلَ بَقِيَ
أَثَرُهُ؛ إِنَّهُ الرَّجُلُ الْمُبَارَكُ، قَالَ تَعَالَى: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} [مريم: ٣١].
الرَّجُلُ الْمُبَارَكُ قَوِي الصَّلَةِ بِاللَّهِ، غَالِي الْأَخْلَاقِ، نَافِعٌ لِلنَّاسِ، يُدْكَرُ بِاللَّهِ، وَيَسْعَى فِي
قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، كَثِيرُ الْإِنْفَاقِ وَالصَّدَقَةِ، حَافِظٌ لَوْفَتِهِ، مُصْلِحٌ فِي حَيَاتِهِ، لَا يَنْقَطِعُ
أَثَرُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.
اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِقَضَاءِ حَاجَاتِ الْمُحْتَاجِينَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُبَارَكِينَ، وَاجْعَلْنَا
مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ.

(٧٩) أخرجه أبو داود، (١٤٢٥)، قال الألباني: صحيح.

(٨٠) أخرجه الترمذي في سننه، (٣٥٠٠) قال الألباني: ضعيف لكن الدعاء حسن.

أمن الأوطان هبة الكريم الرحمن

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ، وَاسِعِ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ، اٰمَنَّا عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ فَجَعَلَ بِلَادَهُمْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَعَلِمُوا أَنَّ الشُّكْرَ لَا يُنَالُ إِلَّا بِالتَّقْوَى، فَمَنْ أَرَادَ بُلُوغَ مَقَامِ الشَّاكِرِينَ فَلْيَكُنْ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.

عِبَادَ اللَّهِ:

هِيَ هِبَةٌ مِنَ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ، لَا تُقَدَّرُ بِالْأَثْمَانِ، وَلَا يَهْنَأُ عَيْشُ بِدُونِهَا، وَلَا تَطْيِبُ حَيَاةٌ بِفَقْدِهَا، بِهَا تَصَانُ الْأَنْفُسُ، وَتُحْمَى الْأَعْرَاضُ، وَتُحْفَظُ الْأَمْوَالُ، وَتُغَمَّرُ الْمَسَاجِدُ، وَتُقَامُ الشَّعَائِرُ، إِنَّهَا نِعْمَةُ الْأَمْنِ يَا عِبَادَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ النِّعَمِ وَأَعْظَمِهَا، وَحَقُّ النِّعَمِ أَنْ تُشْكَرَ فَلَا تُكْفَرُ، فَالْنِّعَمُ إِذَا شُكِرَتْ قَرَّتْ، وَإِذَا كُفِرَتْ فَرَّتْ، فَأَحْسِنُوا جَوَارِ نِعَمِ اللَّهِ، فَإِنَّهَا قَلِيلًا مَا نَفَرَتْ عَنْ قَوْمٍ فَكَادَتْ تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَلَمَّا كَانَ الْأَمْنُ مِنْ مَقَاصِدِ دَعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، قَرَنَ الْخَلِيلُ إِبْرَاهِيمَ . عَلَيْهِ السَّلَامُ . طَلَبَ الْأَمْنِ بِالتَّوْحِيدِ فَقَالَ: { رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَتَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } [إبراهيم]، فَلَمَّا دَعَا بِالْأَمْنِ مِنْ فَسَادِ الْأَبْدَانِ دَعَا بِالْأَمْنِ مِنْ فَسَادِ الْأَدْيَانِ، وَلِعِظَمِ هَذِهِ النِّعْمَةِ اٰمَنَّا اللَّهُ بِهَا عَلَى فُرْيَشٍ فَقَالَ تَعَالَى: { أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَّى إِلَيْهِ ثُمَّرَتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [القصص: ٥٧]، وَذَكَرَهُمْ سُبْحَانَهُ بِأَحْوَالِ الَّذِينَ فَقَدُوهَا مِنْ حَوْلِهِمْ فَقَالَ تَعَالَى: { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ } [العنكبوت: ٦٧]، وَاٰمَنَّا اللَّهُ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ مُخَاطَبًا أَصْحَابَ نَبِيِّهِ ﷺ مُذَكِّرًا إِيَّاهُمْ بِنِعْمَتِهِ: { وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ . وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [الأنفال: ٢٦]، وَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِعِظَمِ هَذِهِ النِّعْمَةِ وَبَدَأَ بِهَا فَقَالَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّيهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَانَ مَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا». (٨١)

عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِالْأَمْنِ مَتَى مَا آمَنُوا بِهِ وَوَحَّدُوهُ، وَاسْتَقَامُوا عَلَى طَاعَتِهِ وَعَبَدُوهُ، وَأَقَامُوا شَعَائِرَ دِينِهِ وَنَصَرُوهُ، فَالْأَمْنُ قَرِينُ الْإِيمَانِ، يَزِيدُ بِزِيَادَتِهِ وَيَنْقُصُ بِفَقْدِهِ، وَتَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ يُثْمِرُ الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ: {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: ٨٢]، وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ لِوَلَاةِ الْأَمْرِ، وَلِزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَسْبَابِ الْأَمْنِ، وَجَمَاعِ الْأَمْرِ فِي الْإِسْتِقَامَةِ وَلِزُومِ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} ذَلِكُمْ وَصَلْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ { [الأنعام: ١٥٣]

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ الَّتِي لَا تَتَبَدَّلُ أَنَّ الْعُقُوبَاتِ تَنْزِلُ بِالْأَمْرِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ إِذَا فَشَتْ فِيهَا الْمُنْكَرَاتُ، وَضُيِّعَتْ شَعِيرَةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، قِيلَ: أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ» (٨٢)، وَالْمُنْكَرُ إِذَا عُمِلَ فِي الْمُجْتَمَعِ وَلَمْ يُنْكَرْ فَإِنَّ سُوقَهُ تَقُومُ، وَعُودُهُ يَشْتَدُّ، وَمَا تَزَالُ الْمُنْكَرَاتُ تَفْشُو حَتَّى يَكْثُرَ الْخَبْثُ، وَيَسْتَعْلِي أَهْلُ الْفَسَادِ، فَتَنْزِلُ بِالْمُجْتَمَعَاتِ سُنَنُ اللَّهِ، وَمِنْ سُنَنِ اللَّهِ أَنَّ مَنْ كَفَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ، وَلَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْلُبُهَا مِنْهُ، وَيُذِيقُهُ ضِدَّهَا، كَمَا حَدَّثَ مَعَ الْفَرَى الَّتِي كَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ: {وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: ١٠٦] وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا { [الفصل].

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا. رَحِمَكُمُ اللَّهُ. عَلَى مَنْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [سُورَةُ الْأَحْزَابِ: ٥٦].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَسَلِّمْ، اللَّهُمَّ ارْضَ
عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى
يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ وَعَفْوِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

مَنْزِلَةُ عِبَادَةِ حُسْنِ الْخُلُقِ فِي الْإِسْلَامِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ هِيَ أَكْرَمُ مَا أَسْرَرْتُمْ، وَأَزِينُ مَا أَظْهَرْتُمْ، وَأَعْظَمُ مَا دَخَرْتُمْ، اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا.

عِبَادَةُ اللَّهِ:

صِفَةُ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، وَسِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ الصَّالِحِينَ الْأَتْقِيَاءِ، يَنَالُ بِهِ صَاحِبُهُ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَيَرْفَعُ بِهِ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ، مِنْ أَعْظَمِ مَوَاهِبِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ، وَسَبَبُ الْقُرْبِ مِنْهُ وَنَبِيلُ مَحَبَّتِهِ، مِنْ عَلَامَاتِ الْإِيمَانِ وَدَلَائِلِ السَّعَادَةِ وَالتَّوْفِيقِ، وَمِنْ أَفْضَلِ مَا أُعْطِيَ الْمُسْلِمُ. سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ؟» قَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ»^(٨٣)، وَقَالَ: «وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ»^(٨٤)، وَقَالَ: «وَأَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(٨٥)، وَقَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذَرِّكَ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةً الصَّائِمِ الْقَائِمِ»^(٨٦).
وَحُسْنُ الْخُلُقِ مِنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟» فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(٨٧) وَقَالَ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ»^(٨٨). وَصَاحِبُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَقْرَبِهِمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(٨٩).

٨٣) مصنف ابن أبي شيبة، (٢٥٣١٥).

٨٤) أخرجه الترمذي في سننه، (٢٠٠٢)، وصححه الألباني.

٨٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (١/ ١٨٥).

٨٦) أخرجه أبو داود في سننه، (٤٧٩٨)، وصححه الألباني.

٨٧) أخرجه الترمذي في سننه، (٢٠٠٤) وحسنه الألباني.

٨٨) أخرجه أبو داود في سننه، (٤٨٠٠) وحسنه الألباني.

٨٩) أخرجه الترمذي في سننه، (٢٠١٨) وصححه الألباني.

عِبَادَ اللَّهِ الْإِيمَانَ: كَثِيرًا مَا يَرِدُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْجَمْعُ بَيْنَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ؛ لِتَنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُمَا مُتَلَازِمَانِ لَا يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ؛ فَتَقْوَى اللَّهِ شَجَرَةٌ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ ظِلٌّ وَثَمَرَةٌ، وَهِيَ أَسَاسٌ، وَهُوَ بِنَاءٌ، وَهِيَ سِرٌّ، وَهُوَ صُورَةٌ لِأَخْلَاقِهِ الْبَاطِنَةِ. وَحَيْثُ انْتَفَى حُسْنُ الْخُلُقِ انْتَفَتِ التَّقْوَى، وَضَعْفُهُ دَلِيلُ ضَعْفِهَا؛ فَهُوَ بُرْهَانُهَا وَالِدَّلِيلُ عَلَيْهَا، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ [٩٠]: "جَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ؛ لِأَنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُصْلِحُ مَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يُصْلِحُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، فَتَقْوَى اللَّهِ تُوجِبُ لَهُ مَحَبَّةَ اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَدْعُو إِلَى مَحَبَّتِهِ" (٩٠). أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يُنَالُ بِهَا مَثَلُ عِبَادَةِ الْخُلُقِ:
الاجْتِهَادُ فِي الدُّعَاءِ، وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ» (٩١)، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا مَا يَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ» (٩٢).

وكَذَلِكَ: مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَتَرْوِضُهَا عَلَى التَّحَلِّي بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعْلَمِ، وَإِنَّمَا الْجَلْمُ بِالتَّحْلُمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ» (٩٣)، وَحُسْنُ الْخُلُقِ نَوْعٌ مِنَ الْهِدَايَةِ يَخْصُلُ عَلَيْهَا الْمَرْءُ بِالْمُجَاهَدَةِ: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩].

وكَذَلِكَ: مُصَاحَبَةُ الْأَخْيَارِ وَأَهْلِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ مِمَّا تُكْتَسَبُ بِهِ مَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (٩٤).

(٩٠) الفوائد، (ص: ٥٤).

(٩١) أخرجه أحمد في مسنده، (٨٠٣)، وصححه أحمد شاكر.

(٩٢) أخرجه الترمذي في سننه، (٣٥٩١)، وصححه الألباني.

(٩٣) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط، (٢٦٦٣).

(٩٤) أخرجه أحمد في مسنده، (٨٠٢٨)، وجوده إسناده شعيب الأرنؤوط.

وَمِنَ الْأَسْبَابِ أَيْضًا: قِرَاءَةُ سِيرَةِ ذَوِي الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَالْإِقْتِدَاءُ بِمَنْ حَسُنَتْ
 أَخْلَاقُهُمْ، وَخَيْرُ قُدْوَةٍ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَا أَكْمَلَ وَلَا
 أَحْسَنَ مِنْ خُلُقِهِ، قَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم]، وَلَمَّا سُئِلَتْ عَائِشَةُ
 [?] عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ». (٩٥)

حُسْنُ الْخُلُقِ: سَبِيلُ الرُّفْعَةِ وَكَمَالِ الْإِيمَانِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ هِيَ أَكْرَمُ مَا أَسْرَرْتُمْ، وَأَعْظَمُ مَا ادَّخَرْتُمْ، وَأَرَزِينُ مَا أَظْهَرْتُمْ، اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا، أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

عِبَادَ اللَّهِ:

هُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ، وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ الدَّرَجَاتِ، يُدْرِكُ بِهِ صَاحِبَهُ كَمَالَ الْإِيمَانِ، وَيَنَالُ بِهِ مَحَبَّةَ الرَّحْمَنِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ مِنْهُ فِي الْمِيزَانِ، يَبْلُغُ بِهِ الْمَرْءُ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، هُوَ جَمَاعُ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَعُنْوَانُ صِلَاحِ النَّفْسِ وَصَفَاءِ الْقَلْبِ، يَتَّصِفُ بِهِ مَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ وَسَمَتْ نَفْسُهُ، إِنَّهَا صِفَةُ الْأَخْيَارِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، إِنَّهُ حُسْنُ الْخُلُقِ. مَا أَحْوَجَنَا عِبَادَ اللَّهِ فِي زَمَنٍ شَحَّتْ فِيهِ الْأَخْلَاقُ إِلَى أَنْ نَذْكُرَ بِفَضَائِلِهَا وَتَمَرَّاتِهَا، لِنَتَحَلَّى بِهَا نَفُوسٌ غَلِظَتْ طِبَاعُهَا وَسَاءَتْ أَخْلَاقُهَا، فَأَرْعَ لَهَا سَمْعَكَ يَا رَعَاكَ اللَّهُ. قَالَ ﷺ: ((مَا شَيْءٌ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ)). (٩٦)

وَيَحْسُنُ الْخُلُقُ يَنَالُ الْمَرْءُ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَزْتَقِي إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْجَنَّةِ، قَالَ ﷺ: «أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» (٩٧)، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا)) (٩٨)، وَقَالَ: ((أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ)). (٩٩)

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِنْ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُكَتَسَبُ بِهَا الْأَخْلَاقُ وَتُهَذَّبُ بِهَا النَّفُوسُ:

(٩٦) أخرجه أبو داود في سننه، (٤٧٩٨)، وصححه الألباني.

(٩٧) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، (٤٧١).

(٩٨) أخرجه الترمذي في سننه، (٢٠١٨)، وصححه الألباني.

(٩٩) أخرجه أبو داود في سننه، (٤٨٠٠)، وحسنه الألباني.

الاجْتِهَادُ فِي الدُّعَاءِ، وَمِنْ دُعَائِهِ ﷺ: ((اللَّهُمَّ اهْدِنِي لَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ)). (١٠٠)
وَمِنْهَا مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ، وَفِي الْحَدِيثِ: ((وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ)) (١٠١)، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْأَخْلَاقَ الْكَرِيمَةَ يُمَكِّنُ اكْتِسَابَهَا وَالْوُضُوءُ إِلَيْهَا عَنْ طَرِيقِ التَّعَوُّدِ عَلَيْهَا، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ [٢]: "كَثْرَةُ الْمُرَاطَلَاتِ تُعْطِي الْمَلَكَاتِ، فَتَبْقَى لِلنَّفْسِ هَيْئَةٌ رَاسِخَةٌ وَمَلَكََةٌ ثَابِتَةٌ". (١٠٢)

وَمِنْهَا: صُحْبَةُ الْأَخْيَارِ مِنْ أَهْلِ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)). (١٠٣)
وَمِنْهَا: التَّأَمُّلُ وَدَوَامُ النَّظَرِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَسِيرَتِهِ، وَسِيرَةِ صَحَابَتِهِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ، وَاعْلَمُوا إِخْوَةَ الْإِيمَانِ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَنْتَفِعُ بِالْخُلُقِ الْحَسَنِ صَاحِبُهُ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ، وَمَنْ سَاءَتْ أَخْلَاقُهُ طَابَ فِرَاقُهُ.
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ أَعْظَمَ مَا يُبْتَلَى بِهِ الْمَرْءُ هُوَ اخْتِبَارُ الْأَخْلَاقِ فِي وَقْتِ الشَّدَّةِ وَسَاعَاتِ الْغَضَبِ؛ فَإِنَّ الْأَخْلَاقَ تُكْتَسَفُ فِي سَاعَةِ الشَّقَاقِ، هُنَاكَ تُعْرَفُ مَعَادِنُ الرِّجَالِ، حِينَ يَمْلِكُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ، فَيَكْظُمُ غَيْظَهُ، وَيَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَذَرُ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ، {وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِطِّ عَظِيمٍ [فصلت: ٣٥]}. فَمَا أَعْظَمَ أَنْ يَزْرَعَ الْمَرْءُ خُلُقَهُ فِي كُلِّ أَرْضٍ مَهْمَا جَفَّتْ، وَيَغْرِسَ إِحْسَانَهُ فِي الْقُلُوبِ وَإِنْ قَسَتْ، وَيَسْقِي لِلنَّاسِ لُطْفَهُ وَلَوْ لَمْ يُرِدَّ الْجَمِيلَ، فَمَا عِنْدَ اللَّهِ لَا يَضِيعُ.

وَعَلَيْنَا أَنْ نُرَبِّيَ أَبْنَاءَنَا عَلَى هَذَا الْفَهْمِ، وَأَنْ نُعَلِّمَهُمْ بِأَفْعَالِنَا قَبْلَ أَقْوَالِنَا، وَيَرَوْا فِيْنَا قُدُوةً حَسَنَةً، وَلَا سَيِّئًا فِي الْمَوَاقِفِ الصَّعْبَةِ؛ فَهُمْ كَالثَّمَرِ عَلَى الشَّجَرِ، مِنْهُ مَا يَطِيبُ

١٠٠ () أخرجه أحمد في مسنده، (٨٠٣)، وصححه: أحمد شاكر.

١٠١ () أخرجه البخاري في صحيحه، (١٤٠٠).

١٠٢ () مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (١/ ٢٨٤).

١٠٣ () أخرجه أبو داود في سننه، (٤٨٣٣)، وحسنه الألباني.

بِحُسْنِ التَّأْدِيبِ، وَمِنْهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَى رِعَايَةٍ وَتَهْذِيبٍ، فَالْأَدَبُ مِنَ الْآبَاءِ، وَالصَّلَاحُ مِنَ
اللَّهِ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لَا
يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

بَذْلُ الْمَعْرُوفِ ... طَرِيقُ الْبَرَكَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَتَحَ أَبْوَابَ الْخَيْرِ لِلْعَامِلِينَ، وَجَعَلَ رَحْمَتَهُ قَرِيبًا مِنْ عِبَادِهِ الْمُحْسِنِينَ، وَحَصَّ بِفَضْلِهِ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ، فَكَتَبَ لَهُمْ ذِكْرًا حَسَنًا فِي الْعَالَمِينَ، وَلِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَخَيْرُ الْوَصَايَا وَأَعْظَمُهَا لِمَنْ عَقَلَهَا، وَاتَّبَعَهَا مَا وَصَّى اللَّهُ بِهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ} [النساء: ١٣١].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَهَدْيٌ مِنْ هَدْيِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ، وَيَنَالُ بِهَا مَحَبَّتَهُ، وَيَتَنَفَّعُ بِهَا فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ، بَذْلُ الْمَعْرُوفِ لِلنَّاسِ، وَالسَّعْيُ فِي نَفْعِ الْآخِرِينَ، وَقَضَاءُ حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَحَبَّةُ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ، جَعَلَ اللَّهُ فِعْلَ الْخَيْرِ سَبَبَ الْفَلَاحِ: {الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج: ٧٧]، وَبِنَفْعِ الْآخِرِينَ يَسْمُو الْمَرْءُ إِلَى مَنْزِلَةٍ عَظِيمَةٍ يَنَالُ بِهَا مَحَبَّةَ اللَّهِ: ((أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ))^(١٠٤)، ((مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ))^(١٠٥).

وَقَدْ دَلَّ الْعَقْلُ وَالنُّقْلُ وَالْفِطْرَةُ وَتَجَارِبُ الْأُمَمِ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَمِلَلِهَا وَنَحْلِهَا عَلَى أَنْ التَّقَرُّبُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْبِرُّ وَالْإِحْسَانُ إِلَى خَلْقِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِكُلِّ خَيْرٍ، فَمَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللَّهِ بِمِثْلِ طَاعَتِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

فِي نَفْعِ النَّاسِ: تَخْلِيدُ الْأَجُورِ وَطِيبُ الذُّكْرِ وَالْمَآثِرِ: {وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمَكْتُ فِي الْأَرْضِ} [الرعد: ١٧].

وَفِي نَفْعِ النَّاسِ: اسْتِجْلَابُ مَوَدَّتِهِمْ وَذَهَابُ وَحَرِ صُدُورِهِمْ، وَحَبْلُ اللَّهِ مَمْدُودٌ بِالرِّزْقِ وَقَضَاءُ الْحَاجَةِ مَا دَامَ حَبْلُ نَفْعِ الْمَرْءِ لِلنَّاسِ بَاقِيًا: ((وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ))^(١٠٦)، ((وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))^(١٠٧).

١٠٤ (قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا (٣٦)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٠٦).

١٠٥ (أخرجه أحمد في مسنده، (١٤٢٦٩) تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

١٠٦ (أخرجه البخاري في صحيحه، (٢٣١٠).

١٠٧ (أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٦٩٩).

وَنَفْعُ النَّاسِ . يَا عِبَادَ اللَّهِ . مِنْ أَسْبَابِ الْوَقَايَةِ مِنَ الْمَخَازِي وَالْمَهَالِكِ ، وَسَبِيلِ لِلظَّفَرِ بِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ ، صَاحِبِ الْمَعْرُوفِ لَا يَقْعُ ، وَإِنْ وَقَعَ وَجَدَ مُتَّكًا : ((صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ وَالْآفَاتِ وَالْهَلَكَاتِ ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ)) . (١٠٨)

وَفِي نَفْعِ النَّاسِ : تَفْرِيجُ كُرْبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : ((مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)) . (١٠٩)

وَفِي نَفْعِ النَّاسِ ، وَاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ : أَمَانٌ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ ؛ قَالَتْ خَدِيجَةُ [?] لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا جَاءَهُ الْوَحْيُ وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ : (١١٠) ، وَمَنْ هَذِهِ صِفَاتُهُ لَا يُخْزِيهِ اللَّهُ ، وَبَرَكَتُهُ الْعَبْدُ تُدْرِكُ بِمَدَى نَفْعِهِ : { وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ { (مريم: ٣١) ؛ أَيُ : نَافِعًا لِلنَّاسِ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ .

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ :

وَأَصْحَابُ الْمَعْرُوفِ مِمَّنْ تَوَاصَلَ بِرُحْمٍ ، وَزَادَ إِحْسَانُهُمْ ، تُقَدَّرُهُمُ الرِّجَالُ ، وَيَبْقَى ذِكْرُهُمْ فِي الْأَجْيَالِ ، إِنَّ غَيْبَ الْمَوْتِ أَجْسَادَهُمْ بَقِيَتْ مَكَارِمُهُمْ وَأَثَارُهُمْ . قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَ فَضَائِلُهُمْ وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتٌ

عِبَادَ اللَّهِ :

وَعَلَى كُلِّ مَنْ قَدَّمَ مَعْرُوفًا أَنْ يُخْلِصَ اللَّهُ نِيَّتَهُ ، وَيَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ : { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مَنْ نَجَّوْنَهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا { [النساء: ١١٤] .

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ :

وَنَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ أَظْلَمَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَصَافَتْ بِالْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ صُدُورُهُمْ ، فَخَبَا ذِكْرُهُمْ وَسَاءَتْ سُمْعَتُهُمْ : فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ {

١٠٨ () أخرجه الحاكم في مستدركه ، (٤٢٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ، برقم : (٣٧٩٥) .

١٠٩ () أخرجه أحمد في مسنده ، (٧٤٢١) تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

١١٠ () أخرجه البخاري في صحيحه ، (٣) .

[الدخان: ٢٩]، فَالْمَرْءُ بِمَا مَعْرُوفٍ كَالْأَرْضِ الْبَوَّارِ، لَيْسَ لَهُ آثَارٌ صَالِحَةٌ، وَلَا أَعْمَالٌ نَافِعَةٌ، فَلَا يُرَى لَهُمْ شَاكِرٌ، وَلَا يَذْكُرُهُمُ بِالْخَيْرِ ذَاكِرٌ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ وَالْحِزْمَانِ.

الألفة... رُوحُ المُجتمَعِ المُسلمِ

الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا، وَعَلَى الْخَيْرِ وَالْتَّقْوَى أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا،
وَبِالْإِسْلَامِ اجْتَمَعُوا وَعَلَى هَذَا تَأَلَّفُوا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:
فَخَيْرُ الْوَصَايَا وَأَعْظَمُهَا لِمَنْ عَقَلَهَا، وَاتَّبَعَهَا مَا وَصَّى اللَّهُ بِهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: {وَلَقَدْ
وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ} [النساء: ١٣١].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

مِنَ النَّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ نِعْمَةُ التَّأَلُّفِ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ: { فَأَلَّفَ
بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } [آل عمران: ١٠٣]، فَمَنْ رَزَقَ هَذِهِ النِّعْمَةَ
فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ
قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: ٦٣]، وَلِبَيَانِ أَهَمِّيَّةِ الْمَحَبَّةِ
وَالْأَلْفَةِ سَبَقْتُ دَعْوَةَ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ طَلَبَ الْغَدَاءَ وَالرَّزْقَ: { فَاجْعَلْ
أَفْعِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ } [إبراهيم: ٣٧].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِذَا اسْتَقَرَّ الْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ أَثْمَرَ إِخَاءً وَحَبًّا لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ
فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ } [الحجرات: ١٠]، وَمَعْنَاهَا: مَا الْمُؤْمِنُ إِلَّا أَخٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَكُلَّمَا
ظَهَرَتْ الْقُلُوبُ وَرَكَتِ النُّفُوسُ أَحَبَّتْ بِصِدْقِ فِدَاقَتِ النِّعَمِ وَرَاحَةِ الْبَالِ، فَمَا أَسْعَدَ
تِلْكَ الْقُلُوبَ الَّتِي تُصْبِحُ وَتُمْسِي لَا تَحْمِلُ حِقْدًا عَلَى أَحَدٍ، فَالْأَلْفَةُ ثَمَرَةٌ حُسْنِ الْخُلُقِ،
وَالْتَفَرُّقُ ثَمَرَةٌ سُوءِ الْخُلُقِ، فَحُسْنُ الْخُلُقِ يُوجِبُ التَّحَابَّ، وَالتَّأَلُّفَ وَالتَّوَافُقَ، وَسُوءُ
الْخُلُقِ يُثْمِرُ التَّبَاغُضَ وَالتَّحَاسُدَ وَالتَّنَازُرَ، وَفِي الْحَدِيثِ «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا
أَخَاسِنُهُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطَأُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا
يُؤْلَفُ»^(١١١)، فَالْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ لِحُسْنِ أَخْلَاقِهِ، وَسُهُولَةِ طَبَاعِهِ وَلِينِ جَانِبِهِ، وَلَا خَيْرَ
فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ؛ لِضَعْفِ إِيْمَانِهِ وَعُسْرِ أَخْلَاقِهِ وَسُوءِ طَبَاعِهِ، فَالْغُلُّ يُفْسِدُ
الْقَلْبَ وَيُضَيِّقُ الصَّدْرَ وَيَجْعَلُ صَاحِبَهُ بَعِيدًا عَنِ النَّاسِ، وَيَسْتَنْقِلُهُ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

الْأَلْفَةُ وَالْمَحَبَّةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ، يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ جَسَدٍ وَاحِدٍ، إِذَا اشْتَكَى الرَّأْسُ تَدَاعَى

لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى»^(١١٢)، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: "وَلِهَذَا كَانَ الْمُؤْمِنُ يَسْرُهُ مَا يَسُرُّ الْمُؤْمِنِينَ وَيَسُوؤُهُ مَا يَسُوؤُهُمْ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ"^(١١٣)، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١١٤).

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ تَرْسِيخُ الْمَحَبَّةِ وَالْأُلْفَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ رَبَّطَ النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ بِالْمَحَبَّةِ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَتَحَابُّوا»^(١١٥)، وَبَيَّنَّ أَنَّ اللَّيْنَ وَالسَّمَاحَةَ سَبَبَ لِرِضَا اللَّهِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ. «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ كُلِّ هَيْئٍ، لَيِّنٍ، قَرِيبٍ، سَهْلٍ»^(١١٦) فَالْمُؤْمِنُ الْحَقُّ سَمَحَ النَّفْسِ، طَلَقَ الْوَجْهَ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، يَجْبُرُ الْخَوَاطِرَ وَيُرَاعِي الْمَشَاعِرَ، لَا يَعْرِفُ الْجَفَاءَ وَلَا الْقَسْوَةَ؛ لِأَنَّ الْغُلْظَةَ تُفْسِدُ الْإِحَاءَ وَتُنْفِرُ الْقُلُوبَ. أَمَّا اللَّيْنُ وَالْبِشْرُ وَحُسْنُ الْمُعَامَلَةِ فَهِيَ مَفَاتِيحُ الْقُلُوبِ، وَمِنْحُ رَبَّانِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ، {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: ١٥٩]، فَمَنْ رَزَقَ الرَّحْمَةَ فَقَدْ رُحِمَ، وَمَنْ حُرِمَهَا ابْتَعَدَ عَنِ قُلُوبِ النَّاسِ وَخَسِرَ الْأُلْفَةَ بَيْنَهُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْوَفَاءَ لِمَنْ أَقْوَى الدَّلَائِلِ وَأَوْضَحَ الْبَرَاهِينِ عَلَى طَيْبِ الْأَصْلِ وَشَرَفِ الْعُنْصُرِ، تَأَمَّلُوا مَعِيَ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: ١٠].

سُبْحَانَ اللَّهِ إِخْوَةُ الْإِيمَانِ، تَبَقَّى بَعْدَ الْوَفَاءِ فَتَذَكَّرْ أَمْوَاتَ الْمُسْلِمِينَ بِالْخَيْرِ، فَتَتَرَحَّمْ عَلَيْهِمْ وَتَرْجُو لِمُحْسِنِهِمْ، وَتَدْعُو لِمُسِيئِهِمْ أَنْ يَشْمَلَهُ اللَّهُ بِعَفْوِهِ، وَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَجَدَهُ يَهْدِي إِلَى هَذِهِ الْمَحَبَّةِ، مَا أَوْثَقَهَا مِنْ أَوَاصِرَ تَرْبُطُ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِآخِرِهَا وَآخِرِهَا بِأَوَّلِهَا، تَتَخَطَّى الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ، وَالْجِنْسَ وَالنَّسَبَ، فَيَدْعُو الْمُؤْمِنُ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ بَعْدَ

١١٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٦٦٥).

١١٣) مجموع الفتاوى، (٣٧٣ / ٢).

١١٤) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٧٧).

١١٥) أخرجه الترمذي في سننه، (٢٥١٠).

١١٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه، (٤٨٠ / ١).

قُرُونٍ مُتَطَاوِلَةٍ، وَلَا يَعْرِفُونَ وُجُوهَهُمْ وَلَا أَسْمَاءَهُمْ، وَلَا مَنْ وَأَيْنَ وَفِي أَيِّ زَمَانٍ وُلِدُوا،
وَيَدْعُونَ لَهُمْ وَيُسَمُّونَهُمْ إِخْوَانَنَا؛ وَهَذَا مِنْ فَضَائِلِ الْإِيمَانِ أَنْ يَنْتَفِعَ الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ
بِبَعْضٍ وَيَدْعَوْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ بِسَبَبِ الْمُشَارَكَةِ فِي الْإِيمَانِ الْمُقْتَضِي لِعَقْدِ الْأُخُوَّةِ بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ، الَّتِي مِنْ ثَمَارِهَا أَنْ يَدْعَوْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَأَنْ يُحِبَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَمَا حَالُ
قُلُوبِنَا مَعَ إِخْوَانِنَا الْمُؤْمِنِينَ؟ وَلَيْسَ أَلْ كُلُّ مِنَّا نَفْسَهُ مِنْ أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ؟

جَبُرَ الْخَوَاطِرُ... عِبَادَةُ خَفِيَّةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ،
يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ يُحْسِنُ إِلَى أَخِيهِ وَيَرْحَمُهُ، وَيَصِلُهُ وَيَنْفَعُهُ، وَيُبْغِضُ مَنْ يُسِيءُ إِلَى
أَخِيهِ وَمَنْ الْخَيْرِ يَمْنَعُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:
فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ ثِمَارِ التَّقْوَى تَهْدِيبَ النَّفْسِ، وَصَلَاحَ الْعَمَلِ،
وَحُسْنَ الْمَعَامَلَةِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

سَجِيَّةٌ مِنْ سَجَايَا الْكَرَامِ، وَخُلُقٌ مِنْ أَخْلَاقِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، وَخَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ
الْإِيمَانِ، خُلِقَ يَدُلُّ عَلَى سَلَامَةِ صَدْرِ صَاحِبِهِ، وَظَهَارَةِ نَفْسِهِ، وَقَاءِ سَرِيرَتِهِ، هُوَ بَلَسَمٌ
لِلنُّفُوسِ وَتَطْيِيبٌ لِلْقُلُوبِ، يَجْعَلُ النَّاسَ مُتَحَابِّينَ مُتَأَلِّفِينَ، هَذَا الْخُلُقُ يَتَحَلَّى بِهِ كِرَامُ
النَّاسِ؛ إِنَّهُ مُزَاعَاةُ الْمَشَاعِرِ وَجَبُرُ الْخَوَاطِرِ، وَهُوَ مِنْ خَيْرِ مَا يَتَحَلَّى بِهِ الْمَرْءُ، وَيَرْفَعُ
قَدْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَعِنْدَ النَّاسِ، وَيَكْسِبُهُ السَّعَادَةَ وَطِيبَ الْحَيَاةِ، وَمَحَبَّةَ الْآخَرِينَ.
وَالْمَرْءُ بِالْأَخْلَاقِ يَسْمُو ذِكْرُهُ وَبِهَا يُفْضَلُ فِي الْوَرَى وَيُوقَّرُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَالْقُدُوةُ الْأَسْوَدُ الْعُظْمَى فِي ذَلِكَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ
كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ، وَيُوَاسِيهِمْ، وَيُطَيِّبُ خَوَاطِرَهُمْ، وَيُرَاعِي
مَشَاعِرَهُمْ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ [?] قَالَ: لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ
مُنْكَسِرًا؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَشْهَدَ أَبِي، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا. قَالَ:
«أَلَا أَبْشُرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ
إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابِهِ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا...» الْحَدِيثُ (١١٧)
وَفِي هَذِهِ الْبُشْرَى مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِجَابِرٍ مَا يُثَبِّتُ قَلْبَهُ،
وَيُزِيلُ انْكَسَارَهُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ.

وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ
مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى
طَرِيقِهِمْ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ. يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ.

فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلَتْهُ إِلَّا لِيشيعني، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِى عُمَرُ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلَتْهُ إِلَّا لِيشيعني، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِى أَبُو الْقَاسِمِ عليه السلام، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَى، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِى، ثُمَّ قَالَ: «أَبَا هِرٍّ»، قُلْتُ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْحَقُّ»، وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ... وَفِي آخِرِ الْحَدِيثِ: «فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: أَبَا هُرَيْرَةَ اشْرَبْ. فَسَرَبْتُ، ثُمَّ قَالَ: اشْرَبْ. فَلَمْ أَرَلْ أَشْرَبُ وَيَقُولُ: اشْرَبْ، حَتَّى قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا» (١١٨)

وَمَنْ تَتَّبَعَ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ وَجَدَهَا حَافِلَةً بِالْمَوَاقِفِ الْمُسْرِقَةِ فِي مُرَاعَاةِ النَّبِيِّ عليه السلام لِمَشَاعِرِ أَصْحَابِهِ، وَجَبَرِ خَوَاطِرِهِمْ، وَتَطْيِيبِ قُلُوبِهِمْ.

عِبَادَ اللَّهِ:

كَمْ مِنْ حَزِينٍ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُرَاقِي مَشَاعِرَهُ، وَيَجُزُّ خَاطِرَهُ بِكَلِمَاتٍ حَانِيَةٍ تُصَمِّدُ جِرَاحَ قَلْبِهِ، وَكَمْ مِنْ مَظْلُومٍ بِأَمْسٍ الْحَاجَةِ إِلَى مَنْ يَقِفُ مَعَهُ فِي مَظْلَمَتِهِ، وَيُخَفِّفُ عَنْهُ مَا يَسْتَطِيعُهُ مِنْ أَلَمِ الظُّلْمِ وَالْقَهْرِ، وَكَمْ مِنْ مُبْتَلَى يَتَمَتَّى أَنْ يَجِدَ أَخَا صَادِقًا يُصَبِّرُهُ فِي بَلَائِهِ، وَيُقَوِّيه، وَيَشُدُّ أَرْزُهُ، وَيُسَلِّيه، وَيُعِينُهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ، وَكَمْ مِنْ مَهْمُومٍ وَمَكْرُوبٍ أَثْقَلَتْهُ الْمَصَائِبُ وَالْخُطُوبُ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَتَفَقَّدُ مَشَاعِرَهُ، وَيَقِفُ مَعَهُ وَيُؤَازِرُهُ، ((وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)) (١١٩)

وَقَدْ عَلِمْنَا دِينَنَا أَنْ نُنْصِرَ الْمَظْلُومَ، وَنُوَاسِيَ الْمَكْلُومَ، وَنُعْطِيَ الْمَحْرُومَ: {وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.}

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَتَفَقَّدُ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ إِذْ غَلَبَ عَلَى أَهْلِهَا الْأَثَرَةُ وَطُغْيَانُ حُبِّ الدَّاتِ، وَهِيَ مِنْ أَسْبَابِ تَفَكُّكِ الْأَسْرِ، وَتَقْطُعِ الْعَلَاقَاتِ، وَنُسُوءِ الْخِلَافَاتِ وَالزَّرَاعَاتِ، تَفَقَّدُ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ عِنْدَ أَهْلِ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ، الْفَقْطَةِ الْعَلِيْظَةِ، سَيِّئَةِ الطَّبَاعِ وَالْأَخْلَاقِ، عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهَا.

(١١٨) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٠٨٧).

(١١٩) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٦٩٩).

اللهم اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ.

الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ... جِسْرُ الْقُلُوبِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَكُونُ عِنْدَهُ دُخْرًا، أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا، وَأَنْ يَنْتَقُوا مِنَ الْكَلِمَاتِ أَطْيَبَهَا، وَمِنَ الْأَلْفَافِ أَوْفَقَهَا، وَمِنَ الْأَقْوَالِ أَحْسَنَهَا ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

عِبَادَ اللَّهِ:

هِيَ مِنْ عَلَامَاتِ الْمُرُوءَةِ وَدَلَائِلِ الْإِيمَانِ، وَمَنْ أَعْظَمَ مَا يَبْعِدُ الْمَرْءَ عَنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ وَتَقَرُّبِهِ مِنْ رِضَى الرَّحْمَنِ، تَجْتَمِعُ الْقُلُوبُ عَلَى صَاحِبِهَا، وَيَكْسِبُ بِهَا مَحَبَّةَ النَّاسِ، فَهِيَ عُتْوَانُ الْمَرْءِ، تَكْشِفُ عَنْ صِدْقِ قَلْبِهِ، وَتَدُلُّ عَلَى طِيبِ نَفْسِهِ وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِ؛ إِنَّهَا الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَقَدْ وَرَدَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْأَمْرُ بِالْقَوْلِ الْحَسَنِ فِي مَوَاضِعَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٩]، ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وَالْمُتَأَمِّلُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ يَلْحَظُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا وَجَّهَ عِبَادَهُ إِلَى انْتِقَاءِ أَحْسَنِ الْأَقْوَالِ، وَأَطْيَبِ الْكَلِمَاتِ، وَأَجْمَلِ الْأَلْفَافِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَقَامٍ؛ فَالْقَوْلُ الْحَسَنُ هُوَ مَا جَمَعَ بَيْنَ حُسْنِ اللَّفْظِ، وَجَمَالِ الْمَعْنَى، وَصِدْقِ الْمَقْصِدِ، وَلَيْنِ الْأُسْلُوبِ؛ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَغْرِسُ الْمَحَبَّةَ، وَيَزْرِعُ الْأُلْفَةَ، وَيُطْفِئُ نَارَ الشَّيْطَانِ وَتَحْرِيشَهُ بَيْنَ النَّاسِ: رِقِيُّ الْكَلِمَاتِ، وَرِفْقُ الْعِبَارَاتِ، وَلَيْنِ الْخِطَابِ.

إِخْوَةُ الْإِسْلَامِ:

أَلَسَنَةُ النَّاسِ فِيهَا ثُغَرَاتٌ يَصْطَادُ بِهَا الشَّيْطَانُ، وَالْقَوْلُ الْحَسَنُ يَسُدُّ هَذِهِ الثُّغَرَاتِ، وَيُقَوِّي بِهَا الْأُخُوَّةَ، وَيُعْلِقُ أَبْوَابَ الشَّقَاقِ وَالْخِصَامِ. الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ، يَا عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَخْرُجُ إِلَّا مِنْ طَابِ خُلُقِهِ، وَصَفَا قَلْبِهِ، وَزَكَتْ نَفْسُهُ، وَحَسَنْتْ سَرِيرَتُهُ، وَمَنْ كَمَلَ عَقْلُهُ حَسَنَ لَفْظُهُ، وَإِذَا شَرَفَ الْخُلُقُ لُطْفَ النُّطْقِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَقَدْ جَاءَتِ السُّنَّةُ بِالْحَثِّ عَلَى الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ، قَالَ ﷺ: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» (١٢٠)، وَقَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» (١٢١)، وَقَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (١٢٢)، وَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَذْلُ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الْكَلَامِ» (١٢٣).
تَأَمَّلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ كَيْفَ رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ شَأْنِ الْكَلِمَةِ، وَبَيَّنَ لَنَا عَظِيمَ مَنَزَلَتِهَا.

عِبَادَ اللَّهِ:

مَا أَكْثَرَ مَا تَقَارَبَ النَّاسُ بِلُظْفِ الْعِبَارَةِ، وَتَفَرَّقُوا لِحُشُونَةِ الْكَلِمَةِ الْجَارِحَةِ؛ فَالْكَلِمَةُ مِفْتَاحُ الْقُلُوبِ، فَإِذَا أَنْ يُفْتَحَ بِهَا وَدٌّ، أَوْ يُغْلَقَ بِهَا بَابٌ لَا يَفْتَحُ.
سُمُّ الْعِبَارَاتِ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ صَفَاءِ الْعَلَاqَاتِ، الْكَلِمَةُ جِسْرٌ بَيْنَ الْأَفْوَاهِ؛ فَإِنْ كَانَتْ طَيِّبَةً قَرَّبَتْ، وَإِنْ كَانَتْ قَاسِيَةً قَطَعَتْ.
اللَّهُمَّ اهْدِنَا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ، وَاهْدِنَا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ تَبْدَأُ مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ، مَعَ الْوَالِدَيْنِ، وَبَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَمَعَ الْأَوْلَادِ؛ فَإِنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ دَاخِلُ الْبَيْتِ تُشِيعُ الْمَوَدَّةَ، وَتَنْشُرُ الْأَلْفَةَ وَالْمَحَبَّةَ، وَتُسَهِّمُ فِي اسْتِقْرَارِ الْأُسْرَةِ وَدَوَامِ الْعِشْرَةِ، ثُمَّ تَتَسَعُّ صَدَقَةُ الْقَوْلِ الْحَسَنِ مَعَ أَرْحَامِكَ وَجِيرَانِكَ وَأَصْدِقَائِكَ، مَعَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ. ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة]؛ اجْعَلْهَا شِعَارَكَ وَعُنْوَانَكَ، وَتَذَكَّرْ أَنَّ صَلَاحَ اللِّسَانِ مِنْ صَلَاحِ الْقَلْبِ؛ فَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَأَحْسِنْ كَلَامَكَ، فَإِنَّ الْمَرْءَ يُعْرِفُ بِمَنْطِقِهِ، فَعَوْدُ لِسَانِكَ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ خُلُقًا وَسَجِيَّةً، ثَلَاثُكُمْ فِي بَيْتِكَ وَعَمَلِكَ وَسُوقِكَ وَمَجْلِسِكَ، مَعَ مَنْ تُحِبُّ وَمَعَ مَنْ يَخْتَلِفُ مَعَكَ.

١٢٠) أخرجه البخاري في صحيحه، (٢٨٢٧).

١٢١) أخرجه مسلم في صحيحه، (١٠١٦).

١٢٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٦٧٢).

١٢٣) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، (٤٦٩)، وصححه الألباني في الصَّحِيحَةِ: (١٠٣٥).

اللهم اهْدِنَا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ، وَاهْدِنَا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ
يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.

الْقَنَاعَةُ... سِرُّ السَّعَادَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْقَائِلِ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلَخِيًّا وَرَحِمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: ٣٢]، كَتَبَ اللَّهُ لِكُلِّ عَبْدٍ رِزْقَهُ وَقَسَمَ الْأَرْزَاقَ بَيْنَ عِبَادِهِ بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، وَهُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، فَهِيَ خَيْرُ الرِّادِّ دُخْرًا {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا} {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} [الطلاق: ٤].

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّهَا كَثُرَ مَعْتَوِيٌّ عَظِيمٌ يَتَحَقَّقُ بِهَا الرِّضَا وَالْفَلَاحُ، مَنْ وَفَّقَ إِلَيْهَا اسْتَعْنَى وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ بِالرِّضَا وَسَلِمَ مِنَ التَّسَخُّطِ وَالشُّكْوَى، فَهِيَ سِرُّ الْغِنَى الْحَقِيقِيِّ، وَمَنْ فَقَدَهَا لَمْ يَزِدْهُ الْمَالُ غِنًى، وَإِنْ فَاضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا إِنَّهَا الْقَنَاعَةُ، يَا عِبَادَ اللَّهِ، قَالَ ﷺ: «وَاِزْضِ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ». (١٢٤)

فَلَمْ يَقُلْ ﷺ: مَنْ كَثُرَ مَالُهُ أَوْ عَظُمَ جَاهُهُ، بَلْ قَالَ: مَنْ رَضِيَ، فَالْقَلْبُ الرَّاغِبُ هُوَ الْغِنَى، وَلَوْ خَلَّتْ يَدُهُ مِنْ كُلِّ زِينَةِ الدُّنْيَا. قَالَ ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرَزِقَ كِفَافًا وَقَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ». (١٢٥)

فِي الْقَنَاعَةِ، يَا عِبَادَ اللَّهِ، رَاحَةُ الْبَالِ وَطُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ، وَسَكُونُ النَّفْسِ؛ وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْغِنَى الْحَقِيقِيِّ، فَإِنَّ الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ، قَالَ ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» (١٢٦)؛ فَالْقَنُوعُ أَهْنَأُ النَّاسِ عَيْشًا وَأَسْلَمُهُمْ قَلْبًا، فَمَنْ غَنِيَ قَلْبُهُ غَنِيَّتَ يَدَاهُ، وَمَنْ أَفْتَقَرَ قَلْبُهُ لَمْ يَنْفَعْهُ غِنَاهُ، وَمَنْ قَنَعَ لَمْ يَتَسَخَّطْ بَلْ عَاشَ أَمْنًا مُطْمَئِنًّا، وَمَنْ لَمْ يَقْنَعْ لَمْ تَهْدَأْ رَغْبَتُهُ فِيمَا فَاتَهُ، بَلْ يَكُونُ أَسِيرَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَمِ.

أَوْصَى أَحَدُ الْحُكَمَاءِ ابْنَهُ فَقَالَ: "يَا بُنَيَّ، إِذَا طَلَبْتَ الْغِنَى فَاطْلُبْهُ بِالْقَنَاعَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَنَاعَةٌ لَمْ يُغْنِهِ مَالٌ"، مَنْ لَمْ يَقْنَعْ، يَا عِبَادَ اللَّهِ، ارْدَادَ قَلْبُهُ وَتَسَخَّطُهُ، وَحَرَمَ مِنَ الرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، فَلَا يَرْضِيهِ طَعَامٌ يُشْبِعُهُ وَلَا لِبَاسٌ يَلْبَسُهُ وَلَا مَرْكَبٌ يَحْمِلُهُ وَلَا بَيْتٌ يُؤْوِيهِ.

١٢٤) أخرجه الترمذي في سننه، (٢٣٠٥)، وحسنه الألباني.

١٢٥) أخرجه مسلم في صحيحه، (١٠٥٤).

١٢٦) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٠٨١).

مَا الَّذِي يَجْعَلُ قَلْبًا يَهْتَأ وَإِنْ صَاقَ رِزْقُهُ، وَآخِرَ يَضِيقُ قَلْبُهُ وَإِنْ فَاصَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا؟
كَمْ مِنْ غَنِيٍّ صَاقَ صَدْرُهُ رَغَمَ سَعَةِ مَا يَمْلِكُ، وَكَمْ مِنْ فَقِيرٍ أَشْرَفَتْ نَفْسُهُ وَهُوَ لَا يَجِدُ
إِلَّا قُوتَ يَوْمِهِ.

مَا أَحْوَجَنَا، عِبَادَ اللَّهِ، إِلَى الْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَنَا فِي رَمَنٍ تَكَالَبَ فِيهِ كَثِيرٌ
مِنَ النَّاسِ عَلَى الدُّنْيَا، وَانْعَمَسُوا فِي شَهَوَاتِهَا، وَكَثُرَ فِيهِ النَّسَخُ وَالشَّكْوَى، وَضَعُفَ
فِيهِ الْيَقِينُ. فَالْطَّمَأْنِينَةُ وَرَاحَةُ الْبَالِ لَا تُقَاسُ بِمَا فِي الْبَدَنِ، بَلْ بِمَا فِي الْقَلْبِ، {وَلَا تُمَدِّنْ
عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ} أَرْوَجَا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ
وَأَبْقَى {طه: ١٣١}.

اللهم قنعنا بما رزقتنا وبارك لنا فيه، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

عباد الله:

وَمِنْ سُبُلِ تَحْصِيلِ الْقَنَاعَةِ: الْيَقِينُ بِأَنَّ الرِّزْقَ مَكْتُوبٌ، وَالْإِيمَانُ الْجَائِزُ بِأَنَّ اللَّهَ
هُوَ الرِّزَّاقُ، كَتَبَتْ الْأَرْزَاقُ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ الْعِبَادُ، ((وَلَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا
وَأَجَلَهَا)). (١٢٧)

وَمِنْ أَسْبَابِ تَحْصِيلِهَا أَيْضًا أَنْ يَنْظُرَ الْمَرْءُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، قَالَ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى
مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ». (١٢٨)

وَمِنْ أَسْبَابِ تَحْصِيلِهَا أَيْضًا الْإِلْحَاحُ فِي الدُّعَاءِ أَنْ يَزُرُقَهُ اللَّهُ الْقَنَاعَةَ. وَمِنْ الدُّعَاءِ
الْمَأْثُورِ: «اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي وَبَارِكْ لِي فِيهِ». (١٢٩)

وَتَرْبِيَةُ النَّفْسِ عَلَى الْاِقْتِصَادِ فِي الْإِنْفَاقِ، وَعَدَمُ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ، وَالْاِعْتِقَادُ بِأَنَّ
اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ التَّقَاوُتَ فِي الْأَرْزَاقِ بَيْنَ النَّاسِ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ
رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ
لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: ٣٢].

وَأَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّ الْفَقْرَ وَالْغِنَى ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ. وَلِيَقْرَأَ الْمَرْءُ سِيرَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَهُوَ أَعْظَمُ نُمُودَجٍ فِي الْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا.

١٢٧) أخرجه ابن ماجه في سننه، (٢١٤٤)، وصححه الألباني.

١٢٨) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٩٦٣).

١٢٩) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، (٢٩٦٣٣).

إِفْشَاءُ السَّلَامِ... مِفْتَاحُ الْمَحَبَّةِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤُلُوا قَوْلًا سَدِيدًا} ﴿٧٠﴾ {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ { [الأحزاب: ٧١].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، حَثَّتْ عَلَيْهِ الشَّرِيعَةُ، وَهُوَ عَلَامَةُ نَقَاءِ السَّرِيرَةِ، وَتَزَكِّيِ الْهَجَرِ وَالشَّخْنَاءِ وَالْقَطِيعَةِ، مِفْتَاحُ الصَّفَاءِ وَبَابُ عَوْدَةِ الْإِحْيَاءِ، فَتُحْ لِبَابِ الْأُنْسِ وَالْمَوَدَّةِ، وَسَبَبٌ لِلْأُلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ، حِفْلٌ بِذِكْرِ الْقُرْآنِ، وَرَكْبٌ إِلَى هَذِهِ التَّحِيَّةِ وَوَسَمَهَا بِالْبَرَكَةِ وَالْأَمَانِ، وَأَمَرْنَا بِالْقَائِمِ وَأَنْ لَا نَعْدِلَ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَةٌ طَيِّبَةٌ} [النور: ٦١].

عِبَادَ اللَّهِ:

إِفْشَاءُ السَّلَامِ حَقٌّ دَعَا إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ، وَهُوَ مِنْ سِمَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَمِنْ عِظَمِ شَأْنِ السَّلَامِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى نَفْسَهُ بِالسَّلَامِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ فَأَفْشُوهُ بَيْنَكُمْ» (١٣٠)، وَهُوَ تَحِيَّةُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ} [الأحزاب]، وَهُوَ تَحِيَّةُ الْمَلَائِكَةِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: {سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى آلِدَارٍ، وَتَحِيَّةٌ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ:} {وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} [يونس: ١٠].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَجَعَلَ الْإِسْلَامُ السَّلَامَ حَقًّا مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ فِي الْحَدِيثِ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»، وَذَكَرَ مِنْهَا قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ» (١٣١)، وَجَعَلَ الْبِدَايَةَ بِهِ فُرْبَةً إِلَى اللَّهِ وَسَبَبًا لَوْلَايَتِهِ «إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمُ السَّلَامُ» (١٣٢)، «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُصَدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا،

١٣٠ () أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: (٢١١٨٤).

١٣١ () أخرجه أحمد في مسنده (٨٨٤٥)، وصححه الأرنؤوط.

١٣٢ () أخرجه أبو داود في سننه، (٥١٩٧)، وصححه الألباني.

وَحَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ» (١٣٣). وَأَفْشَاءُ السَّلَامِ طَرِيقٌ لِلْمَحَبَّةِ وَالتَّأَلُّفِ «أَفَلَا أُخِيرُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (١٣٤)، وَأَفْشَاءُ السَّلَامِ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَعَلَامَةٌ عَلَى خَيْرِيَّةِ الْإِسْلَامِ؛ فَيَقْرَأُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ عُرِفَ وَمَنْ لَمْ يُعْرَفْ. وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُسَلِّمُ إِلَّا عَلَى مَنْ يَعْرِفُهُ، وَهَذَا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ». (١٣٥)

عِبَادَ اللَّهِ:

وَأَفْشَاءُ السَّلَامِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الْمُشَافَهَةِ، بَلْ يَكُونُ كَذَلِكَ كِتَابَةً، وَيَجِبُ رَدُّهُ إِذَا بَلَغَ، فَذَلِكَ مِمَّا يَجْلِبُ الْمَحَبَّةَ وَيُوَثِّقُ الْمَوَدَّةَ. وَيَنْبَغِي الْحِرْصُ عَلَى السَّلَامِ عِنْدَ اسْتِعْمَالِ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ، وَلَا سِيَّما فِي بَدْءِ الْمُكَالَمَاتِ وَخَتَامِهَا، كَمَا يُشْرَعُ السَّلَامُ عِنْدَ الْقِيَامِ مِنَ الْمَجْلِسِ، فَالسَّلَامُ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَالْفِرَاقِ سُنَّةٌ جَامِعَةٌ لِلْأَجُورِ، نَاشِئَةٌ لِلْأُلْفَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتْ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ». (١٣٦)

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هَذِهِ شَعِيرَةُ السَّلَامِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْنَا، فَلْنُحْيِهَا فِي مُجْتَمَعِنَا عَلَى مَنْ عَرَفْنَا وَمَنْ لَمْ نَعْرِفْ، وَلْنُعَلِّمَهَا أَهْلِينَا وَأَوْلَادَنَا بِأَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا مَعَهُمْ، وَأَنْ نَجْعَلَهَا عَلَى أَلْسِنَتِنَا عِنْدَ دُخُولِنَا وَخُرُوجِنَا فِي مَسَاجِدِنَا وَبُيُوتِنَا وَمَجَالِسِنَا وَأَعْمَالِنَا، وَأَنْ نَكُونَ كَذَلِكَ فِي اتِّصَالَتِنَا وَمُرَاسَلَتِنَا، وَأَنْ لَا نُبَدِّلَهَا بِغَيْرِهَا.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْبُخْلَ بِالْقَاءِ السَّلَامِ أَمَارَةٌ عَلَى غِلْظِ الطَّبْعِ وَسُوءِ الْخُلُقِ، وَآفَةٌ قَلْبِيَّةٌ مَصْدَرُهَا كِبَرٌ أَوْ حَقْدٌ أَوْ بَغْضَاءٌ أَوْ جَهْلٌ، يَنْتُجُ عَنْهَا التَّهَاجُرُ وَالْوَحْشَةُ وَالْجَفَاءُ، وَتَنَافُرُ الْقُلُوبِ، وَضَعْفُ رَوَابِطِ الْمَحَبَّةِ، وَزَوَالُ الْبَرَكَةِ مِنَ الْمَجَالِسِ وَالْعَلَقَاتِ. فَأَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ

١٣٣ () أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، (٢١٢٩٣).

١٣٤ () أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، (٢٠٤٨٩).

١٣٥ () أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٤٨)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

١٣٦ () أخرجه أبو داود في سننه (٥٢٠٨)، وحسنه الألباني.

تَنَالُوا رِضَا رَبِّكُمْ، وَتُحْيُوا الْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِكُمْ، فَتَتَأَلَّفُ الْقُلُوبُ، وَتَتَّظَهُرُ النُّفُوسُ، وَتَجِلُّ
السَّكِينَةُ، وَتَنْتَشِرُ الطَّمَأِينَةُ، وَتَذْهَبُ الْأَحْقَادُ، وَتَنْقَطِعُ أَسْبَابُ الْجَفَاءِ وَالتَّبَاعِدِ، وَتَعُودُ
الْبَرَكَهُ إِلَى الْمَجَالِسِ وَالْعَلَاقَاتِ؛ فَالسَّلَامُ عُنْوَانُ الْأُخُوَّةِ، وَمِفْتَاحُ الْأُلْفَةِ، وَسَبِيلُ
الرِّضْوَانِ، فَطُوبَى لِمَنْ أَحْيَاهُ، وَسَعِدَ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الأخوة الإيمانية... حق واجب

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي آلَفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَعَلَهُمْ إِخْوَانًا، وَعَلَى الْخَيْرِ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. أَمَّا بَعْدُ:

فَخَيْرُ الْوَصَايَا وَأَعْظَمُهَا لِمَنْ عَقَلَهَا وَاتَّبَعَهَا تَقْوَى اللَّهِ { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ } [النساء: ١٣١].

إخوة الإيمان:

وَاجِبٌ أَكَّدَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَوَصَفَ اللَّهُ بِهِ أَهْلَ الْإِيمَانِ، أَلَا وَهُوَ وَاجِبٌ تَنْمِيَةِ الْأَخْوَةِ الْإِيمَانِيَّةِ؛ فَمِنْ عَظَمِ الْأَخْوَةِ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهَا الْوَصْفَ الْأَكْمَلَ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ لِتُبَيِّنَ عَظَمَ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ، { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } [الحجرات: ١٠]، وَمِنْ لَوَازِمِ هَذِهِ الْأَخْوَةِ: الْإِهْتِمَامُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَالتَّرَاحُمُ وَالتَّعَاطُفُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } [الفتح: ٢٩]، وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِالْجَسَدِ الْوَاحِدِ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ جَسَدٍ وَاحِدٍ، إِذَا اشْتَكَى الرَّأْسُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى». (١٣٧)

فَأَهْلُ الْإِيمَانِ يَسْتَشْعِرُونَ آلَامَ بَعْضِهِمْ وَمَصَائِبَهُمْ بِالْعَوْنِ، وَمُسَاعَدَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، كُلٌّ بِقَدْرِ اسْتَطَاعَتِهِ، وَلِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْحُقُوقِ بِذِكْرِ هَذَا الْوَصْفِ، وَهُوَ وَصْفُ الْأَخْوَةِ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ». (١٣٨)

عبادة الله:

الْمُؤْمِنُ لَا يَعْيشُ لِنَفْسِهِ فَقَطْ، بَلْ يَحْمِلُ هَمَّ أُمَّتِهِ وَيُؤَاسِي إِخْوَانَهُ فِي مَصَائِبِهِمْ، وَيَهْتَمُّ بِمُسَاعَدَةِ الْآخَرِينَ وَبِالْوُقُوفِ إِلَى جَانِبِهِمْ فِي أَرْزَامِهِمْ وَتَثْبِيتِهِمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ؛ فَيَتَحَقَّقُ بِذَلِكَ صِدْقُ الْإِيمَانِيِّ. وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْحَمَ النَّاسِ بِالنَّاسِ، فَكَانَ يُؤَاسِي أَهْلَ الْعَذَابِ وَيُظَمِّنُهُمْ بِالْجَنَّةِ، كَمَا فَعَلَ مَعَ آلِ يَاسِرٍ «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ». (١٣٩)

١٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٦٦٥).

١٣٨) أخرجه البخاري في صحيحه، (٢٣١٠).

١٣٩) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، (١٤٠ / ١).

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمِنْ وَاحِبِنَا تَجَاهِ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ الدُّعَاءَ لَهُمْ؛ فَهُوَ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، يَسْتَدْفِعُ بِهِ
 الْبَلَاءَ، وَيَرُدُّ بِهِ سُوءَ الْقَضَاءِ. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [؟] قَالَ: ((لَمَا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرَ
 النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَنِيفٍ، وَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَإِذَا هُمْ أَلْفٌ وَزِيَادَةٌ،
 فَاسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، وَعَلَيْهِ رِدَاؤُهُ وَإِرَارُهُ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ أَيْنَ مَا
 وَعَدْتَنِي؟ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ،
 فَلَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا"، فَمَا زَالَ يَسْتَغِيثُ رَبَّهُ [؟]، وَيَدْعُوهُ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ، فَأَتَاهُ
 أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَرَدَّاهُ ثُمَّ التَّرْمَةَ مِنْ وَرَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَذَلِكَ مُنَاشِدُكَ
 رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ [؟]: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَيْ
 مُمِدُّكُمْ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: ٩٠]، فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ. (١٤٠)

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كَمْ نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ نَصُدِّقَ اللَّهَ فِي دُعَائِنَا، وَنَلْجَأَ إِلَيْهِ أَنْ يَرْفَعَ مَا نَزَلَ بِإِخْوَانِنَا،
 بِقُلُوبٍ مُمْتَلِئَةٍ بِالثِّقَةِ وَالْيَقِينِ، وَأَنْ يُنَجِّيَ اللَّهَ الْمُسْتَضْعِفِينَ الْمُضْطَهَّدِينَ فِي سُجُودِنَا
 وَخَلَوَاتِنَا. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هُوَ سَيِّدُ الْمُتَأَثِّرِينَ بِأَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، هُوَ قُدُّوْتُنَا عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ [؟] قَالَ: ((كُنَا
 فِي صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَهُ قَوْمٌ عُرَاءُ مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي
 السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرٍ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍ، فَتَمَعَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى بِهِمْ مِنَ
 الْفَاقَةِ، بِمَعْنَى تَغَيَّرَتْ مَلَاحِجُ وَجْهِهِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى صَدَقِ الْإِيمَانِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَشْعِرُ
 مَصَائِبَ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ فَتَبْدُو عَلَى مَلَاحِجِ وَجْهِهِ - فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ
 وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: تَصَدَّقْ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهِمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ
 صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ «فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ
 كُهُفُهُ تَعْجَرُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ،
 حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ» (١٤١)؛ يَعْنِي: قِطْعَةً مُطْلِيَّةً بِالذَّهَبِ.
 وَمِمَّا حَزَنَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ حُزْنًا شَدِيدًا، أَنَّهُ ظَلَّ يَقْتُلُ شَهْرًا حِينَ قُتِلَ الْقُرَاءُ السَّبْعُونَ
 مِنْ أَصْحَابِهِ، فَمَا وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ مَا وَجَدَ عَلَى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ قُتِلُوا، فَيُنْبَغِي

١٤٠) أخرجه مسلم في صحيحه، (١٧٦٣).

١٤١) أخرجه مسلم في صحيحه، (١٠١٧).

لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَسْتَشْعِرَ مَصَائِبَ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، ((فَمَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِالْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ)). (١٤٢)

حُسْنُ الْجَوَارِ... خُلُقُ الْكَرَامِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَرَ عِبَادَهُ بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَأَحَبَّ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ كَالْبُنَيَانِ، وَأَمَرَ أَنْ نُؤْتِيَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَمَنْ قَامَ بِهِ آتَاهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَجَعَلَهُ مُحِبُّوًّا عِنْدَ خَلْقِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. أَمَّا بَعْدُ:

فَالْوَصِيَّةُ بِتَقْوَى اللَّهِ هِيَ وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ } [النساء: ١٣١]. اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا، أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا.

عِبَادَةُ اللَّهِ:

حُقُوقُهُ عَلَيْكَ مِنْ أَعْظَمِ الْحُقُوقِ وَآكِدَهَا، وَأَذْيَتُهُ مِنْ عَظَائِمِ الذُّنُوبِ وَكَبَائِرِهَا، إِكْرَامُهُ مِنْ سِمَاتِ الْأَبْرَارِ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِ مِنْ عَلَامَاتِ كَمَالِ الْإِيمَانِ، إِنَّهُ حُسْنُ الْجَوَارِ وَإِكْرَامُ الْجَارِ. إِنَّ الْكَرَامَ خِيَارُ النَّاسِ لِلْجَارِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

يَهْدِفُ الْإِسْلَامُ إِلَى إِقَامَةِ مُجْتَمَعٍ مُتَمَاسِكٍ قَوِيٍّ الْبِنَاءِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، تَسْمُو بِبَيْنِ أَهْلِهِ رُوحَ الْأُخُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَوَدَّةِ، يَشْعُرُ بَعْضُهُمْ بِشُعُورِ بَعْضٍ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ جَسَدٍ وَاحِدٍ، إِذَا اشْتَكَى الرَّأْسُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (١٤٣). وَتَحْقِيقًا لِهَذَا الْأَمْرِ، يَا عِبَادَ اللَّهِ، أَمَرَ الْإِسْلَامُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ، وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ، وَإِيصَالَ الْخَيْرِ إِلَيْهِ، وَكَفَّ الْأَذَى عَنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَتَعَلَّمِ الْبِرَّ وَالْإِحْسَانَ مَعَ الْأُسْرَةِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ وَجِيرَانِهِ، لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مَعَ الْأُسْرَةِ الْكَبِيرَةِ مِنْ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ خَيْرٌ لِأَهْلِهِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ لِعَیْرِهِمْ، وَمَنْ لَمْ يَمْنَحْ أَهْلَهُ الْفَضْلَ وَالْمَعْرُوفَ وَالْإِحْسَانَ، فَلَنْ يَكُونَ مِنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

عِبَادَةُ اللَّهِ:

وَلِعِظَمِ حَقِّ الْجَارِ جَاءَتْ وَصِيَّةُ اللَّهِ بِهِ مَقْرُونَةً بِتَوْحِيدِهِ وَعَدَمِ الْإِشْرَاقِ بِهِ: { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ } [النساء: ٣٦].

وَجَاءَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ تَحْتُ عَلَى الْقِيَامِ بِحَقِّ الْجَارِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ» (١٤٤)، «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ» (١٤٥). «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ» (١٤٦)، «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (١٤٧).

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الدَّيَارَ لَا تُقَاسُ حَقِيقَةً بِجَمَالِ بُنْيَانِهَا، وَإِنَّمَا تَعْلُو وَتَرُخَّصُ بِجِوَارِهَا. اخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ جِيرَانًا تُجَاوِرُهُمْ لَا تَصْلُحُ الدَّارُ حَتَّى يَصْلُحَ الْجَارُ. وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى جَارِهِ نَزَلَتْ الْبَرَكَهُ فِي دَارِهِ، وَحَسُنَ الْجَوَارِ عِمَارَةٌ لِلدَّارِ، وَمَنْ فَقَدَتْ مُوَأَسَّتُهُ ثَقُلَتْ مُجَاوِرَتُهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

بِالْقِيَامِ بِحُقُوقِ الْجِيرَانِ تَتَحَقَّقُ الْمَحَبَّةُ وَالْأُلْفَةُ، وَتَحْصُلُ الْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ، وَتَتِمَّاسِكُ الْمُجْتَمَعَاتُ، وَتَزُولُ الْأَحْقَادُ وَالْأَضْغَانُ؛ فَالْمُؤْمِنُ يَهْتَمُّ بِإِخْوَانِهِ وَيُصْلِحُ صِلَاتَهُمْ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ كَمَالَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ يَكْمُنُ فِي نَقْلِ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ إِلَيْهِ، وَدَفْعِ الشَّرِّ وَالْأَذَى عَنْهُ وَقَدْ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمَقَامِ (١٤٨)، فَوَا عَجَبًا لِمَنْ يَضْطَرُّ جَارَهُ أَنْ يَسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ. وَالْمُؤْمِنُ إِذَا سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ وَوَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا عَلَيْهِ إِلَّا الْإِذْعَانُ وَالتَّسْلِيمُ، قَالَ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} [الأحزاب: ٣٦]، فَإِذَا كَانَ حَقُّ الْجَارِ قَدْ عَظُمَ فِي

١٤٤) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٦٦٩).

١٤٥) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٦٧٣).

١٤٦) أخرجه مسلم في صحيحه، (٤٧).

١٤٧) أخرجه مسلم في صحيحه، (٤٥).

١٤٨) أخرجه النسائي في سننه، (٢٧٤ / ٨): بلفظ «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمَقَامِ، فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ عَنْكَ».

شَرَعْنَا، وَتَكَثَّرَتْ فِيهِ وَصَايَا النَّبِيِّ ﷺ، فَحَرِيٌّ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ طَرِيقَةً حَيَاتِيَّةً، يُحْسِنُ إِلَى جَارِهِ، وَيَكْفُ عَنْهُ أَذَاهُ، وَيَحْمِلُ لَهُ فِي قَلْبِهِ الْخَيْرَ وَالْدُّعَاءَ، لِيَكُونَ مِنَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي طَاعَتِهِمْ، وَامْتَثَلُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ. فَطُوبَى لِمَنْ أَكْرَمَ جَارَهُ طَاعَةً لِلَّهِ، وَنَالَ بِذَلِكَ رِضَا رَبِّهِ، وَأَسْهَمَ فِي صَلَاحِ بَيْتِهِ وَمُجْتَمَعِهِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُحْسِنِينَ إِلَى جِيرَانِنَا، الْقَائِمِينَ بِحُقُوقِهِمْ.

مَالَاتُ هَمِّ الدُّنْيَا وَهَمِّ الْآخِرَةِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ حَقَّ التَّقْوَى، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَ أَهْلَهَا بِالْبُشْرَى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا تَحْيَا بِهِ الْقُلُوبُ وَتَتَزَكَّى بِهِ النُّفُوسُ حَدِيثٌ مَنْ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى؛ حَيْثُ النُّورُ وَالْحَقُّ وَالْهُدَى؛ فَحَدِيثُهُ مَنَهِجُ حَيَاةٍ، وَطَرِيقُ نَجَاةٍ، لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، تَقِفُ وَإِيَّاكُمْ مَعَ قَبَسٍ مِنْ كَلَامِهِ ﷺ: قَلِيلٌ فِي مَبَانِيهِ، عَمِيقٌ فِي دَلَالَاتِهِ وَمَعَانِيهِ؛ حَيْثُ يُبَيِّنُ لَنَا حَقِيقَةَ الْهَمِّ وَعَاقِبَتَهُ صَاحِبِهِ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةُ، جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ قَفْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ)) (١٤٩).

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

جَعَلَ اللَّهُ لِصَاحِبِ الْهَمِّ الْآخِرِيِّ ثَلَاثَ مَنَحٍ يَتَفَقَّأُ ظِلَالَهَا:
الأولى: أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَهُ، وَجَمْعُ الشَّمْلِ هُوَ الْاجْتِمَاعُ بِكُلِّ مَا يَغْنِيهِ مِنْ عُمُومٍ، يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَى صَاحِبِ الْهَمِّ الْآخِرِيِّ قَلْبَهُ وَفِكَرَهُ وَمَقْصِدَهُ وَأَهْلَهُ وَوَلَدَهُ وَقَرِيبَهُ وَصَدِيقَهُ وَأَهْلَهُ وَتِجَارَتَهُ، وَيَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْهِ قُلُوبَ عِبَادِهِ، وَيَكْتُبُ لَهُ الْقَبُولَ.
والثَّعْمَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَهَذَا هُوَ الْغِنَى الْحَقِيقِيُّ، يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ)) (١٥٠)، غِنَى الْقَلْبِ يَا عِبَادَ اللَّهِ يَرْضَى بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: ((وَإِذَا رَضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ)) (١٥١)، غِنَى الْقَلْبِ عَزِيزٌ فِي دُنْيَا النَّاسِ، شَرِيفٌ بَيْنَهُمْ؛ لِأَنَّهُ قَدْ اسْتَعَفَّ بِغِنَاهُ عَمَّا فِي أَيْدِي الْآخَرِينَ.

١٤٩ () أخرجه أحمد في مسنده، (٢١٥٩٠) تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح.

١٥٠ () أخرجه أحمد في مسنده، (٢١٥٩٠) تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح.

١٥١ () أخرجه أحمد في مسنده، (٨٠٩٥) تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح.

وَنَالَتْ نِعْمَةً يَلْقَاهَا صَاحِبُ الْهَمِّ الْآخِرِيُّ: هِيَ مَجِيءُ الدُّنْيَا لَهُ وَهِيَ رَاغِمَةٌ، فَيَأْتِيهِ رِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَيَجْعَلُ لَهُ رَبُّهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يُسْرًا، فَيُوقِفُ فِي دُنْيَاهُ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا إِشْرَافِ نَفْسٍ، كَأَفَاةِ رَبُّهُ بِنَظِيرِ قَصْدِهِ؛ فَلَمَّا جَرَدَ هَمَّهُ لِلْآخِرَةِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هَمُّ الْآخِرَةِ مَبْدَأُ رَبِّي ﷺ أَصْحَابَهُ عَلَيْهِ؛ فَكَانَ يَغْرُسُ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ هَذَا الْهَمَّ، فَكَانَ إِذَا رَأَى شَيْئًا مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا يُسْمِعُ أَصْحَابَهُ: لَبَّيْكَ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا [الإسراء: ١٩].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُكُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَأَمَّا صَاحِبُ هَمِّ الدُّنْيَا فَيُعَاقَبُ بِثَلَاثِ عُقُوبَاتٍ: الْأُولَى: أَنْ يُشَتَّتَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَمْلُهُ، فَتَرَاهُ هَائِمَ الْفِكْرِ، مُضْطَرِبَ النَّفْسِ، كَثِيرَ الْقَلْقِ، يُضْبِحُ وَيُمْسِي مُشَقِيًا نَفْسَهُ.

وَالْعُقُوبَةُ الثَّانِيَّةُ: يَجْعَلُ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، لَا يَعِيشُ حَيَاةَ الْقَنَاعَةِ أَبَدًا، يَرَى خَطَرَ الْفَقْرِ مَائِلًا أَمَامَهُ، وَمُخَيِّمًا عَلَى خَاطِرِهِ، هَلَعٌ شَدِيدٌ مِنْ خَوْفِ ضَيَاعِ الْمَالِ، وَالْخَوْفِ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ.

وَأَمْرٌ ثَالِثٌ يَلَاقِيهِ صَاحِبُ هَذَا الْهَمِّ: أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ مِنْ دُنْيَاهُ إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ، فَهُوَ وَإِنْ تَعَتَّى وَكَدَحَ فَلَنْ يَسْتَعْجَلَ أَوْ يَزِيدَ فِي رِزْقِ اللَّهِ لَهُ، بِهِذَا نَفَدَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي رُوحِ النَّبِيِّ ﷺ: ((إِنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَغْمَلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ)). (١٥٢)

أَصْحَابُ هَذَا الْهَمِّ اسْتَعَادَ مِنْ خَالِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: ((اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا)). (١٥٣)

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ.

١٥٢ () أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، (٢١١٦٧).

١٥٣ () أخرجه الترمذي في سننه: (٣٥٠٢)، وحسنه الألباني.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا. رَحِمَكُمُ اللَّهُ. عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ
 جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ﴿٥٦﴾
 [الأحزاب: ٥٦]

التَّثَبُّتُ فِي الْأُمُورِ... صَيَانَةُ لِلْمَرْءِ مِنَ الزَّلَلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَعَدَ مَنْ أَطَاعَهُ وَاتَّقَاهُ، وَقَالَ قَوْلًا سَدِيدًا يَلْتَمِسُ فِيهِ رِضَاهُ، أَنْ يَغْفِرَ ذُنُوبَهُ وَيُصْلِحَ أَعْمَالَهُ وَيُحْسِنَ عَاقِبَتَهُ وَمَالَهُ، فَالْكَلِمَةُ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَرْفَعُ صَاحِبَهَا فِي الْجَنَّةِ دَرَجَاتٍ، وَالْكَلِمَةُ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَهْوِي بِهِ فِي النَّارِ دَرَكَاتٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾} [الأحزاب: ٧٠-٧١].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

أَمْرٌ بِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَسِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ أَصْحَابِ الْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ، وَبِهِ يُعْرِفُ دِينُ الْمَرْءِ وَعَقْلُهُ، وَرَزَانَتُهُ وَوَعْدُهُ، فِيهِ صَيَانَةُ لِلْمَرْءِ مِنَ الزَّلَلِ وَالنَّدَمِ، إِنَّهُ التَّثَبُّتُ فِي الْأُمُورِ، وَالتَّحَرِّيُّ مِنْ صِحَّةِ الْخَبَرِ قَبْلَ نَشْرِهِ.

وَتَرَدُّادُ أَهَمِّيَّةِ التَّثَبُّتِ يَا عِبَادَ اللَّهِ وَتَعْظُمُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ فِي زَمَنِ وَقُوعِ الْفِتَنِ وَاضْطِرَابِ الْأَحْوَالِ، فِي زَمَنِ تَنَوَّعَتْ فِيهِ وَسَائِلُ التَّوَاصُلِ وَالْإِتِّصَالَاتِ، فِي زَمَنِ صَارَ تَحْقِيقُ السَّبْقِ فِيهِ مَطْمَعًا لِبَعْضِ الْعُقُولِ، وَلِكُلِّ مَفْتُونٍ يَتَخَطَّفُ الْأَخْبَارَ وَيُسَارِعُ فِي إِسْرَالِهَا، لِيُفَاجِرَ بِأَنَّهُ حَارَ السَّبْقِ فِي نَشْرِهَا، وَكَلَّمَا كَثُرَ جَهْلُ الْمَرْءِ وَخَفَّ عَقْلُهُ، وَضَعُفَ إِيْمَانُهُ وَقَلَّ وَرَعُهُ، كَانَ أَشَدَّ وَأَجْرًا وَأَسْرَعَ فِي النَّشْرِ، يَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ: { وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ } [النور: ١٥].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كَانَ اللَّسَانُ فِيمَا مَضَى هُوَ مَلِكُ الْبَيَانِ، أَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ تَحَوَّلَ مِنَ اللَّسَانِ إِلَى الْأَصَابِعِ وَالْأَنَامِلِ، فَصَارَتْ أَصَابِعُ الْكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ تَتَحَدَّثُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْسِنَتِهِمْ بِمَا فُتِحَ عَلَيْهِمْ مِنْ وَسَائِلِ الْإِتِّصَالِ وَالتَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ، حَتَّى غَدَتْ أُنَامِلُ الْمَرْءِ صُورَةً لِفِكْرِهِ وَعَقْلِهِ، وَمَا لَمْ يَكُنِ الْمَرْءُ يَتَجَرَّأُ عَلَيْهِ بِشَفْتَيْهِ تَجَرَّأَ عَنْهُ بِأُنَامِلِهِ؛ لِسُهُولَةِ تِلْكَ الْوَسَائِلِ، مِمَّا أَفْرَزَ غِيَابًا لِهَيْبَةِ الْكَلِمَةِ وَعَدَمَ اسْتِشْعَارِ عَظَمِهَا وَخُطُورَتِهَا، وَمَا أَيْسَرَهَا عِنْدَ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ، وَمَا أَثْقَلَهَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَالْكَلِمَةُ مَسْئُولِيَّةٌ وَأَمَانَةٌ: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْرِئَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا ﴿١٣﴾ أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾} [الإسراء: ١٣-١٤]: { فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ } [البقرة: ٧٩].

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ اسْتِحْضَارَ الْمَرْءِ حَرَكَةَ أَقْلَامِ الْحَافِظِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ وَيَقِينَهُ بِاطِّلَاعِهِمْ عَلَى أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ كَفِيلٌ بِاسْتِحْيَائِهِ مِنَ اللَّهِ ثُمَّ مِنْهُمْ: {وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ} ١٠ {كَرَامًا كَاتِبِينَ} ١١ {يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} ١٢ {[الانفطار: ١٠-١٢]: هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: ٢٩].
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِيعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عِبَادَ اللَّهِ:

وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَا يَبْلُغُهُ، وَكَمْ مِنْ نَاصِحٍ يَنْشُرُ الْإِثْمَ بِجَهْلِهِ، فَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْبِدْعِ مَنْ يَنْشُرُ غَيْرَ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ فِي صُورَةٍ مَنْ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ، فَيُشِيعُونَ أَحَادِيثَ مَوْضُوعَةٍ وَقِصَصًا مَكْدُوبَةً وَأَعْمَالًا غَيْرَ مَشْرُوعَةٍ فَيَتَلَقَّفُهَا جُهَالٌ مِنَ النَّاسِ، وَيَتَسَرَّعُونَ فِي نَشْرِهَا مُحْتَسِبِينَ أَجْرَهَا فَيَبُوءُونَ بِإِثْمِهَا، وَكَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا وَإِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، وَبُئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ "قَالُوا وَرَعَمُوا": {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَأَنَّ مِمَّا يَتَسَاهَلُ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِرسَالُ مَقَاطِعَ تَحْتَوِي عَلَى مُخَالَفَاتٍ شَرْعِيَّةٍ فَيَبُوءُونَ بِإِثْمِهَا وَوَرِثَهَا وَوَرِثَ مَنْ عَصَى اللَّهَ بِسَبَبِهَا: {وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَقَالًا مَعَهُمْ أَثْقَالَهُمْ} وَلَيْسَ لَنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ { [العنكبوت: ١٣]، فَخَفَّفْ يَا عَبْدَ اللَّهِ ظَهْرَكَ فَإِنَّ الْعَقَبَةَ كَوُودٌ.

اهْتِمَامُ الْإِسْلَامِ بِطَهَارَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ وَالْأَبْدَانِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَتَمَّ عَلَيْنَا النِّعْمَةَ، وَأَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ، يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، نَحْمَدُهُ أَنْ هَدَانَا لِهَذَا الدِّينِ وَجَعَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، دِينَ يَدْعُو إِلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ وَيَنْهَى عَنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَتَقَوَى اللَّهُ خَيْرَ الرِّزَادِ دُخْرًا { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ سِرًّا } [سورة الطلاق: ٤].

عِبَادَ اللَّهِ:

خَصَلَهُ مِنْ خِصَالِ الدِّينِ كَرِيمَةٍ، عَظِيمَةُ الْقَدْرِ حَثَّتْ عَلَيْهَا الشَّرِيعَةُ، جَبَلَ اللَّهُ النَّفُوسَ عَلَى حُبِّهَا وَحُبِّ مَنْ انْتَصَفَ بِهَا؛ إِنَّهَا النَّظَافَةُ وَالطَّهَارَةُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ. فَدِينُ الْإِسْلَامِ دِينُ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ، أَمَرَ بِطَهَارَةِ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، وَالْمُسْلِمُ يَجْمَعُ بَيْنَ نِظَافَتَيْنِ وَطَهَارَتَيْنِ؛ فَمَعَ تَطْهِيرِ الْبَاطِنِ وَالْمُعْتَقِدِ أَمَرَ اللَّهُ بِتَطْهِيرِ وَنِظَافَةِ الظَّاهِرِ وَالْجَسَدِ: {وَتَيَابَكَ فَطَهَّرَ} ٤٤ {وَالرُّجْزَ فَاهْجَرِ} ٥٥ { [المائدة: ٤-٥]، وَفِي الْحَدِيثِ: ((وَالظُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ)) (١٥٤)، وَهُوَ سَبَبٌ لِمَحَبَةِ اللَّهِ: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } [البقرة: ٢٢٢].

وَلِلْبَاطِنِ زِينَةٌ كَمَا لِلظَّاهِرِ زِينَةٌ، وَمِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: ((اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ)) (١٥٥)، وَالْقَلْبُ شَدِيدُ الصِّفَاءِ سَرِيعُ التَّأَثُّرِ، أَدْنَى مَعْصِيَةٍ تَوَثَّرَ فِيهِ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ مِنْهَا)) (١٥٦)؛ أَيْ أُزِيلَ مَا عُلِقَ بِهَا وَنُقِفَتْ. وَكَمَا أَمَرَ الْإِسْلَامُ بِطَهَارَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ وَاهْتَمَّ بِنِظَافَةِ الْإِنْسَانِ؛ حَثَّ عَلَى نِظَافَةِ الْبَيْتَةِ وَالْمَكَانِ، فَجَعَلَ إِمَاطَةَ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ، وَرَتَّبَ عَلَيْهَا الْأَجْرَ الْعَظِيمَ وَالْمَغْفِرَةَ؛ قَالَ ﷺ: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ وَجَدَ غُصْنًا شَجَرَةً - أَوْ غُصْنًا شَوْكًا - فَأَخْرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ)) (١٥٧)، وَفِي رِوَايَةٍ: مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنٍ شَجَرَةٍ فِي ظَهْرِ الطَّرِيقِ فَقَالَ: ((وَاللَّهِ لَأُنَحِّينَ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى لَا

١٥٤) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٢٣).

١٥٥) أخرجه النسائي في سننه (١٣٠٥) وصححه الألباني.

١٥٦) أخرجه مسلم في صحيحه، (١٤٤).

١٥٧) أخرجه البخاري في صحيحه، (٢٣٤٠).

يُؤْذِيهِمْ، فَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ)) (١٥٨)، وَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى فَضِيلَةِ كُلِّ مَا فِيهِ نَفْعٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَأَزَالَةٌ الضَّرَرِ عَنْهُمْ وَمَحَبَّةُ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِلْمَغْفِرَةِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ؛ فَلَا يَسْتَصْغِرُ الْمُسْلِمُ هَذَا الْعَمَلَ فَلَعَلَّهُ سَبَبٌ - بِفَضْلِ اللَّهِ - لِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَالتَّقَلُّبِ فِي نَعِيمِهَا.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِنْ مَظَاهِيرِ الطُّهْرِ وَالْجَمَالِ وَالنِّظَافَةِ فِي تَوْجِيهَاتِ الْإِسْلَامِ الْحِرْصُ عَلَى الْوَقَايَةِ الْمُحْكَمَةِ فِي آدَابِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ؛ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَلَوَّثَ بِهَا مَاءٌ عَامٌّ، وَلَا أَنْ يَتَنَجَّسَ بِهَا طَرِيقٌ أَوْ مُسْتَظَلٌّ؛ قَالَ ﷺ: ((اتَّقُوا الْمَلَاعِينَ الثَّلَاثَ: الْبَرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ)) (١٥٩)، وَفِي الْحَدِيثِ: ((مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ)) (١٦٠)، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِعُصَبِ اللَّهِ وَذَمِّ النَّاسِ لِإِفْسَادِهِ الطَّرِيقَ وَجُزْأَانِهِ لَهُمْ مِنَ التَّمَتُّعِ فِي أَمَاكِنِ الرَّاحَةِ. وَيُقَاسُ عَلَى ذَلِكَ كُلُّ مَنْ يُلَوِّثُ الْأَمَاكِنَ الْعَامَّةَ بِالْفَضَلَاتِ أَوْ الْقَادُوزَاتِ أَوْ الثَّفَايَاتِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي الْأَذَى الْمُحَرَّمَ، وَمُتَافٍ لِكَمَالِ الْإِيمَانِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَضَعْفُ مَحَبَّةِ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ، وَهُوَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِيرِ الْأَنَانِيَّةِ وَضَعْفِ اسْتِشْعَارِ حَقِّ الْآخَرِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَفِي مَوَاسِمِ الرَّبِيعِ وَالْإِجَارَاتِ يَخْرُجُ النَّاسُ إِلَى الْبَرِّ وَأَمَاكِنِ الزُّهْمَةِ، يَلْتَمِسُونَ صَفَاءَ النَّفْسِ وَسَكِينَةَ الْمَكَانِ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِجَمَالِهِ وَهُدُوءِهِ، وَيَتَأَمَّلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ: {فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [الروم: ٥٠]، {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} [ق]، وَمِنْ شُكْرِ هَذِهِ النُّعْمَةِ أَنْ تُصَانَ مِنَ التَّلَوُّثِ، وَأَنْ يُحْفَظَ الْمَكَانُ عَنْ كُلِّ مَا يُفْسِدُ نِقَاءَهُ حِسًّا وَمَعْنَى.

وَمِنْ صُورِ الْأَذَى الْمَعْنَوِيِّ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَالَّذِي يُفْسِدُ الْقُلُوبَ وَيُؤْذِي عِبَادَ اللَّهِ: التَّلَوُّثُ الصَّوْتِيُّ بِرَفْعِ أَصْوَاتِ الْمَوْسِيقَى وَالْمَزَامِيرِ وَالطُّبُولِ وَنَحْوِهَا، وَالصَّخَبُ الَّذِي يَذْهَبُ السَّكِينَةَ وَيُؤْذِي الْمُتَرَبِّهِينَ وَيَقْطَعُ عَلَيْهِمْ رَاحَتَهُمْ وَطُمَأْنِينَتَهُمْ وَأَنْسَهُمْ،

١٥٨) أخرجه مسلم في صحيحه، (١٩١٤).

١٥٩) أخرجه أبو داود في سننه، (٢٦)، وحسنه الألباني.

١٦٠) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، (٣٠٥٠).

فَلَيْسَ هَذَا مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَلَا مِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ، وَمَا خَرَجَ النَّاسُ إِلَى الْبَرِّ إِلَّا لِيَسْتَمْتِعُوا بِجَمَالِهِ وَهُدُوئِهِ، فَلَا تَكُونُوا سَبَبًا فِي أَذِيَّةٍ غَيْرُكُمْ، وَاحْفَظُوا لِلدِّينِ حُرْمَتَهُ، وَلِلْمَكَانِ سَكِينَتَهُ، وَلِلْبَيْئَاتِ نِظَافَتَهَا، وَلِلنَّاسِ حُقُوقَهُمْ؛ لِيَتَبَقَى أَيَّامُ الرَّبِّيعِ مَوَاسِمَ خَيْرٍ وَذِكْرِ وَشُكْرِ وَبِرٍّ وَتَقْوَى، لَا مَوَاسِمَ أَشْرٍ وَبَطَرٍ وَكُفْرٍ بِالنِّعْمَةِ وَأَدَى.

الظلم ظلماتٌ وعاقبته الهلاكُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَنَهَى عَنِ الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَجَعَلَ عَاقِبَةَ أَهْلِهِ الْهَلَاكَ وَالْخُسْرَانَ، وَالذَّلَّ وَالْخِزْيَ وَالْهَوَانَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٨١].

عِبَادَ اللَّهِ:

هُوَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، عَاقِبَتُهُ وَخِيمَةٌ، وَنَهَايَةُ أَهْلِهِ أَلِيمَةٌ، مَا ظَهَرَ فِي أُمَّةٍ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ بِهَلَاكِهَا وَلَا فِي دَوْلَةٍ إِلَّا كَانَ سَبَبًا فِي زَوَالِهَا، مُوجِبٌ لِلنَّقَمِ، وَمُزِيلٌ لِلنَّعَمِ، وَمِنْ أَسْبَابِ هَلَاكِ الْأُمَمِ، حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ وَجَعَلَهُ بَيْنَ عِبَادِهِ مُحَرَّمًا فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا» (١٦١)، وَلِشَنَاعَتِهِ نَزَّهَ اللَّهُ نَفْسَهُ عَنْهُ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا} [يونس: ٤٤].

وَالظُّلْمُ يَا عِبَادَ اللَّهِ نَوْعَانِ: ظُلْمُ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ، وَأَعْظَمُ صُورِهِ الشَّرْكُ بِاللَّهِ: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣].

وَمِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ: الْإِعْرَاضُ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ التَّذَكُّيرِ بِهَا؛ قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا} [سورة الكهف: ٥٧]. وَمِنْ صُورِ الظُّلْمِ كَذَلِكَ الْوُقُوعُ فِي الْمَعَاصِي مِنْ كَبَائِرِ وَصَغَائِرِ، قَالَ تَعَالَى: {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ} [الطلاق: ١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: ١١]. وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ غَيْرَ التَّائِبِ وَالْمُصِرِّ عَلَى الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ يُعَدُّ ظَالِمًا.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِنْ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ: ظَلَمَ الْعَبْدُ لِعَیْرِهِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ تَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مَنْ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ». (١٦٢)

وَمِنْ أَشَدِّ الظُّلْمِ أَكْلُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: ١٠]. وَظُلْمُ الْأَجْرَاءِ بِخُسْهِمِ حُقُوقِهِمْ، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ... وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ» (١٦٣)، وَالْمَمَاطَلَةُ فِي سَدَادِ الدِّينِ لِمَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى سَدَادِهِ: «وَمَظْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ» (١٦٤). وَالْحَلِفُ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ لِيَقْتَطَعَ بِهَا مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا؛ قَالَ ﷺ: «مَنْ افْتَتَحَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَأَوْجَبَ لَهُ النَّارَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: وَإِنْ شَيْءٌ يَسِيرٌ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضَيْتَ مِنْ أَرَاكِ، وَإِنْ قَضَيْتَ مِنْ أَرَاكِ» (١٦٥).

وَمِنْهُ ظَلَمُ الشُّرَكَاءِ وَالْأَقَارِبِ؛ بِأَكْلِ الْحُقُوقِ أَوْ التَّعَدِّي فِي الْقِسْمَةِ أَوْ الْمِيرَاثِ، وَكُلُّ أَدَى لِلْمُسْلِمِينَ بغيرِ حَقٍّ فَهُوَ ظُلْمٌ. وَمِنْ صُورِهِ أَنْ يَسْتَغْلَّ بَعْضُ النَّاسِ نَفُودَهُمْ فَيَمْنَعُوا الْمُسْتَحَقِّينَ حُقُوقَهُمْ وَيُقَدِّمُوا غَيْرَهُمْ عَلَيْهِمْ. وَمِنْ صُورِ الظُّلْمِ فِي الْبُيُوتِ ظُلْمُ بَعْضِ الْأَرْوَاجِ لِرُؤُوسِهِمْ بِالْقَسْوَةِ فِي الْقَوْلِ، أَوْ امْتِنَاحِ الْكِرَامَةِ بِكَلِمَةٍ جَارِحَةٍ أَوْ تَصْرِفٍ مُهِينٍ، وَمَنْعُ الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ مِنْ نَفَقَةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ مُعَاشَرَةٍ بِالْمَعْرُوفِ.

وَالظُّلْمُ يَا عِبَادَ اللَّهِ سَبَبُ خَرَابِ الدِّيَارِ وَهَلَاكِهَا: {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا} [النمل: ٥٢]، وَإِنَّمَا يَنْشَأُ الظُّلْمُ عَنْ ظُلْمَةِ الْقَلْبِ، وَمَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

١٦٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٩٤/٥): (٦١٦٩).

١٦٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٧٦/٢): (٢١١٤).

١٦٤) أخرجه البخاري في صحيحه، (٧٩٩/٢): (٢١٦٦).

١٦٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١٢٢/١): (١٣٧).

جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَلِلظُّلْمِ عَوَاقِبُ وَخِيَمَةٌ وَنَهَايَاتُ أَهْلِهِ أَلِيْمَةٌ، { وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا } [طه: ١١١]. وَالظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» ^(١٦٦)، لِيَتَذَكَّرَ الظَّالِمُ وَقُوفَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ: { أَلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ أَلْيَوْمَ } إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ { غافر: ١٧ }.

فاجتهدوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي رَدِّ الْحُقُوقِ وَالْمَظَالِمِ إِلَى أَهْلِهَا أَوْ تَحَلَّلُوا مِنْ أَصْحَابِهَا؛ قَالَ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ». ^(١٦٧)

أجارنا الله وإياكم من الظلم.

١٦٦ () أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٤٤/٢): (١٤٢٥).

١٦٧ () أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٩٧/٤): (٢٥٨١).

الْحَسَدُ... ذَاؤُ الْقُلُوبِ، أَسْبَابُهُ وَعِلَاجُهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَسَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ مَعِيشَتَهُمْ بِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ بِقَضَائِهِ وَقُدْرَتِهِ، حَذَّرَهُمْ مِنْ فَسَادِ الصَّمَائِرِ، وَذَكَّرَهُمْ بِيَوْمِ تُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

{يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢].

عِبَادَ اللَّهِ:

مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَكَبِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، ذَاؤُ قَلْبِي يَفْتِكُ بِقَلْبِ صَاحِبِهِ فَتَنًا وَيُؤْزِرُهُ إِلَى الْغِلِّ أَرَا، يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ وَيُورِثُ الْحَسَرَاتِ، مُفْسِدٌ لِلْمَحَبَّةِ قَاطِعٌ لِحِبَالِ الْمَوَدَّةِ، إِنَّهُ الْحَسَدُ؛ عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ شَرِّهِ. جَاءَ فِي النَّهْيِ عَنْهُ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ نُصُوصٌ مُتَكَثِرَةٌ وَأَحَادِيثٌ مُتَظَافِرَةٌ، قَالَ تَعَالَى: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ} [النساء: ٣٢]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [النساء: ٥٤]. فَتُهَوَّنُ عَنِ التَّحَاسُدِ وَعَنْ تَمَنِّي مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ التَّفْضِيلَ قِسْمَةٌ مِنَ اللَّهِ صَادِرَةٌ عَنْ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ بِأَحْوَالِ الْعِبَادِ. وَالْحَسَدُ اغْتِرَاضٌ عَلَى إِرَادَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَرْضَى بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ وَيَسْأَلَ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الزخرف: ٣٢]، وَجَاءَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ، قَالَ ﷺ: ((لَا تَبَاغُضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)) (١٦٨)، ((إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ)) (١٦٩).

عِبَادَ اللَّهِ:

صَلَاحُ الْجَوَارِحِ بِصَلَاحِ الْقَلْبِ، وَإِصْلَاحُ الْقَلْبِ أَفْضَلُ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ، وَلَا يَنَالُ الْمُسْلِمُ الْكَمَالَ إِلَّا بِزَوَالِ مَا بِقَلْبِهِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْأَضْغَانِ. الْحَاسِدُ -وَقَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ شَرَّهُ- كَالشَّهَابِ لَا يُبَالِي مَنْ أَصَابَ، الْحِفْدُ مَدْفُونٌ فِي صَدْرِهِ، وَالْغِلُّ يَمْلَأُ قَلْبَهُ، الْحَاسِدُ مُبْغِضٌ لِنَعِمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، يَتَأَلَّمُ مِنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ تَظْهَرُ أَوْ مَنْقَبَةٍ تُشْكِرُ، لِسَانُهُ يُخْرِجُ سَوَادَ قَلْبِهِ.

١٦٨ () أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٧١٨).

١٦٩ () أخرجه أبو داود في صحيحه، (٤٩٠٣).

وَالْحَسَدُ دَاءٌ فِي الْقُلُوبِ إِذَا لَمْ يَتَذَارَكْ بِالْدُّعَاءِ وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ أَظْلَمَ بِهَا الْقَلْبُ، وَمَا دَخَلَ الْحَسَدُ قَلْبًا إِلَّا أَفْسَدَهُ وَأَهْلَكَ حَاضِرَهُ وَمُسْتَقْبَلَهُ، الْحَاسِدُ لَا يَرْضَى بِقَضَاءٍ وَلَا يَفْنَعُ بِعَطَاءٍ، يَغْتَرِضُ عَلَى اللَّهِ فِي مَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَيَغْتَاظُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَقِسْمَتِهِ. وَعِلَاجُ الْحَسَدِ يَا عِبَادَ اللَّهِ يَكُونُ بِقَطْعِ أَسْبَابِهِ بَأَن يَغْلَمَ الْحَاسِدُ أَنَّ الْحَسَدَ ضَرَّرَ عَلَيْهِ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَأَن يَرْضَى الْعَبْدُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، فَمَنْ رَضِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يُسْخِطْهُ أَحَدٌ، وَمَنْ قَبِعَ بِعَطَائِهِ لَمْ يَدْخُلْهُ حَسَدٌ. وَالْدُّعَاءُ بِصِدْقٍ بَأَن يُطَهَّرَ اللَّهُ الْقَلْبَ مِنَ الْحَسَدِ، وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ دُعَاءِ الصَّالِحِينَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: { وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا } [الحشر: ١٠]، وَمِنْ دُعَائِهِ ﷺ: ((وَأَسْأَلُ سَخِيمَةَ صَدْرِي)). (١٧٠)

وَأَن يُكْثِرَ الْمَرْءُ دَائِمًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ يَرَاهُ وَيُعْجِبُهُ، وَأَن يَدْعُو لِصَاحِبِهِ بِالْبَرَكَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ: ((إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ)). (١٧١) وَأَن يَسْتَشْعِرَ كُلَّ حَاسِدٍ أَنَّ حَسَدَهُ لِلْآخِرِينَ إِنَّمَا هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَعَلَى فَضْلِهِ وَرِزْقِهِ الَّذِي أَعْطَاهُ عِبَادَهُ، وَأَن يَغْلَمَ أَنَّ الْحَسَدَ يُحْرِقُ الْحَسَنَاتِ وَيَجْلِبُ لِصَاحِبِهِ الْخَسَرَاتِ؛ فَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنَ الْحَسَدِ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَدْخِرُهُ الْمَرْءُ عِنْدَ رَبِّهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ سَلَامَةً صَدْرِهِ. اللَّهُمَّ اسْأَلْ سَخَائِمَ صُدُورِنَا، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمِمَّا يَنْتَقِي بِهِ شَرُّ الْحَاسِدِ التَّعَوُّدُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ، وَتَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَالْإِخْلَاصُ لَهُ، وَتَقْوَى اللَّهِ وَحِفْظُهُ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَصِدْقُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ؛ فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَلَمْ يَكُلْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ كَافِيَهُ فَلَا مَطْمَعَ فِيهِ لِعَدُوِّهِ وَلَا يَضُرُّهُ، وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا { [آل عمران]، وَتَحَرَّى التَّوْبَةَ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي سُلِّطَتْ عَلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ، وَالصَّدَقَةَ وَالْإِحْسَانَ؛ فَإِنَّ لَهَا تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي دَفْعِ الْبَلَاءِ وَشَرِّ الْحَاسِدِ، فَلَا يَكَادُ الْأَدَى وَالْحَسَدُ يَتَسَلَّطُ عَلَى صَاحِبِ الصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ كَانَ مُعَامَلًا فِيهِ بِاللُّطْفِ وَالْمُعُونَةِ وَالتَّائِيدِ.

١٧٠) أخرجه الترمذي في سننه، (٣٥٥١)، وصححه الألباني.

١٧١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٥٠٩)، وصححه الألباني.

تَحْذِيرُ التُّبْلَاءِ مِنْ خُطُورَةِ الشَّحْنَاءِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ مَنْ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، فَكَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ، وَطَهَّرَ صُدُورَهُمْ مِنَ الشَّحْنَاءِ وَالْأَضْغَانِ، سَلَّ مِنْ قُلُوبِهِمُ السَّخِيمَةَ، وَسَلَّمْ صُدُورَهُمُ الصَّغِيمَةَ: {وَمَا يُقْلَسْهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقْلَسْهَا إِلَّا دُو حَظِّ عَظِيمٍ} [فصلت: ٣٥]: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الجمعة: ٤]، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا أَنْتَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، فَهِيَ: عُثْوَانُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمْ النَّبَشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ [يونس: ٦٢-٦٣].

عِبَادَ اللَّهِ:

آفَةٌ تَمْرُضُ بِسَبَبِهَا الْقُلُوبُ، وَتُفْسِدُ بِهَا النُّفُوسُ، تَقْطَعُ حَبْلَ الْمَوَدَّةِ وَالْوَصَالِ، وَتُوْخِرُ بِسَبَبِهَا رَفْعَ الْأَعْمَالِ، يُؤْزِرُ بِهَا الشَّيْطَانُ جُنُودَهُ أَرَا، وَيَمْلَأُ بِهَا الْقُلُوبَ غَيْظًا، آفَةٌ يَشْقَى بِهَا أَصْحَابُهَا؛ فَيَتَكَدَّرُ بِسَبَبِهَا غَيْشُهُمْ، وَتَضْيِقُ بِهَا صُدُورُهُمْ، وَتَقْسُو بِهَا قُلُوبُهُمْ، وَيُوْذِي الْمَرْءَ بِهَا نَفْسَهُ قَبْلَ غَيْرِهِ، إِنَّهَا يَا عِبَادَ اللَّهِ الشَّحْنَاءُ الَّتِي تَمْلَأُ الصَّدْرَ بِالْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، فَمَا أَفْسَدَ الْعَلَائِقَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ مِثْلُ الشَّحْنَاءِ وَالصَّغَانِ، حَدَّرَ مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَخْلُقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ» (١٧٢)، فَتَذْهَبُ بِدِينِ الْمَرْءِ وَخُلُقِهِ وَحَسَنَاتِهِ، وَتُفْسِدُ عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ فَيَذْهَبُ نُورُهَا وَيُسْلِبُهَا صَفَوَتَهَا، فَكَيْفَ لِقَلْبٍ أَنْ يَتَذَوَّقَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَقَلْبُهُ مُكَدَّرٌ بِالْأَضْغَانِ؟

عِبَادَ اللَّهِ:

نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الشَّحْنَاءِ وَالْبَغْضَاءِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمْ: «لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَجُلُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ» (١٧٣)، مَا أَعْظَمَ نَفْعَ هَذَا الْحَدِيثِ وَكَأَكْثَرَ فَوَائِدِهِ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَعَقَلَهُ.

(١٧٢) أخرجه الترمذي في سننه، (٢٥٠٩)، وصححه الألباني.

(١٧٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٧١٨).

عِبَادَ اللَّهِ:

حَذَّرَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَعَائِنِ الصُّدُورِ، الَّتِي تَكُونُ سَبَبًا لِلْقَطِيعَةِ وَالْهَجْرِ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْمُتَشَاحِنِينَ لَا تُرْفَعُ لَهُمْ أَعْمَالٌ حَتَّى يَصْطَلِحَا، قَالَ ﷺ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيُغْفَرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَيْنِ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا» (١٧٤)، وَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ تَكُونَ قُلُوبُهُمْ مُجْتَمِعَةً غَيْرَ مُتَفَرِّقَةٍ، مُتَحَابَّةً غَيْرَ مُتَبَاغِضَةٍ: {رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: ١٠]، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ:

وَإِذَا وَصَلَتِ الشَّخْنَاءُ إِلَى حَدِّ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ فَقَدْ ارْتَكَبَ الْمَرْءُ بِهَذِهِ الْقَطِيعَةِ كَبِيرَةً مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ تَسْتَوْجِبُ لَعْنَةَ اللَّهِ، أَفْرُقُوا إِنْ شِئْتُمْ: {٢١} ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ٢٢ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣] {وَالَّذِينَ يَبِغُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [الرعد: ٢٥].

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» (١٧٥)، وَ«أَنَّ الرَّحِمَ تَتَعَلَّقُ بِعَرْشِ الرَّحْمَنِ فَتَقُولُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَلَا تَرْضَيْنِ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَكِ» (١٧٦).

فَلْيَحْذَرِ الْمَرْءُ أَنْ يُوْرِثَ الشَّخْنَاءَ وَالْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ لِأَوْلَادِهِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِذَا حَصَلَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَرْحَامِهِ قَطِيعَةٌ أَثَّرَ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ أَقْوَامَ ارْتَكَبُوا مَا يَسْتَوْجِبُ لَعْنَةَ اللَّهِ، وَلْيَتُوبُوا إِلَيْهِ، وَلْيَسْتَغْفِرُوهُ.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا. رَحِمَكُمُ اللَّهُ. عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا.

١٧٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤٩١٦)، وصححه الألباني.

١٧٥) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٦٣٨).

١٧٦) أخرجه البخاري في صحيحه، (٤٥٥٢).

الْغَيْبَةُ... سُمْ الْمَجَالِسِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاسِعِ الْمَجِيدِ، يَهْدِي إِلَى الطَّبِيبِ مِنَ الْقَوْلِ، وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ، أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٨]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يَكْتُبِ اللَّهُ لَكُمْ بِهِ رِضَاهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

صِفَةُ دَمِيمَةٍ، وَعَادَةٌ مَقِيئَةٍ، سَبَبٌ لِلْكَرَاهِيَةِ وَالضَّغِينَةِ، مَرْغَى لِلنَّامِ، وَكَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الْأَثَامِ، ذَاءٌ غَضَالٌ يُوغِرُ الصُّدُورَ، وَيَمَزِّقُ أَوَاصِرَ الْمَوَدَّةِ، وَيُورِثُ الْبَغْضَاءَ، وَيُفْسِدُ الْمَحَبَّةَ، مِنْ أَشَدِّ آفَاتِ اللِّسَانِ صَرَرًا، وَأَعْظَمِهَا إِثْمًا، مُضْبِعَةٌ لِلْأُجُورِ وَالْحَسَنَاتِ، هِيَ اتِّقَالُ حَسَنَاتِكَ مِنْ صَحِيفَتِكَ إِلَى صَحِيفَةِ غَيْرِكَ: إِنَّهَا الْغَيْبَةُ، الَّتِي حَذَّرَ اللَّهُ مِنْهَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: { وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ } [سورة الحجرات: ١٢]؛ فَهَذَا نَهْيٌ قَزَائِي عَنِ الْغَيْبَةِ مَعَ إِزَادِ مَثَلٍ لِدَلِيلِكَ يَزِيدُهُ شِدَّةً وَتَغْلِيظًا، وَالْمَعْنَى: فَاكْرَهُوا غَيْبَتَهُ حَيًّا كَمَا كَرِهْتُمْ لَحْمَهُ مَيْتًا؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ غَيْبَتَهُ حَيًّا كَمَا حَرَّمَ أَكْلَ لَحْمِهِ مَيْتًا. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ» (١٧٧).

شَرُّ الْوَرَى مَنْ بَغَيْبِ النَّاسِ مُشْتَغَلًا مِثْلَ الدُّبَابِ يُرَاعِي مَوْضِعَ الْعِلَلِ

عِبَادَ اللَّهِ:

وَقَطْرَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الْغَيْبَةِ كَفِيلَةٌ بِأَنْ تُعَكَّرَ وَتُكَدَّرَ مَاءَ الْبَحْرِ كُلِّهِ. قَالَتْ عَائِشَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةٍ كَذَا وَكَذَا» تَغْنِي قَصِيرَةً، قَالَ: «لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مَزَجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَرَجَتْهُ» (١٧٨)؛ أَيُّ: خَالَطَتْهُ مُخَالَطَةً يَتَغَيَّرُ بِهَا طَعْمُهُ وَرِيحُهُ؛ لِشِدَّةِ مَثْنِهَا وَقُبْحِهَا.

يُشَارِكُكَ الْمُغْتَابُ فِي حَسَنَاتِهِ وَيُعْطِيكَ أَجْرِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ

١٧٧ () أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٥٨٩).

١٧٨ () أخرجه أبو داود في سننه، (٤٨٧٥) وصححه الألباني.

قَالَ الْحَسَنُ: "وَاللَّهُ لِلْغَيْبَةِ أَسْرَعُ فِي دِينِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْأَكْلَةِ فِي جَسَدِهِ" (١٧٩).
وَيَدْخُلُ فِي غُمُومِ قَوْلِ الْغَيْبَةِ: مَا يَكُونُ كَذَلِكَ مِنْ ذِكْرِ لِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ بِمَا يَكْرَهُ فِي
وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ، سَوَاءً أَنْشَأْتَ الْمَقُولَةَ أَوْ نَقَلْتَهَا، فَكُلُّ ذَلِكَ فِي الْإِثْمِ سَوَاءً.
وَالْغَيْبَةُ عِبَادَ اللَّهِ يَتَضَاعَفُ حَظُّهَا إِذَا تَضَاعَفَ أَثَرُهَا، وَبِحَسَبِ حَالِ مَنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ
الْغَيْبَةُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كَمْ أَفْسَدَتِ الْغَيْبَةُ مِنْ أَعْمَالِ الصَّالِحِينَ، وَكَمْ أَحْبَطَتْ مِنْ أَجُورِ الْعَامِلِينَ، وَكَمْ
جَلَبَتْ مِنْ سَخَطِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَفِي الْحَدِيثِ: ((وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى
وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)) (١٨٠)، وَحِفْظُ اللِّسَانِ مِنْ عَلَامَاتِ الْإِيمَانِ، وَمَا اتَّقَى اللَّهُ
أَحَدٌ حَقَّ تَقَاتِهِ حَتَّى يَخْزَنَ مِنْ لِسَانِهِ.
اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلطَّبِيبِ مِنَ الْقَوْلِ، وَاهْدِنَا إِلَيْكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا،
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَسَامِعُ الْغَيْبَةِ شَرِيكَ الْمُغْتَابِ، فَالْمُسْتَمِعُ لِلْغَيْبَةِ شَرِيكَ فِيهَا، وَلَا
يَتَخَلَّصُ مِنْ إِثْمِ سَمَاعِهَا إِلَّا أَنْ يُنْكِرَ بِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَبِقَلْبِهِ، وَإِنْ قَدَرَ عَلَى الْقِيَامِ
أَوْ قَطَعَ الْكَلَامَ بِكَلَامٍ آخَرَ لَزِمَهُ ذَلِكَ. وَمَنْ رَدَّ عَنْ عِزِّ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمَرْءِ إِذَا سَمِعَ مَنْ يَغْتَابُ أَحَدًا أَنْ يَكْفَ غَيْبَتَهُ، وَأَنْ يَسْعَى فِي إِسْكَاتِهِ،
وَأَنْ يَدْفَعَ عَنْ عِزِّ أَخِيهِ، فَيَقُولَ: مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَنْ يَذْكَرَ مَحَاسِنَهُ.
وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ
لِسَانُهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ.

١٧٩ () ذم الغيبة والنميمة، لابن أبي الدنيا، (ص ٢١).

١٨٠ () أخرجه الترمذي في سننه، (٢٦١٦)، وصححه الألباني.

النَّظَرُ الْمَحْرَمُ... مِفْتَاحُ الشَّهَوَاتِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ { يَعْلَمُ مَا يَلُجُّ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَلِيمُ } [سبأ: ٢]، { يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ } [غافر: ١٩]، { لَهُ مُلْكُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ } [الحديد: ٥]، { جَعَلَ لِعِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ نُورًا يَمْشُونَ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ } [النور: ٤٠]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [الحديد: ٢٨].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

سَبَبُ الْأَفَاتِ، وَمِفْتَاحُ الشَّهَوَاتِ، يُورِثُ فِي الْقَلْبِ الْحَسَرَاتِ، يُشَدِّتُ الْقَلْبَ وَيُفْسِدُهُ، وَيُضَعِّفُهُ وَيُخْزِنُهُ، وَيُكْسِبُهُ ظُلْمَةً وَيُورِثُهُ قَسْوَةً، يَذْهَبُ بِنُورِ الْبَصِيرَةِ، وَيَكُونُ سَبَبًا لِفَسَادِ السَّرِيرَةِ، سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ يَفْتِكُ بِقَلْبِ صَاحِبِهِ، إِنَّهُ النَّظَرُ الْحَرَامُ.

عِبَادَ اللَّهِ:

الْعُيُونُ مَصَائِدُ الشَّيْطَانِ، وَبَابُ الْفِتَنِ، وَالْعَيْنَانِ هُمَا رَبِيبَةُ الْقَلْبِ، وَلَيْسَ مِنَ الْأَعْضَاءِ أَشَدَّ اِزْتِبَاطًا بِالْقَلْبِ مِنَ الْعَيْنَيْنِ، وَلِهَذَا جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَنُقِلَبُ أَقْدَهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ } [الأنعام: ١١٠]، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ } [النور: ٣٧]؛ وَلَئِنْ كِلَيْهِمَا لَهُ النَّظَرُ: فَتَنْظُرُ الْقَلْبُ الظَّاهِرَ بِالْعَيْنَيْنِ، وَالْبَاطِنَ بِهِ وَحْدَهُ، وَكَثُرَ فَسَادُ الْقَلْبِ مِنْ تَخْلِيطِ الْعَيْنِ، وَإِذَا أَدْمَنَ الْمَرْءُ إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ تَشَرَّبَ الْقَلْبُ مَحَبَّتَهَا فَأَنْطَفَأَتْ فِيهِ أَنْوَارُ الْإِسْتِقَامَةِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ أَدْرَانَ الْقُلُوبِ وَفِتْنَهَا تَتَرَاكُمُ بِإِذْمَانِ النَّظَرِ إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ، فَرُبَّ نَظْرَةٍ أَغْقَبَتْ حَسَرَاتٍ، وَمَنْ تَتَابَعَتْ نَظْرَانُهُ دَامَتْ حَسَرَاتُهُ، وَضَاعَتْ عَلَيْهِ أَوْقَاتُهُ، وَمَنْ أَطْلَقَ نَظْرَهُ كَثُرَ أَسْفُهُ، وَأُطْلِقَ الْبَصَرُ يُوجِبُ اسْتِحْكَامَ الْعَقْلَةِ عَنِ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ، وَالنَّظْرَةُ تَفْعَلُ فِي الْقَلْبِ مَا يَفْعَلُهُ السَّهْمُ فِي الرِّمِيَةِ فَإِنْ لَمْ تَقْتُلْهُ جَرَحَتْهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

نَعِيشُ فِي زَمَنٍ كَثُرَتْ فِيهِ فِتْنُ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَلَا سِيَّما مَعَ انْفِتَاحِ وَسَائِلِ
الإِعْلَامِ وَالاتِّصَالَاتِ، وَتَفَنُّنِهَا فِي إِثَارَةِ الْغَرَائِزِ وَتَأْجِيجِ الشَّهَوَاتِ، وَتَسَاهُلِ كَثِيرٍ مِنَ
النَّاسِ بِالنَّظَرِ الْحَرَامِ مَعَ انْتِشَارِ تِلْكَ الصُّوَرِ الثَّابِتَةِ وَالْمُتَحَرِّكَِةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ حَتَّى
اِفْتَحَمَتْ تِلْكَ الصُّوَرُ يُبَوِّتُهُمْ، وَوَلَجَتْ جُيُوبُهُمْ، تَرَافِقُهُمْ أَيَّامًا حَلُومًا فَأَضْعَفَتْ لَدَى كَثِيرٍ
مِنَ النَّاسِ انْكَارَهَا، وَأَمَاتَ الْإِحْسَاسَ بِحُرْمَتِهَا فَأَلْفَتَهَا كَثِيرٌ مِنَ النُّفُوسِ، وَشَخَّصَتْ إِلَيْهَا
أَكْثَرَ الْعُيُونِ فَأَفْسَدَتْ الْقُلُوبَ وَسَعَرَتِ الشَّهَوَاتِ وَقَادَتْ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كَلَّمَا عَظُمَ الْبَلَاءُ وَاشْتَدَّتِ الْفِتْنَةُ فَقَابَلَهَا الْمُؤْمِنُ بِالثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ نَالَ عَظِيمَ الثَّوَابِ
وَالْأَجْرِ، وَكَلَّمَا كَانَ التَّحَرُّرُ مِنَ الْمُحَرَّمِ أَكْثَرَ صُعُوبَةً كَانَ الْأَجْرُ عَلَيْهِ أَكْبَرَ: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ
يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ} [النور: ٣٠].
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي
وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

الْبَصَرُ هُوَ الْبَابُ الْأَكْبَرُ إِلَى الْقَلْبِ، وَأَعْمَرُ طُرُقِ الْخَوَاسِّ إِلَيْهِ، وَبَحَسَبِ ذَلِكَ كَثُرَ
السُّقُوطُ مِنْ جِهَتِهِ وَوَجَبَ التَّحْذِيرُ مِنْهُ، وَعَظُّهُ وَاجِبٌ عَنْ جَمِيعِ الْمُحَرَّمَاتِ وَكُلِّ مَا
يُخْشَى الْفِتْنَةُ مِنْ أَجْلِهِ، وَبَدِئَ بَعْضُ الْبَصَرِ قَبْلَ الْفَرْجِ؛ لِأَنَّ الْبَصَرَ رَأْدُ الْقَلْبِ، وَلِأَنَّ
غَضَّ الْبَصَرِ أَصْلُ لِحْفَظِ الْفَرْجِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْعَيْنَ مِرَاةً لِلْقَلْبِ فَإِذَا غَضَّ الْعَبْدُ بَصَرَهُ
غَضَّ الْقَلْبُ شَهْوَتَهُ وَازْدَادَتْهُ، وَإِذَا أَطْلَقَ بَصَرَهُ أَطْلَقَ الْقَلْبُ شَهْوَتَهُ، كَمْ أَصَابَ سَهْمُ
النَّظَرَةِ الْمُحَرَّمَةِ مِنْ قَلْبٍ فَأَذْمَاهُ، وَأَعَقَبَهُ حَسْرَةً فَأَرْدَاهُ.

اللَّهُمَّ احْفَظْ أَبْصَارَنَا عَنِ الْحَرَامِ، وَظَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَارْزُقْنَا غَضَّ الْبَصَرِ
وَنُورَ الْبَصِيرَةِ.

الْغَفْلَةُ...طَرِيقُ الْهَلَاكِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَيْقَظَ قُلُوبَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ بِرَحْمَتِهِ، فَكَتَبَهُمْ مِنَ الدَّاكِرِينَ، وَخَدَلَ مَنْ شَاءَ بِعَدْلِهِ، مَنْ أَعْرَضَ وَتَوَلَّى عَنْ ذِكْرِهِ، فَجَعَلَهُمْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَأَمَرَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ أَهْلِ الْغَفْلَةِ الَّذِينَ يَظُنُّونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال: ٢٩].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هِيَ أَعْظَمُ أَدْوَاءِ الْقُلُوبِ خَطَرًا، وَأَشَدُّهَا فَتَنًا وَضَرَرًا؛ تُصِيبُ الْقَلْبَ فَتُفْسِدُهُ، وَتَحْجُبُهُ عَنْ رَبِّهِ وَتُبْعِدُهُ، هِيَ سَبَبٌ فِي تَسَلُّطِ الشَّيْطَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَعَاقِبَتُهَا النَّدْمُ وَلَكِنْ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ؛ إِنَّهَا دَاءُ الْغَفْلَةِ الَّتِي حَذَرَنَا اللَّهُ مِنْهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ، وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهَا تُصَدُّ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ {أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} ١ ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ٢ ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١-٣].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

الْغَافِلُ لَا هِ عَمَّا خُلِقَ لِإِجْلِهِ، سَاهٍ سَادِعٌ فِي دُنْيَاهُ، غَرَّهُ طُولُ أَمَلِهِ، مُتَّبِعٌ لِهَوَاهُ، مُفَرِّطٌ فِي أَمْرِ دِينِهِ وَمَوْلَاهُ، لَا يَفْكُرُ بِلِقَاءِ اللَّهِ، مُفَرِّطٌ فِي شَهَوَاتِهِ، مُسْتَعْرِقٌ فِي مَلَذَاتِهِ، مُشْغِلٌ قَلْبَهُ بِزِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرُخْرُفِهَا؛ نَاسِيًا آخِرَتَهُ وَهَوْلَ مَطْلَعِهَا، مُتَهَاوِنٌ فِي أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ، مُتَكَاسِلٌ عَنْ شُهُودِ الْجُمُعِ وَالْجَمَاعَاتِ، زَاهِدٌ فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، مُسْتَضْعِرٌ لِلذُّنُوبِ وَالْمَحْرَمَاتِ، لَيْسَ لَهُ مُعْتَنَمٌ فِي صِيَامِ أَيَّامِ فَاضِلَةٍ، وَلَا اخْتِسَابٌ فِي صَدَقَةٍ بَاقِيَةٍ، مُضْبِعٌ لِمَوَاسِمِ الْفَضِيلَةِ، مُفَرِّطٌ فِي سَاعَاتِ الْعُمُرِ؛ سَاعَاتُ عُمُرِ الْغَافِلِ أَهْوَنُ مَا يَمْلِكُهُ، وَأَرْخَصُ مَا يَبْدُلُهُ، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْغَفْلَةِ: الْجَهْلُ بِاللَّهِ؛ فَأَكْثَرُ النَّاسِ غَفْلَةٌ أَبْعَدُهُمْ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [الحشر: ١٩].

وَمِنْ أَسْبَابِهَا: هَجُرُ الْقُرْآنِ تِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا وَعَمَلًا، كَيْفَ وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ بِالرُّوحِ {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا} [الشورى: ٥٢]، فَالْقُرْآنُ رُوحُ الْقَلْبِ، فَإِذَا أَهْمَلَ الْقُرْآنُ مَاتَ الْقَلْبُ كَمَا تَمُوتُ الرُّوحُ فِي الْجَسَدِ؛ فَهُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَنُورُهَا. وَمِنْ أَسْبَابِهَا: صُحْبَةُ الْغَافِلِينَ، فَصَحْبَتُهُمْ تُورِثُ الْعَقْلَةَ {وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: ٢٨].

وَمِنْ أَسْبَابِهَا: تَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِالدُّنْيَا وَالرُّكُونُ إِلَيْهَا وَطُولُ الْأَمَلِ {ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الحجر: ٣].

وَمِنْ أَسْبَابِهَا أَيْضًا: اللَّهُ وَ الْمُفْرِطُ الَّذِي لَا يَنْفَعُ صَاحِبُهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَمِنْ أَعْظَمِ مَظَاهِرِ هَذَا اللَّهُ وَ فِي زَمَانِنَا مَا يُسَمَّى بِالْأَلْعَابِ الْإِلِكْتُرُونِيَّةِ الَّتِي أَسْرَتِ الْقُلُوبَ، وَشَتَّتِ الْعُقُولَ، وَضَيَّعَتِ الْأَوْقَاتَ، وَأَلْهَتْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ وَفَعَلَ الْخَيْرَاتِ {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنعام: ٣٢].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ؛ فَإِذَا عُرِفَ الدَّاءُ عُرِفَ الدَّوَاءُ، وَعِلَاجُ الْعَقْلَةِ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ، مِنْ أَعْظَمِهَا:

مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، وَمَلَازِمَةُ كِتَابِهِ تِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا وَعَمَلًا، وَمُصَاحَبَةُ الصَّالِحِينَ، وَحُضُورُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ، وَالِاجْتِهَادُ فِي الدُّعَاءِ، وَصِدْقُ اللُّجُوءِ إِلَى اللَّهِ، وَالْإِكْتِنَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ آثَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَذِكْرُ الْمَوْتِ وَقَصْرُ الْأَمَلِ: «أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَاتِ» ^(١٨١)، وَمِنْ وَصَايَا النَّبِيِّ ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ غَابِرُ سَبِيلٍ» ^(١٨٢). اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْغَافِلِينَ، وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

١٨١ () أخرجه الترمذي في سننه، (٢٣٠٧)، وصححه الألباني.

١٨٢ () أخرجه البخاري في صحيحه، (٣٦٠٧).

الجَفَاءُ... سَبَبُ الْقَطِيعَةِ وَفَسَادِ الْقُلُوبِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الرَّحْمَةَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ، وَأَمَرَ بِهَا عِبَادَهُ، وَوَفَّقَ مَنْ شَاءَ فَجَعَلَهُمْ رُحَمَاءَ، وَأَبْعَدَ عَنْهُمْ الْعِلْظَةَ وَالْجَفَاءَ، وَأَنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَتِ التَّقْوَى فِي الْقَلْبِ أَثْمَرَتْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

صِفَةُ مَذْمُومَةٍ، وَذَاءٌ يَزْرَعُ فِي الْقُلُوبِ الصَّغِيئَةِ، وَيُورِثُ الْبَغْضَاءَ وَالْقَطِيعَةَ، هُوَ سَبَبٌ فِي هَدْمِ الْعَلَقَاتِ وَحِرْمَانِ كَثِيرٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَمَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِيرِ سُوءِ الْخُلُقِ لَا يَزِيدُ الْمَرْءَ إِلَّا بُعْدًا عَنِ النَّاسِ، إِنَّهُ ذَاءُ الْجَفَاءِ وَالْعِلْظَةِ وَالْفَضَاضَةِ. قَالَ تَعَالَى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: ١٥٩]، نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ وَذَمَّ أَهْلَهُ: {وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ} ١٠ ﴿ هَمَّازٌ مَّشَاءً بِنَمِيمٍ ١١ ﴿ مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ ﴿ عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٌ ١٣ ﴿ [القلم: ١٠-١٣]، وَالْعُتْلُ هُوَ الشَّدِيدُ الْجَافِي، وَالْفُظُّ الْغَلِيظُ، وَقَدْ حَذَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْعِلْظَةِ وَسُوءِ الْخُلُقِ وَالتَّكْبُرِ عَلَى الْخَلْقِ، فَقَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْجَوَّاطُ وَالْجَعْظَرِيُّ» قَالَ: الْجَوَّاطُ الْغَلِيظُ الْفُظُّ. (١٨٣)

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ أَهْلَ الْإِيمَانِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِقَوْلِهِ: {أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [المائدة: ٥٤]؛ أَيُّ: مُتَوَاضِعُونَ رُحَمَاءَ، لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ غِلْظَةٌ وَلَا جَفَاءٌ. وَأَمَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ بِالْأَنَّةِ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَاللُّطْفِ فِي خُطَابِهِمْ، وَالتَّوَدُّدِ لَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى: {وَآخِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} ٨٨ ﴿ [الحجر: ٨٨].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

صَاحِبُ الْجَفَاءِ سَيِّئٌ فِي أَقْوَالِهِ، غَلِيظٌ فِي عِبَارَاتِهِ، حَادٌّ فِي كَلَامِهِ، قَاسٍ قَلْبُهُ، جَافٌ فِي عَاطِفَتِهِ وَمَشَاعِرِهِ، فَإِذَا اجْتَمَعَتِ الْفَضَاضَةُ وَالْعِلْظَةُ نَفَرَتْ مِنْهُ النُّفُوسُ، وَابْتَعَدَتْ عَنْهُ الْقُلُوبُ، وَانْفَضَّ عَنْهُ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَاسْتَنْقَلَهُ مَنْ يَصْطَرُّهُ الْجُلُوسُ إِلَيْهِ، {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: ١٥٩].

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِنْ صُورِ الْجَفَاءِ غِيَابُ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَغِيَابُ الْإِبْتِسَامَةِ، وَظَلَاقَةُ الْوَجْهِ وَالْبَشَاشَةِ، وَانْقِبَاضُ الْيَدِ عَنِ الْعَطَاءِ، وَالْحِدَّةُ فِي الْكَلَامِ، وَالتَّنْقِصُ وَالْإِرْدِرَاءُ. صَاحِبُ الْجَفَاءِ كَلِمَاتُهُ قَاسِيَةٌ، وَنَظَرَاتُهُ سَاحِرَةٌ، وَعِبَارَتُهُ جَارِحَةٌ، يَعِيشُ مَعَ النَّاسِ بِجَسَدِهِ، وَلَكِنَّهُ بَعِيدٌ عَنْهُمْ بِقَلْبِهِ وَرُوحِهِ، يَرَاهُمْ وَلَا يَشْعُرُ بِهِمْ، قَدْ يَمُرُّ بِجَانِبِهِمْ فَلَا يُلْقِي السَّلَامَ عَلَيْهِمْ، يَتَوَارَى إِنْ أُخْرِجَ لِحُضُورِ مَنْاسِبَةٍ، وَيُسْرِعُ بِالْخُرُوجِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ. إِذَا صَلَّى مَعَ الْجَمَاعَةِ، يُسِيءُ الْعِشْرَةَ وَيُكْثِرُ الْعِتَابَ، غَرِيبٌ بَيْنَ أَهْلِهِ وَجِيرَانِهِ وَأَرْحَامِهِ بِسَبَبِ جَفَائِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

الْجَفَاءُ مَعَ الْخَلْقِ عِلَامَةٌ الْجَفَاءِ مَعَ الْخَالِقِ؛ فَالْمَحْرُومُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَحْرُومٌ مِنْ رَحْمَةِ الْخَلْقِ، وَمَنْ جَفَّ قَلْبُهُ عَنِ النَّاسِ جَفَّ النَّاسُ عَنْهُ، وَمَنْ رَقَّ قَلْبُهُ رَقَّ النَّاسُ لَهُ، وَمِنْ الْجَزَاءِ أَنَّ الْقَلْبَ لَا يَمِيلُ لِمَوْعِظَةٍ، وَلَا يَخْشَعُ لِتَذْكِرَةٍ. عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

لِنُعِيدَ مَشَاعِرَ الْعُظْفِ وَالْمَحَبَّةِ وَاللُّطْفِ وَالْمُودَّةِ إِلَى بُيُوتِنَا وَمَسَاجِدِنَا وَمُجْتَمَعَاتِنَا؛ فَإِنَّ الْحِدَّةَ وَالْجَفَاءَ لَا يَقُومُ بِهِمَا دِينٌ، وَلَا تُبْنَى بِهِمَا أُمَّةٌ، وَلَا يُنْبَتَانِ وُدًّا، وَلَا يُقِيمَانِ بَيْتًا، وَلَا يَتِمَّيَّانِ مُجْتَمَعًا؛ فَإِنَّ الْقِسْوَةَ تُزِيلُ اللَّيْنَ، وَتَجْلِبُ الْجَفَاءَ، وَتَقْطَعُ الْمُودَّةَ، وَتُورِثُ الْكِبْرَ.

ابْدُؤُوا بِالسَّلَامِ، وَالْيَنُودِ الْكَلَامِ؛ فَمَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ، صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ، وَأَحْسِنُوا إِلَى جِيرَانِكُمْ، وَتَعَاهَدُوا إِخْوَانَكُمْ وَأَصْدِقَاءَكُمْ، وَتَلَطَّفُوا مَعَ مَنْ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، وَتَعَافَلُوا عَنِ الزَّلَّاتِ؛ فَهِيَ سِمَةُ أَصْحَابِ الْمُرُوءَاتِ {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} ١٩٩ ﴿[الأعراف: ١٩٩].

الْمُؤْمِنُ مَأْلَفٌ، يَأْلَفُ النَّاسَ وَيَأْلَفُونَهُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ. قَالَ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ تُحَرِّمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ» (١٨٤).
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.

الطَّمَعُ... مَرَضُ النَّفْسِ وَسَبَبُ الْهَوَانِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ، وَأَمَرَ عِبَادَهُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَنَهَى عَنْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَخَيْرُ الْوَصَايَا لِمَنْ عَقَلَهَا وَاتَّبَعَهَا تَقْوَى اللَّهِ: { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ } [النساء: ١٣١].

عِبَادَ اللَّهِ:

آفَةٌ مِنْ آفَاتِ النَّفْسِ، وَعَلَامَةٌ عَلَى الدَّنَاءَةِ وَالْمَهَانَةِ وَشُحِّ النَّفْسِ، خُلِقَ يُدَسُّ صَاحِبُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْعُيُوبِ الْقَادِحَةِ، صَاحِبُهُ لَا يَفْنَعُ بِمَا أُوتِيَ وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا لِأَجْلِ شَرِّهِ، وَلَا يَسْتَنْكِفُ مِمَّا مَنَعَ وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا لِقِلَّةِ أَنْفَتِهِ، يَذْهَبُ بَرَكَةُ الْمَالِ وَيُذِلُّ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ. اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ»^(١٨٥)؛ إِنَّهَا آفَةٌ الطَّمَعِ وَالْجَشَعِ، تَسْكُنُ نَفْسًا لَا تَشْبَعُ، تَلْهَثُ خَلْفَ الْمَالِ بِمَا يَتَجَاوَزُ الْحَدَّ وَالْإِعْتِدَالَ. حَذَّرَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِيَّاكَ وَالطَّمَعُ فَهُوَ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ»^(١٨٦)، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَفْسَدَ لِدِينِ الْمَرْءِ مِنَ الطَّمَعِ فِي شَهَوَاتِ الدُّنْيَا. قَالَ ﷺ: «مَا ذُبَّانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»^(١٨٧).

وَمَنْ كَانَ ذَا طَمَعٍ مُسَيِّطِرٍ عَلَى قَلْبِهِ فَإِنَّ الدَّلَّ قَرِينُهُ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَام [?]: "الْعُبُودِيَّةُ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ رِقُّ الْقَلْبِ، فَمَا اسْتَرْقَ قَلْبَكَ وَاسْتَعْبَدَهُ فَهُوَ عَبْدُهُ، وَإِذَا اسْتَرْقَى الْقَلْبُ الْمَالُ صَارَ عَبْدًا لِهَذَا الْمَالِ"^(١٨٨)، وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ فَقَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ»^(١٨٩).

١٨٥ () أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٧٢٢).

١٨٦ () أخرجه الحاكم في مستدركه (٧٩٢٨)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، ووافقه الذهبي.

١٨٧ () أخرجه الترمذي في سننه، (٢٣٧٦)، وصححه الألباني.

١٨٨ () مجموع الفتاوى (١٠ / ١٨١).

١٨٩ () أخرجه البخاري في صحيحه، (٢٧٣٠).

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِنْ صَوَرِ الطَّمَعِ وَالْجَشَعِ الْمَذْمُومَةِ مُبَالَغَةُ بَعْضِ مُلَّاكِ الْعَقَارِ فِي الْبَيْعِ أَوْ الْإِيجَارِ، حَتَّى بَلَغَ الْأُمُرُ حَدًّا أَضَرَّ بِالْمُحْتَاجِينَ مِنَ الْمُشْتَرِينَ وَالْمُسْتَأْجِرِينَ، وَقَدْ نَهَى الْإِسْلَامُ عَنِ الْإِضْرَارِ بِالْمُسْلِمِينَ. قَالَ ﷺ: «مَنْ ضَارَّ أَضَرَّ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ شَاقَّ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ» (١٩٠)؛ أَي: مَنْ أَضَرَّ غَيْرَهُ بِقُصْدٍ، وَتَسَبَّبَ لَهُ بِمَا يَسُوءُهُ دُونَ وَجْهِ حَقٍّ، أَضَرَّ اللَّهُ بِهِ، أَي جَعَلَ اللَّهُ جَزَاءَهُ مِنْ جُنْسِ عَمَلِهِ، فَيَقُومُ بِهِ بِمِثْلِ مَا أَضَرَّ بغيره. وَكُلُّ مُعَامَلَةٍ أَضَرَّ بِهَا غَيْرَهُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُبَارِكُ لَهُ فِيهَا؛ لِأَنَّ مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ ضَارَّهُ اللَّهُ تَرَحَّلَ عَنْهُ الْخَيْرُ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ الشَّرُّ، وَذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ وَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ. وَيَدُلُّ الْحَدِيثُ بِمَفْهُومِهِ عَلَى أَنَّ مَنْ أَرَالَ الضَّرَرَ وَالْمُسْقَةَ عَنِ الْمُسْلِمِ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْلِبُ لَهُ الْخَيْرُ وَيَذْفَعُ عَنْهُ الضَّرَرَ وَالْمَشَاقَّ جَزَاءً وَفَاقًا، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ (٢): "قَالُوا وَقَدْ ذَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فِي أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ مَوْضِعٍ عَلَى أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جُنْسِ الْعَمَلِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {جَزَاءُ وَفَاقًا} [النَّبَأُ: ٢٦]، أَي: وَفَقَ أَعْمَالِهِمْ، وَهَذَا ثَابِتٌ شَرْعًا وَقَدَرًا". (١٩١) اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ، وَيَنَالُ بِهِ رَحْمَتَهُ، التَّيَسُّيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَمُعَامَلَتُهُمْ بِالسَّمَاحَةِ وَالرَّفْقِ وَاللِّينِ. قَالَ ﷺ: «أَحَبُّ اللَّهُ عَبْدًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، سَمَحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمَحًا إِذَا قَضَى، سَمَحًا إِذَا افْتَضَى» (١٩٢). وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَأَنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ، وَلَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ» (١٩٣). وَرَحْمَةُ الْعَبْدِ بِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ سَبَبٌ عَظِيمٌ لِلْقَبُولِ وَالتَّوْفِيقِ وَالْبَرَكَةِ. وَمَنْ عَامَلَ عِبَادَ اللَّهِ بِصِفَةِ عَامَلِهِ اللَّهُ بِتِلْكَ الصِّفَةِ بَعِيْنَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَاللَّهُ لِعَبْدِهِ عَلَى حَسَبِ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ لِحَلْقِهِ. فَكَمَا تُدِينُ تَدَانُ؛ فَمَنْ رَفَقَ بِعِبَادِ اللَّهِ رَفَقَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ رَحِمَهُمْ رَحِمَهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَمَنْ نَفَعَهُمْ نَفَعَهُ،

١٩٠ () أخرجه أبو داود في سننه، (٣٦٣٥)، وحسنه الألباني.

١٩١ () تهذيب سنن أبي داود، (٣ / ١٣٠).

١٩٢ () أخرجه البخاري في صحيحه، (١٩٧٠).

١٩٣ () أخرجه أبو داود في سننه، (٤٩٤٢)، وحسنه الألباني.

وَمَنْ مَنَعَهُمْ خَيْرُهُ مَنَعَهُ اللَّهُ خَيْرُهُ، وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَجَعَلَ عَاقِبَتَهُ الدُّلَّ
وَالْخُسْرَانَ. اللَّهُمَّ مَنْ رَفَقَ بِعِبَادِكَ فَارْزُقْ بِهِ، وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ.

الفراغ... نعمة وحسرة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، فَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، تَتَابَعَتْ عَلَى الْعِبَادِ نِعْمُهُ، وَتَرَادَفَتْ عَلَيْهِمْ مَنُّهُ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الشَّاكِرِينَ، وَعَدَهُمْ بِالْجَزَاءِ الْحَسَنِ، وَلِنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَا بَعْدُ:

فَخَيْرُ الْوَصَايَا، وَأَعْظَمُهَا لِمَنْ عَقَلَهَا وَاتَّبَعَهَا، تَقْوَى اللَّهِ، { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ } [النساء: ١٣١].

عباد الله:

هِيَ نِعْمَةٌ لِمَنْ اغْتَنَمَهَا، وَحَسْرَةٌ عَلَى مَنْ ضَيَعَهَا؛ نِعْمَةٌ لِمَنْ عَرَفَ قَدْرَهَا فَعَمَّرَ فِيهَا دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ، وَحَسَارَةٌ لِمَنْ جَهَلَهَا فَأَصْبَحَ آخِرَتُهُ، نِعْمَةٌ مُؤَقَّتَةٌ لَا تَدُومُ، وَسُرْعَانَ مَا تَزُولُ، نِعْمَةٌ يُغْبَى فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ إِنَّهَا نِعْمَةُ الْفَرَاغِ.

قَالَ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُودٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (١٩٤)، وَالْمَعْنَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ قَدْرَ هَاتَيْنِ النُّعْمَتَيْنِ؛ حَيْثُ لَا يَكْسِبُونَ فِيهِمَا مِنَ الْأَعْمَالِ كفاية مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي مَعَادِهِمْ وَآخِرَتِهِمْ، فَيَتَذَمُّونَ عَلَى تَضْيِيعِ أَعْمَارِهِمْ فِي وَقْتٍ لَا يَنْفَعُ فِيهِ النَّدَمُ: {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ} [التغابن: ٩].

عباد الله:

قَدْ يَكُونُ الْمَرْءُ صَاحِبًا وَلَا يَكُونُ مُتَفَرِّغًا لِإِشْغَالِهِ بِالْمَعَاشِ، وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَعْنِيًا وَلَا يَكُونُ صَاحِبًا؛ فَإِذَا اجْتَمَعَا فَغَلَبَ عَلَيْهِ الْكَسَلُ عَنِ الطَّاعَةِ فَهُوَ الْمَغْبُودُ، وَتَمَامُ ذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا مَرْزَعَةُ الْآخِرَةِ، وَفِيهَا التَّجَارَةُ الَّتِي يَظْهَرُ رِبْحُهَا فِي الْآخِرَةِ؛ فَمَنْ اسْتَعْمَلَ فَرَاغَهُ وَصَحَّتْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَهُوَ الْمَغْبُودُ، وَمَنْ ضَيَعَهَا أَوْ اسْتَعْمَلَهَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَهُوَ الْمَغْبُودُ، فَالْفَرَاغُ يَعْقِبُهُ الشُّغْلُ، وَالصَّحَّةُ تَعْقِبُهَا السَّقَمُ.

الْعَاقِلُ يَا عِبَادَ اللَّهِ مَنْ يَجْعَلْ أَعْمَالَهُ أَكْثَرَ مِنْ أَوْقَاتِهِ، حَتَّى لَا يَجْعَلَ لِلْفَرَاغِ عَلَى نَفْسِهِ سَبِيلًا؛ فَاسْتَبَابَ الْبَلَاءِ مِنَ الْفَرَاغِ. فَالْأَصْلُ عِنْدَ الْمُسْلِمِ أَنَّهُ لَا مَكَانَ لِلْفَرَاغِ فِي حَيَاتِهِ؛ {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ} ﴿٧﴾ [الشرح: ٧]، وَلَمْ يَذْكَرْ فِي الْآيَةِ الْمَفْرُوعُ مِنْهُ؛ لِنِعْمِ كُلِّ عَمَلٍ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ عَمَلٍ بَدَأَ فِي آخَرٍ. وَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ مُجْهِدًا، فَإِنَّ الْفَرَاغَ مَفْسَدَةٌ، وَأَكْثَرُ مَا يَزْنِعُ الشَّيْطَانُ فِي بَيْتَةِ الْفَرَاغِ؛ لِأَنَّهُ مَرْتَعٌ لِلْأَوْهَامِ وَالْهَوَاجِسِ وَالْخَيَالَاتِ وَالْوَسَاوِسِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْمُسْلِمَ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَيَاةَ أَنْفَاسُ مَعْدُودَةٌ، وَأَيَّامٌ مَحْدُودَةٌ، وَيُوشِكُ أَنْ تَنْتَهِيَ الْأَيَّامُ، وَتَقِفَ الْأَنْفَاسُ، وَتَظْهَرَ النَّتَائِجُ يَوْمَ التَّعَابُنِ، {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا} [آل عمران: ٣٠]، {يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى} [النازعات: ٣٥].

عِبَادَ اللَّهِ:

يَقُولُ بَعْضُ السَّلَفِ: مِنْ عَلَامَاتِ الْمَقْتِ إِضَاعَةُ الْوَقْتِ، يَعْنِي: مِنْ عَلَامَاتِ مَقْتِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ وَبُغْضِهِ لَهُ إِضَاعَةُ وَقْتِهِ، وَمِنْ عَلَامَاتِ خِذْلَانِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ أَنْ يَجْعَلَ شُغْلَهُ فِيمَا لَا يَغْنِيهِ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ عِنْدَ اللَّهِ مَقَامَكَ، فَانْظُرْ فِيمَا أَقَامَكَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِيعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرَ لَكُمْ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ الْحِفَاطَ عَلَى الْوَقْتِ يَحْتَاجُ إِلَى هِمَّةٍ، وَعَزِيمَةٍ، وَقُوَّةٍ إِرَادَةٍ؛ فَاحْرِصُوا عَلَى مَا يَنْفَعُكُمْ، وَاشْحَذُوا لِأَجَلِهِ هِمَمَكُمْ، وَتَمَرُّوا فِيهِ أَوْقَاتَكُمْ، يُبَارِكْ لَكُمْ فِي أَعْمَارِكُمْ، وَكُونُوا عَوْنًا لِأَبْنَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ عَلَى حِفْظِ أَوْقَاتِهِمْ، وَاعْتِنَامِ فَرَاعِهِمْ، وَلَا سِيَمَا عِنْدَ مَوْجِبَاتِ الْفَرَاغِ، كَالْإِجَارَاتِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْمُنَاسَبَاتِ؛ وَذَلِكَ بِإِعَانَتِهِمْ بِوَسَائِلِ عَمَلِيَّةٍ فِي اسْتِثْمَارِ أَوْقَاتِهِمْ بِالنَّافِعِ الْمُفِيدِ، كَالْحَلَقِ الْقُرْآنِيِّ، وَالذُّوَرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ أَوِ الْمِهْنِيَّةِ، أَوِ الْمَرَكَزِ الصَّنِيفِيَّةِ الْهَادِفَةِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبَرَامِجِ وَالْمَشْرُوعَاتِ الَّتِي تَحْفَظُ أَوْقَاتِهِمْ.

آفَةُ السَّهَرِ وَآثَارُهَا عَلَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا، وَجَعَلَ لِنِظَامِ الْكُونِ مَوَاقِيتَ وَسُنَنًا، هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَلَيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا { [يونس: ٦٧]، خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ، عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ مِنْ سِمَاتِ أَهْلِ التَّقْوَى أَنَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فِي آيَاتِهِ الشَّرْعِيَّةِ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي آيَاتِهِ الْكُونِيَّةِ { إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ } [يونس: ٦].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

آفَةُ اجْتِمَاعِيَّةٌ تُعَارِضُ السُّنَّةَ الْكُونِيَّةَ وَالْحِكْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ، وَعَادَةٌ تُخَالِفُ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ وَالْفِطْرَةَ الْبَشَرِيَّةَ، وَتُضَادُّ الْقَوَاعِدَ الصَّحِيَّةَ، آفَةُ تُخَالِفُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ؛ إِنَّهَا آفَةُ السَّهَرِ الَّتِي تَسَلَّلَتْ إِلَى الْبُيُوتِ، فَأَفْسَدَتْ عَلَى النَّفُوسِ صَفَاءَهَا، وَعَلَى الْقُلُوبِ طُمَأْنِينَتَهَا، وَعَلَى الْأَبْدَانِ رَاحَتَهَا، فَأَوْهَنْتِ الْأَبْدَانَ، وَأَضْعَفَتِ الْإِيمَانَ، وَأُورِثَتِ الْأَرْقُ وَالتَّوَتَّرَ وَالْقَلَقُ، وَكَمْ هُوَ مُؤْلِمٌ أَنْ تَرَى لَيْلَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ سَهَرًا وَلَهُوَ وَعَبَثًا.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

مَنْ سَهَرَ لَيْلَهُ أَضَاعَ يَوْمَهُ، فَالسَّهَرُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ يُخِلُّ بِنِظَامِ الْحَيَاةِ وَيَضُرُّ بِالْدِّينِ وَالدُّنْيَا. وَخَلَقَ اللَّهُ اللَّيْلَ لَتَسْكُنَ فِيهِ، وَجَعَلَهُ رَاحَةً لِلْأَبْدَانِ وَالْقُلُوبِ، تَهْدَأُ بِهِ الْأَنْفَاسُ، وَتَسْكُنُ فِيهِ الْأَعْضَاءُ وَالْحَوَاسُّ.

النُّومُ فِي اللَّيْلِ سُنَّةٌ كُونِيَّةٌ وَرَحْمَةٌ إِلَهِيَّةٌ، حِينَمَا يَسِيرُ الْإِنْسَانُ عَلَى خُطَاهَا يَسْتَرِيحُ الْفُؤَادُ، وَتَصِحُّ الْأَبْدَانُ، { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَلَيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا } [الفرقان: ٤٧]. النَّوْمُ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ لِرَاحَةِ الْبَدَنِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا فِي هُدُوءِ اللَّيْلِ وَظُلْمَتِهِ، وَنَوْمٌ أَوَّلَ اللَّيْلِ لَا يَغْدِلُهُ نَوْمٌ آخِرَ اللَّيْلِ، وَنَوْمٌ آخِرَ اللَّيْلِ لَا يَغْدِلُهُ نَوْمٌ النَّهَارِ، وَقَلِيلٌ نَوْمِ اللَّيْلِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ نَوْمِ النَّهَارِ لِجَسَمِ الْإِنْسَانِ وَعَقْلِهِ وَذَاكِرَتِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا، وَعَنْ عَائِشَةَ ? قَالَتْ: «مَا نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَلَا سَمَرَ بَعْدَهَا» (١٩٥)، فَهَذَا هَدْيُهُ الدَّائِمُ. وَمَا نُقِلَ مِنْ سَهَرِهِ وَحَدِيثِهِ بَعْدَ الْعِشَاءِ فَهُوَ عَارِضٌ لِحَاجَةٍ دَعَتْ إِلَيْهِ. وَلِذَا كَانَ ﷺ يَدُمُّ السَّهَرِ

وَيَعِيبُهُ، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ❑ قَالَ: قَالَ: «جَدَبَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّمَرُ بَعْدَ الْعِشَاءِ» (١٩٦)، أَيُّ غَابَهُ وَذَمَّهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَيَعْظُمُ خَطْرُ السَّهَرِ، وَتَشْتَدُّ حُزْمَتُهُ إِنْ تَرْتَّبَ عَلَيْهِ تَضْيِيعُ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ، وَقَدْ وَرَدَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِي عُقُوبَةِ مَنْ نَامَ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَمَنْ سَهَرَ لَيْلَهُ أَصَاغَ فَجْرَهُ، وَهِيَ الصَّلَاةُ الْفَارِقَةُ بَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَهْلِ التَّفَاقِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

نَتَاجُ السَّهَرِ تَضْيِيعُ الصَّلَوَاتِ، وَاهْدَارُ لِلْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ، وَتَكَاسُلُ عَنِ الطَّاعَاتِ، وَذَهَابُ لِلْبَرَكَاتِ، وَضَيَاعُ لِلْعُمْرِ، وَتَقْصِيرُ فِي الطَّاعَةِ. وَمَنْ سَهَرَ عَلَى بَاطِلٍ نَامَ عَنْ حَقٍّ، وَمَنْ فَرَطَ فِي سُكُونِ اللَّيْلِ حَرِمَ لَذَّةَ الْقِيَامِ، وَضَعُفَتْ هِمَّتُهُ فِي الطَّاعَةِ. فَيَا مَنْ أَسْهَرْتَ لَيْلَكَ، إِنَّ الشَّاسَاتِ لَا تَنَامُ، وَالْأَحَادِيثُ لَا تَنْقُضِي، فَالْتَّكْبِيرُ بِالنُّومِ سُنَّةُ نَبِيِّهِ وَصَحَّةُ بَدَنِيَّةٍ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُكُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطية الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

لِأَهْلِ الطَّبِّ أبحاثٌ وَدِرَاسَاتٌ فِي أَصْرَارِ السَّهَرِ وَاتِّخَاذِهِ عَادَةً، فَالسَّهَرُ مِنْ أَقْوَى الْعَوَامِلِ الْمُؤَثِّرَةِ عَلَى الْجِهَازِ الْمَنَاعِيِّ، وَالْمُثَبِّطَةِ لِنَشَاطِ ذَاكِرَةِ الْجِسْمِ الْمَنَاعِيَّةِ وَحَرَكَهٍ خَلَاتِ الْجِهَازِ الْمَنَاعِيِّ. وَفِي السَّهَرِ سِهَامٌ تُصِيبُ الْبَدَنَ بِالْوَهْنِ، وَتُشَدُّ الدَّهْنُ، وَتُضْعَفُ التَّرْكِيزُ، وَتُسَيِّءُ الْمِرَاجَ، وَتَزِيدُ سُرْعَةَ الْإِنْفِعَالِ وَسُرْعَةَ الْإِجْهَادِ. وَالْجِسْمُ، كَمَا يَقُولُ أَهْلُ الطَّبِّ، لَا يَرْمَمُ نَفْسَهُ إِلَّا أَثْنَاءَ نَوْمِ اللَّيْلِ، وَالْهَزْمُونَ لَا تَعْمَلُ بِشَكْلِ طَبِيعِيٍّ إِلَّا فِي اللَّيْلِ، وَأَيُّ اخْتِلَالٍ فِي ذَلِكَ يُضْعِفُ مَنَاعَةَ الْجِسْمِ تَدْرِيجِيًّا.

وَمِمَّا تَجْدُرُ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ، وَجَاءَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ، أَنَّهُ مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلَا بُدَّ لَهُ أَنْ يُرَاعِيَ أُمُورًا شَرْعِيَّةً وَأُمُورًا تَنْظِيمِيَّةً؛ فَأَمَّا الْأُمُورُ الشَّرْعِيَّةُ فَعَلَى الْحَاجِّ أَنْ يَتَفَقَّهَ فِي أَحْكَامِ الْحَجِّ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «لَتَأْخُذُوا مَنَاسِكُكُمْ. فَإِنِّي لَا أَذْرِي لَعَلِّي لَا أَحْجُ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» (١٩٧). وَأَمَّا الْأُمُورُ التَّنْظِيمِيَّةُ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْحَاجِّ أَنْ يَأْخُذَ بِتَغْلِيمَاتِ وَتَنْظِيمَاتِ الْجِهَاتِ الْمَسْئُولَةِ، الَّتِي تَبْدُلُ جُهُودًا مَشْكُورَةً فِي الْعِنَايَةِ وَالرَّعَايَةِ بِوُقُودِ الرَّحْمَنِ، وَمِنْ ذَلِكَ إِصْدَارُ التَّنْصِيحِ.

١٩٦ () أخرجه ابن ماجه في سننه: (٧٠٣)، وحسنه الأرنؤوط.

١٩٧ () أخرجه مسلم في صحيحه، (١٢٩٧).

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُيَسِّرَ لِلْحُجَّاجِ حَجَّ بَيْتِهِ، اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَهُمْ حَجَّ بَيْتِكَ، وَاحْفَظْهُمْ يَا رَبَّ
الْعَالَمِينَ.

عَدَاوَةُ الشَّيْطَانِ وَمَكَايِدُهُ فِي إِغْوَاءِ الْإِنْسَانِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَدَرْنَا مِنْ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ، وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ سُلْطَانٍ، إِلَّا مَنْ تَوَلَّاهُ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، {كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} [الحج: ٤]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَفِي تَقْوَاهُ سَعَادَةُ الْأُولَى وَالنَّجَاةُ فِي الْآخِرَةِ.

عِبَادَ اللَّهِ: هُوَ مِنْ أَشَدِّ الْأَعْدَاءِ فَتَنًا، وَأَمْضَاهُمْ كَيْدًا، وَأَقْدَمِهِمْ عَدَاوَةً وَمَكْرًا؛ عَدُوٌّ حَدَرْنَا اللَّهُ مِنْهُ فِي كِتَابِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَبَيَّنَ لَنَا شِدَّةَ عَدَاوَتِهِ، وَوُجُوبَ مُجَاهَدَتِهِ، وَقَطْعَ وَسَائِلِهِ، وَالْحَدَرَ مِنْ خُطَوَاتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر: ٦].

وَقَدْ أَقْسَمَ هَذَا الْعَدُوُّ أَنْ يُغْوِي بَنِي آدَمَ أَجْمَعِينَ، وَأَنْ يَتَّعِدَ لَهُمْ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ: {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} [سورة الأعراف: ١٦]. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّ مِنْ فِقْهِ الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ تَأْيِيهِ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَزَالُ يَطْرُقُ الْقَلْبَ بِمَدَاخِلِهِ، وَيَتَسَلَّلُ إِلَى النَّفْسِ بِأَسَالِيْبِهِ، وَيُشَامُ قَلْبَ الْعَبْدِ، وَيَدْخُلُ عَلَى النَّفْسِ مِنَ الْبَابِ الَّذِي نَحِبُهُ وَنَهْوَاهُ.

عِبَادَ اللَّهِ: وَمِنْ أَعْظَمِ طُرُقِهِ فِي الْإِغْوَاءِ الْوَعْدُ الْكَاذِبُ، وَالنَّغْرِيرُ بِالْأَمَانِيِّ، وَطُولُ الْأَمَلِ، وَتَرْيِيبُ رُخُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَإِغْرَاقُ الْقَلْبِ فِي الْغَفْلَةِ عَنِ الْمَوْتِ وَنِسْيَانِ الْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّبُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [النساء: ١٢٠]. وَمِنْ أَعْظَمِ كَيْدِهِ أَيْضًا تَحْسِينُ الْقَبِيحِ وَتَقْبِيحُ الْحَسَنِ، فَيَرْيِيبُ الْمَعْصِيَةَ حَتَّى تُرَى رَاحَةً وَسَلْوَةً، وَيُنْقِلُ الطَّاعَةَ حَتَّى تُرَى عَنَتًا وَمَشَقَّةً، قَالَ سُبْحَانَهُ: {وَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ} [النحل: ٢٤]. وَمِنْ ذَلِكَ تَرْيِيبُهُ كَشْفَ

الْعُورَاتِ، وَهَنْتِكَ السَّثَرِ، وَاشَاعَةَ الْفَوَاحِشِ، لِإِيقَاعِ الْفِتْنَةِ، وَإِيقَادِ نَارِ الشَّهْوَةِ، وَسَلْبِ نُورِ الْإِيمَانِ، وَتَغْيِيرِ فِطْرَةِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا: {يَبْنِيْ عَادِمٌ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَبَهُمَا} [الأعراف: ٢٧].

عِبَادَ اللَّهِ: وَمِنْ مَكَايِدِهِ أَنَّهُ يَتَدَرَّجُ مَعَ الْعَبْدِ فِي الْإِغْوَاءِ، فَيَبْدَأُ بِالتَّوَسُّعِ فِي الْمُبَاهَاةِ، ثُمَّ التَّسَاهُلِ فِي الْمُشْتَبِهَاتِ، ثُمَّ الْوُقُوعِ فِي صَعَائِرِ الدُّنُوبِ، حَتَّى يَجْرَهُ إِلَى الْكِبَايِرِ، وَمِنْ أخطر ذَلِكَ مَا نَرَاهُ فِي الْمَكَايِدِ الْمُحَرَّمَةِ، مِنَ التَّحَايُلِ عَلَى الرَّبِّ، وَتَسْمِيَّتِهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، وَالتَّسَاهُلِ فِي مُعَامَلَاتِهِ هِيَ أَقْرَبُ إِلَى الرَّبِّ مِنْهَا إِلَى الْبَيْعِ، وَمِنْ مَكَايِدِهِ التَّحْرِيشُ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِيقَاعُ الْعَدَاوَةِ وَالْبُغْضَاءِ، وَلَا سِيَّمَا بَيْنَ الرُّوَجَيْنِ.

إِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ بِكَيْدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَصُدَّهُ عَنْهَا ثَقَلَهَا عَلَيْهِ، وَزَيَّنَ لَهُ التَّرَاجِي وَالنَّسُوفَ وَصَرَفَهُ عَنْهَا بِصَوَارِفِ الْمُلْهِيَاتِ؛ فَإِذَا قَامَ الْعَبْدُ إِلَى صَلَاتِهِ أَقْبَلَ عَدُوُّ اللَّهِ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَهُ وَتَيْنَ نَفْسِهِ وَيَحُولَ بَيْنَهُ وَتَيْنَ قَلْبِهِ وَيُلْبَسَ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ فَيَسْلُبَ مِنْهُ الْخُشُوعَ الَّذِي هُوَ رُوحُهَا وَلُبُّهَا.

وَمِنْ مَكْرِهِ وَكَيْدِهِ إِلْقَاءُ الشُّكُوكِ عَلَى الْعَبْدِ فِي بَابِ الْعِبَادَاتِ، وَالشُّكُوكِ إِذَا كَثُرَتْ طَرِحَتْ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا، وَالشُّكُّ فِي الْعِبَادَةِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهَا لَا يُؤْتَرُ؛ وَمَنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ هَذَا الْبَابَ تَلَاَعَبَ بِهِ الشَّيْطَانُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيَاطِينِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

عِبَادَ اللَّهِ: وَمِنْ أخطر مَا يَحْضُرُهُ أَنْ يَحْضُرَهُ عِنْدَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ لِإِضْلَالِهِ بِتَرْغَاتِهِ، وَلِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ» (١٩٨)؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَكُونُ فِي حَالٍ أَشَدَّ عَلَى ابْنِ آدَمَ مِنْهُ مِثْلَ مَا هُوَ فِي حَالِ الْمَوْتِ، وَإِلَّا فَإِنَّ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَأَعَوَانِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

وَمِنْ سُبُلِ الْوَقَايَةِ مِنْ كَيْدِهِ وَشَرِّهِ تَحْقِيقُ الْإِيمَانِ؛ فَكُلَّمَا قَوِيَ الْإِيمَانُ ضَعُفَ سُلْطَانُ الشَّيْطَانِ، وَالْإِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ وَتَوْحِيدُهُ وَصِدْقُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَإِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لَهُ {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل: ٩٩]، وَالْإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ: {وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأعراف: ٢٠٠]، وَقِرَاءَةُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَالْمُعَوَّذَاتِ وَالْمَدَاوِمَةُ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهَا حِزْرٌ لِلْمُؤْمِنِ وَحِصْنٌ لَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالْبُعْدُ عَنْ مَوَاطِنِ الْفِتَنِ وَغَضُّ الْبَصَرِ وَحِفْظُ اللِّسَانِ.

الْفِتْنُ... أَسْبَابُ الْوُقُوعِ فِيهَا وَالتَّجَاةُ مِنْهَا

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أما بعد:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ءَامِنُوا بِرَسُولِهِ ءِيُؤْتِكُمْ كِفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ءَ وَيَجْعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ءَ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ءَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ { [الحديد: ٢٨]

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كَلَّمَا قَرَّبَ الرَّمَانُ مِنَ السَّاعَةِ كَثُرَتِ الْفِتْنُ وَتَعَظَّمَتْ، وَصَفَهَا النَّبِيُّ ﷺ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، السَّعِيدُ مَنْ جَنَّبَهَا، وَالْمَوْفَّقُ مَنْ ابْتَعَدَ عَنْ مَوَاطِنِهَا، تَنَسَّقُ لِمَنْ لَا يَتَوَقَّعُهَا أَنْسِيَاقُ السَّيْلِ إِلَى مُنْحَدَرِهِ، إِنَّهَا الْفِتْنُ يَا عِبَادَ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ إِبْلِيسَ وَجُنُودَهُ يَسْعَوْنَ لِفِتْنَةِ الْمُسْلِمِ وَسَلْبِ إِيْمَانِهِ، تَارَةً بِالشُّبُهَاتِ وَتَارَةً بِالشَّهَوَاتِ، وَالْمُؤْمِنُ مَا دَامَ حَيًّا لَا يَأْمَنُ عَلَى دِينِهِ، فَقَدْ خَافَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَفْسِهِ قَائِلًا: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَتَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا الصَّنَامَ} [إبراهيم: ٣٥]، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَمَانِ الْفِتَنِ الَّذِي يَبِيعُ فِيهِ النَّاسُ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا، فَكَيْفَ يَأْمَنُ الْعَبْدُ فِي رَمَانٍ تَمُوجُ فِيهِ الْفِتْنُ؟

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ لِلتَّائُرِ بِالْفِتَنِ أَسْبَابًا فَاحْذَرُوهَا؛ فَمِنْهَا: مَرَضُ الْقَلْبِ وَزَيْغُهُ وَقَسْوَتُهُ، فَكَلَّمَا ارْدَادَ مَرَضُ الْمَرْءِ ارْدَادَ تَقَبُّلُهُ لِلْفِتَنِ وَاسْرَاعُهُ إِلَيْهَا، قَالَ تَعَالَى: {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ} [الحج: ٥٣]. وَيَقُولُ ﷺ: «نُعْرَضُ الْفِتْنَ عَلَى الْقُلُوبِ عَرْضَ الْحَصِيرِ، فَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكْتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكْتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، حَتَّى يَصِيرَ الْقَلْبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: أَبْيَضَ مِثْلَ الصَّبَا لَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْأَخْرَ أَسْوَدَ مُزْبَدًا كَالْكُوزِ مُجْحَيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ. (١٩٩))

وَمِنْ أَسْبَابِهَا: التَّعَرُّضُ لِلْفِتَنِ وَالْإِفْتِرَابُ مِنْهَا؛ فَلَا يَزَالُ الْمَرْءُ يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِلْفِتَنِ وَيَفْتَحِمُهَا، فَيَدْخُلُ فِي الْمَوَاقِعِ، وَيَتَابِعُ الْحِسَابَاتِ، وَيَسْتَمِعُ لِلشُّبُهَاتِ، وَيَنْظُرُ لِلْعَوْرَاتِ، حَتَّى يَقَعَ فِي شِرَاكِ الْفِتْنَةِ.

وَمِنْهَا: هَجْرَانُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَرْكُ الْإِعْتِصَامِ بِهِمَا؛ فَإِنَّ الْبُعْدَ عَنْ أَنْوَارِ الْوَحْيِ يُفْقِدُ الْقَلْبَ بَصِيرَتَهُ، فَإِذَا عَرِضَتْ لَهُ الْفِتْنَةُ وَجَدَتْ مَحَلًّا قَابِلًا لِلْبَدْرِ وَالْعَرَسِ.

عَبَادَ اللَّهِ: إِنَّ أخطرَ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْمَرْءُ أَنْ يَتَشَبَّعَ بِالْفِتْنَةِ، ثُمَّ يَصِيرَ دَاعِيَةً إِلَيْهَا، مُؤَثِّرًا فِي النَّاسِ بِنُشْرَاهَا، فَيَصِيرَ حِينِيذٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ وَأَعْوَانِهِ، وَيَنَالُهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» (٢٠٠). كَمَنْ يَدْعُو غَيْرَهُ لِمُشَاهَدَةٍ مَا هُوَ مُحَرَّمٌ، أَوْ يَزِينُ لَهُ سَمَاعَ الْمُحَرَّمِ، أَوْ يُعِيدُ نُشْرَ صُورَةٍ أَوْ مَقْطَعٍ فِيهِ فِتْنَةٌ مُضِلَّةٌ مِنْ فِتَنِ الشُّبُهَاتِ أَوْ الشَّهَوَاتِ. وَلَا تَكُنْ بِخَطِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ.

فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا تُرِيدُ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ بِهِ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

أَخِي الْمُبَارَكُ: إِنَّ سَبِيلَ النِّجَاةِ مِنَ الْفِتَنِ يَكْمُنُ فِي أُمُورٍ، فَاسْتَمْسِكْ بِهَا؛ فَمِنْهَا: الْإِلْحَاحُ عَلَى اللَّهِ بِالِدُّعَاءِ أَنْ يُعِينَكَ مِنَ الْفِتَنِ، قَالَ حَدِيثُهُ [٢]: يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا مَنْ دَعَا دُعَاءَ الْعَرِيقِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» (٢٠١). وَمِنْهَا: الْبُعْدُ عَنْ مَوَاطِنِ الْفِتَنِ، وَالْفِرَارُ مِنْهَا، وَعَدَمُ تَغْرِيسِ النَّفْسِ لَهَا، قَالَ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ بِالِدِّجَالِ فَلْيَنَأْ مِنْهُ. ثَلَاثًا يَقُولُهَا. فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ فَيَتَّبِعُهُ، وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ صَادِقٌ بِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ». (٢٠٢)

فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا مَعَكَ مِنَ الْإِيمَانِ فَتُفْتَنَ؛ فَإِنَّ الشُّبُهَةَ خَطَافَةٌ، وَالْقُلُوبَ ضَعِيفَةٌ. وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الثَّبَاتِ فِي زَمَنِ الْفِتَنِ الصَّبْرُ وَاسْتِحْضَارُ عَظَمِ الْأَجْرِ؛ فَكَلِّمَا اشْتَدَّتْ الْفِتْنُ عَظُمَ أَجْرُ مَنْ ثَبَّتَ عَلَى دِينِهِ. وَقَالَ ﷺ: «يَأْتِي زَمَانُ الصَّابِرِ فِيهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ». (٢٠٣)

٢٠٠ () أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٦٧٤).

٢٠١ () أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٨٦٧).

٢٠٢ () أخرجه أبو داود في سننه، (٤٣١٩)، وصححه الألباني.

٢٠٣ () أخرجه الترمذي في سننه، (٣٠٥٨).

يَوْمُ الْجُمُعَةِ ... عِيدُ الْأُسْبُوعِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ {سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ- وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ} [الرعد: ١٠]، اضْطَلَقَ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ أَخْلَصَهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرِ الدَّارِ، وَجَعَلَهُمْ عِنْدَهُ مِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ، وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَمَّا بَعْدُ:

فَالْوَصِيَّةُ بِتَقْوَى اللَّهِ هِيَ: وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَوَصِيَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِلْأُمَّتِ، فَهِيَ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَجَمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ، وَخَيْرُ لِبَاسٍ وَزَادٍ، وَأَعْظَمُ وَسِيلَةٍ لِرِضَا رَبِّ الْعِبَادِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

يَوْمٌ جَلَّ بَيْنَ الْأَيَّامِ قَدْرُهُ، وَعَلَا فِي الْإِسْلَامِ ذِكْرُهُ، يَوْمٌ هَدَى اللَّهُ إِلَيْهِ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، وَأَضَلَّ عَنْهُ الْأُمَّةَ الْأُخْرَى، يَوْمُ السَّمَاعِ لِلْمَوْعِظَةِ وَالذِّكْرِ، يَوْمُ التَّرَوُّدِ بِالْهَدَايَةِ وَالتَّقْوَى، وَمِنْ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْبُشْرَى: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ} [الزمر: ١٨].

يَوْمٌ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَحْتَفِي بِالْحَاضِرِينَ إِلَيْهِ، يَوْمٌ أَوْجَبَ اللَّهُ السَّعْيَ إِلَيْهِ، وَحَرَّمَ الْإِنْشَغَالَ بِغَيْرِهِ عِنْدَ النَّدَاءِ إِلَيْهِ، ((خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ)). (٢٠٤)

يَوْمٌ اضْطَفَاهُ اللَّهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَيَّامِ وَاخْتَصَّ بِهِ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّهُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ يَا عِبَادَ اللَّهِ، عَظَمَهُ اللَّهُ، وَمِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ تَعْظِيمَ شَعَائِرِهِ {ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: ٣٢].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

عَرَفَ قَوْمٌ فَضَائِلَهُ فَاسْتَبَقُوا فِيهِ الْخَيْرَاتِ، وَاعْتَنَمُوا أَوْقَاتَهُ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، {أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَاهُنَا سَائِفُونَ} [المؤمنون: ٦١].

وَمِنْ أَعْظَمِ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ: صَلَاةُ الْجُمُعَةِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَسْعَى إِلَيْهَا مُبَكِّرًا، وَأَنْ يَأْتِيَ بِسُنَنِهَا وَأَدَائِبِهَا: مِنَ الْإِغْتِسَالِ وَالتَّطَيُّبِ، وَاتِّخَاذِ الزَّيْنَةِ، وَالْعِنَايَةِ بِالْبَدَنِ، وَتَطْهِيرِ النَّفْسِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ بِمَا

اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ، وَبَدَّهْنُ مِنْ دُھْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَرْوُحُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ لِلْإِمَامِ إِذَا تَكَلَّمَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْآخَرَى» (٢٠٥)، «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَلِأَوَّلٍ، وَمَثَلُ الْمُهْجَرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَّهُ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَبْشًا، ثُمَّ دَجَاجَةً، ثُمَّ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَّأُوا صُحُفَهُمْ، وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ» (٢٠٦)، فَهَنِيئًا لِلْمُبَكِّرِينَ، الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ، وَلِآخِرَتِهِمْ عَامِلُونَ، وَهُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ.

عِبَادَ اللَّهِ:

فَرَّطَ قَوْمٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ فِيهِ مُتْكَاسِلُونَ، فَيُخْشَى عَلَى مَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ» (٢٠٧)، مِنْهُمْ مَنْ يَجْوَارِ الْمَسَاجِدَ بُيُوتَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْهَا بِقُلُوبِهِمْ، قَوْمٌ غَافِلُونَ مَتَهَاوِنُونَ كَأَنَّهُ لَمْ يَطْرُقْ أَذَانُهُمُ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ، فَلَمْ يَعْرِفُوا لِهَذَا الْيَوْمِ حَقَّهُ، وَلَمْ يَكْتَرِثُوا بِفَضْلِهِ، لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا أَنَّهُ يَوْمٌ فَرَاغَ وَزَهَّةٌ وَلَهُوَ، فَيُخْشَى عَلَى مَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ أَنْ يَطْبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ فَتَعَمَّى بِصِيرَتُهُ فَقَالَ ﷺ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ» (٢٠٨)، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

عِبَادَ اللَّهِ: وَمِمَّا يُسْتَحَبُّ فِي هَذَا الْيَوْمِ قِرَاءَةُ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَالْاجْتِهَادُ فِي الدُّعَاءِ فَإِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ.

وَمِمَّا يُسْتَحَبُّ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْإِكْتَارُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيَبْدَأُ وَقْتُ أَفْضَلِيَّةِ الْإِكْتَارِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِغُرُوبِ شَمْسِ يَوْمِ الْخَمِيسِ، وَيَمْتَدُّ إِلَى غُرُوبِ شَمْسِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ؛ وَفِيهَا مِنَ الْقَوَائِدِ أَنَّهَا تُرَبِّي فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ تَعْظِيمَ شَعَائِرِ اللَّهِ، وَفِيهَا تَرْبِيَةٌ لِلْقَلْبِ عَلَى تَعْظِيمِ مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَإِنَّ الْمُكْتَبِرَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَذِكْرِ اسْمِهِ يَتَأَثَّرُ قَلْبُهُ بِهَذَا الْإِسْمِ، فَتَرْدَادُ مَحَبَّتِهِ وَإِجْلَالُهُ، وَالْحِرْصُ عَلَى اقْتِنَاءِ سُنَّتِهِ وَاتِّبَاعِ هَدْيِهِ،

٢٠٥ () أخرجه البخاري في صحيحه، (١/ ٣٠١).

٢٠٦ () أخرجه البخاري في صحيحه، (١/ ٣١٤).

٢٠٧ () أخرجه مسلم في صحيحه، (١/ ٣٢٥).

٢٠٨ () أخرجه مسلم في صحيحه، (٢/ ٥٩١).

وَمِنْ فَوَائِدِهَا أَنَّهَا سَبَبٌ لِلْكَثَارِ مِنْ صَلَاةِ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَهَذَا فَضْلٌ كَبِيرٌ؛ فَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا.

التَّبَكُّيرُ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ... دَلِيلُ التَّعْظِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اصْطَفَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ يَوْمًا فَضَّلَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَيَّامِ، تَجْتَمِعُ فِيهِ الْقُلُوبُ، وَتُظْهَرُ فِيهِ حَقِيقَةُ أَخَوَةِ الْإِسْلَامِ، يَوْمًا عَظَّمَ اللَّهُ قَدْرَهُ، وَرَفَعَ ذِكْرَهُ، وَجَعَلَ تَعْظِيمَهُ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهِ سَبَبًا لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَعَلِمُوا أَنَّ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ تَعْظِيمَ شُعَائِرِ اللَّهِ، وَمِنْ أَعْظَمِ شُعَائِرِ اللَّهِ "يَوْمُ الْجُمُعَةِ"؛ {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: ٣٢]، وَبَقْدَرٍ مَا يَكُونُ فِي الْقَلْبِ مِنَ الْإِيمَانِ، تَكُونُ الِاسْتِجَابَةُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٢٤].

إِنَّ الْمُبَادَرَةَ وَالتَّبَكُّيرَ إِلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ -يَا عِبَادَ اللَّهِ- عِلَامَةٌ مُحِبَّةٌ لِلَّهِ؛ فَإِنَّمَا يُسَارِعُ الْعَبْدُ إِلَى مَا يُحِبُّ، {وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى} [طه: ٨٤]، فَالْمَسَارَعَةُ إِلَى أَوَامِرِ اللَّهِ دَلِيلُ مُحِبَّتِهِ وَصَدَقِ الْإِيمَانِ، وَحِينَ تَكُونُ النَّفْسُ مُتَطَلِّعَةً لِرِضَا رَبِّهَا، تُسَابِقُ فِي كُلِّ طَرِيقٍ يُوصلُهَا لِمَرْضَاتِهِ.

عباد الله:

عَرَفَ قَدْرَ هَذَا الْيَوْمِ عِبَادٌ مُوَفَّقُونَ، يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ، فَقَامُوا بِحَقِّ هَذَا الْيَوْمِ إِجْلَالًا وَتَعْظِيمًا، فَاجْتَنَمَوْهُ بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ؛ بَادَرُوا فِيهِ بِالْصَّدَقَةِ، وَبَكَّرُوا لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَعَمَرُوهُ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ، وَالْإِكْتِثَارِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَاجْتِنَامِ آخِرِ سَاعَةٍ مِنْهُ يُسْتَجَابُ فِيهَا الدُّعَاءُ؛ {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ} [الصفافات: ٦١] {خَتَمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين: ٢٦].

فَانْظُرُوا -عِبَادَ اللَّهِ- إِلَى مَنْ اجْتَنَمُوا فِيهِ أَوْقَاتَهُمْ بِالتَّجَارَةِ الرَّابِحَةِ، وَتَأَمَّلُوا فِي تَفَاضُلِ الْأَجُورِ بِاخْتِلَافِ أَوْقَاتِ التَّبَكُّيرِ وَالْمُبَادَرَةِ؛ انْظُرُوا إِلَى مَنْ قَرَّبَ "بَدَنَةً" فِي السَّاعَةِ الْأُولَى، وَقَارِنُوهُ بِمَنْ قَرَّبَ "بَيْضَةً" فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ! فَكَيْفَ لَا يَرْضَى الْمَرْءُ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ بِالْقَلِيلِ مَعَ إِمْكَانِ الْكَثِيرِ، ثُمَّ يَرْضَى فِي أُمُورِ آخِرَتِهِ بِالْقَلِيلِ؟!

إِنَّ التَّأَخَّرَ عَنِ الْحُضُورِ إِلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَالتَّكَاسُلَ عَنِ التَّبَكُّيرِ إِلَيْهَا، وَالتَّثَاقُلَ وَالانْشِغَالَ عَنْهَا بِغَيْرِهَا؛ كُلُّ ذَلِكَ عِلَامَةٌ عَلَى ضَعْفِ تَعْظِيمِ اللَّهِ فِي الْقُلُوبِ بِقَدَرٍ مَا يَقَعُ فِيهِ الْمَرْءُ مِنَ التَّفْرِيطِ؛ فَإِنَّ مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ تَعْظِيمَ شُعَائِرِهِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الجمعة: ٩].

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

عباد الله:

لقد تشاغل كثير من الناس عن التبكير إلى صلاة الجمعة، وفوتوا على أنفسهم ساعات من الفضائل، وقد لا يحضر بعضهم إلا بعد دخول الإمام وقد "طوت الملائكة صُحفها".

عبد الله... كم من جمعة طوت فيها الملائكة الصُحف ولم يكتب اسمك في ديوان المبكرين؟ أما يخشى المتكاسل والمتثاقل أن يكون ذلك علامة خذلان وحرمان، أو أن يكون ممن استحوذ عليهم الشيطان؟

وليحذر المرء إذا رأى نفسه متكاسلاً عن القيام للطاعة أن يكون ممن ذمهم الله في هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]، وليجاهد المرء نفسه {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [العنكبوت: ٦]، {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: ٦٩].

ولنجتنب -عباد الله- كل سبب يعوقنا عن التبكير إليها، ومن أشدها: "السهر ليلة الجمعة"، ولنُعظّم هذا اليوم في قلوبنا وقلوب أبنائنا وأهلينا، ونُدّكرهم بفضائله، ونتنافس فيه على البر والخير، ونحذر أن نكون ممن لا يعرف للجمعة قدراً ولا يرى لها فضلاً: {وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [الزخرف: ٣٦].

اللهم اغننا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك، واجعلنا يا ربنا ممن يسارعون في الخيرات، ويغتيمون أوقاتهم بالطاعات الصالحات.

شعبان... شهر التهئة ورفع الأعمال

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُزِيلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، أَتَمَّ عَلَى عِبَادِهِ نِعْمَتَهُ، سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ، وَجَعَلَ شَهْرَ شَعْبَانَ مُبَشِّرًا بِقُدُومِ رَمَضَانَ وَبَرَكَتِهِ؛ لِتَنْهَيَا النُّفُوسَ وَتَرْكُوبِ الْقُلُوبِ؛ شَوْقًا لِمَقْدِمِهِ، فَتُقْبَلَ عَلَى رَبِّهَا رَجَاءَ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ حَقَّ التَّقْوَى، فَهِيَ خَيْرُ الرِّادِ ذُخْرًا.

عِبَادَ اللَّهِ:

شَهْرٌ يَغْفُلُ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، تَهَبُّ فِيهِ نَسَائِمُ الْإِيمَانِ، وَكَانَ أَحَبَّ الشُّهُورِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُكْتَرَفَ فِيهِ الصَّيَامُ: شَهْرُ شَعْبَانَ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَهْرٍ مِنَ السَّنَةِ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا». (٢٠٩)

وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى فَضْلِ الصَّيَامِ فِيهِ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ، أَفَلَا نُحِبُّ مَا أَحَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ وَنَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ فِيهِ بِأَفْضَلِ الْأَعْمَالِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

شَعْبَانُ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَبِأَيِّ حَالٍ نُحِبُّ أَنْ يَرَانَا اللَّهُ عَلَيْهِ حِينَ تُرْفَعُ أَعْمَالُنَا؟

وَفِي رَفْعِ الْأَعْمَالِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي هَذَا الشَّهْرِ رِسَالَةٌ لِلْعِبَادِ؛ بِتَنْقِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِلِّ وَالشُّحْنَاءِ وَالْأَحْقَادِ، لِتَصْفُو الْقُلُوبَ فَتَذُوقَ لَذَّةَ الْعِبَادَةِ وَحَلَاوَةَ الْإِيمَانِ. وَكَيْفَ يَجِدُ الْمَرْءُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَقَلْبُهُ مَمْلُوءٌ بِالشُّحْنَاءِ وَالْأَضْغَانِ؟

وَلِذَا لِكَ كَانَتْ الشُّحْنَاءُ مِنْ مَوَانِعِ رَفْعِ الْأَعْمَالِ، فَيَتَنَبَّي لِلْعَبْدِ أَنْ يُصْلِحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ وَقَعَتْ مَعَهُمْ خُصُومَةٌ أَوْ هَجْرٌ أَوْ قَطِيعَةٌ؛ لِيُزَفَعَ أَعْمَالُهُ، وَيُقْبَلَ عَلَى رَبِّهِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِنَ التَّهْنِئَةِ لِهَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ: مُرَاجَعَةُ أَحْكَامِ الصَّيَامِ، وَتَذَكُّرُ آدَابِهِ وَسُنَنِهِ وَفَضَائِلِهِ؛ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ تُحَفِّزُ النَّفْسَ إِلَى تَحْصِيلِهِ، وَتُعِينُهَا عَلَى عَدَمِ إِضَاعَةِ شَيْءٍ

منه، فَشَهْرُ شَعْبَانَ تَمْهِيدٌ وَتَدْرِيْبٌ وَتَأْهُبٌ لِّتَلْقَى شَهْرَ رَمَضَانَ، لِتَرْتَاضَ النَّفْسُ عَلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ شَهْرَ شَعْبَانَ إِظْلَالَةٌ وَتَمْهِيدٌ لِلْمَوْسِمِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ صَيْفٌ كَرِيمٌ، وَجَدِيدٌ بِالْصَّيْفِ أَنْ يُسْتَعَدَّ لَهُ بِالْضَّيَاقَةِ قَبْلَ نُزُولِهِ، وَأَنْ تُرَوِّضَ النَّفْسُ عَلَى الطَّاعَةِ قَبْلَ حُلُولِهِ. فَاحْرُصْ عَلَى انْتِهَاءِ مَسَافِلِكَ فِي شَعْبَانَ؛ لِتَتَسَّيَّ لَكَ التَّفَرُّغُ فِيهِ، فَإِنَّ التَّخْلُصَ مِنْهَا الْآنَ أَحْفَظُ لَوْفَتِكَ، وَأَجْمَعُ لِسَعَتِ قَلْبِكَ.

وَمِمَّا يَجِبُ التَّنْبِيْهُ عَلَيْهِ: أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ أَيَّامٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَلَا يَجُوزُ لَهُ تَأْخِيرُهَا إِلَى دُخُولِ رَمَضَانَ الَّذِي يَلِيهِ مِنْ غَيْرِ عُدْرِ شَرْعِيٍّ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ الْمُبَادَرَةُ بِالْقَضَاءِ. كَمَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يُذَكِّرَ أَهْلَ بَيْتِهِ، وَلَا سَيِّمَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ التَّسْوِيفَ فِي الْقَضَاءِ تَفْرِيطٌ، وَيَأْتِي مَنْ آخَرَ الْقَضَاءِ مِنْ غَيْرِ عُدْرِ شَرْعِيٍّ.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِيعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ. النِّعَمُ . يَا عِبَادَ اللَّهِ . إِذَا أُلْفَتْ نُسَيْبَتٌ، وَقَدْ أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً {وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [النحل: ١٨].

وَتَذَكُّرُ النِّعَمِ . يَا عِبَادَ اللَّهِ . بَاعِثْ عَلَى شُكْرِهَا، وَمَعَ اسْتِدَادِ الْبَرْدِ وَلَفْحِ الشِّتَاءِ يَأْوِي الْمَرْءُ إِلَى بَيْتٍ يُؤْوِيهِ آمِنًا مُطْمَئِنًّا، لَا خَوْفَ يَغْتَرِيهِ، يَجِدُ فِيهِ طَعَامًا يُشْبِعُهُ، وَفِرَاشًا وَلِبَاسًا يُدْفِئُهُ؛ أَفَلَا نَتَذَكَّرُ نِعَمَ اللَّهِ، فَتَقُومُ بِوَاجِبِ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ وَالنَّتَاءِ عَلَى الْمُنْعِمِ جَلَّ جَلَالُهُ، بِالْقَلْبِ اعْتِرَافًا، وَبِاللِّسَانِ ثَنَاءً، وَبِالْجَوَارِحِ طَاعَةً وَامْتِنَانًا وَأَنْقِيَادًا؟

كَمْ مِنْ نَائِمٍ فِي نِعْمَةٍ غَافِلٍ عَنْ شُكْرِ الْمُنْعِمِ، وَمِنْ شُكْرِ الْمُنْعِمِ الْقِيَامَ بِحَقِّهَا، ثُمَّ تَذَكَّرُوا . عِبَادَ اللَّهِ . إِخْوَانًا لَكُمْ شَرُّدُوا فِي الْعَرَاءِ، يَعِيشُونَ فِي صَقِيعِ الشِّتَاءِ تَحْتَ خِيَامٍ لَا تَكْنُهُمْ، وَعَلَى فُرْشٍ لَا تُدْفِئُهُمْ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ لَهُمُ الْمَعُونَةَ، وَاجْتَهِدُوا لَهُمْ فِي الدُّعَاءِ، وَوَأَسُوهُمْ وَأَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ، « فَالرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَّن فِي السَّمَاءِ » . (٢١٠)

رمضان... بشارة المتقين وزاد الصادقين

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَى عِبَادِهِ بِمَوَاسِمِ الْخَيْرَاتِ، وَجَعَلَهَا غَنِيمَةً لَهُمْ تُغْفَرُ فِيهَا الذُّنُوبُ وَتُكَفَّرُ فِيهَا السَّيِّئَاتُ وَتُزْفَعُ فِيهَا الدَّرَجَاتُ، وَاخْتَصَّ بِفَضْلِهِ عِبَادًا وَقَفَّهْمُ فَجَعَلَهُمْ بِإِذْنِهِ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا أَمَّا بَعْدُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ { [سورة التوبة: ١١٩].

عِبَادَ اللَّهِ: مَا هِيَ إِلَّا بِضْعَةُ أَيَّامٍ وَيَحُلُّ عَلَيْنَا شَهْرُ رَمَضَانَ؛ شَهْرُ الصَّيَامِ وَالْقِيَامِ وَالْقُرْآنِ، شَهْرُ الْبِرِّ وَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ، شَهْرُ الْعِتْقِ وَالْغُفْرَانِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَوْسِمًا لِلزُّرُودِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ، وَمَمِيزَةً لِلتَّنَافُسِ فِي الْخَيْرَاتِ، شَهْرٌ يَسْتَقْبِلُهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَالْإِعْتِبَاطِ، وَيَسْتَشْعِرُونَ عَظَمَةَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِإِذْرَاكِ هَذَا الشَّهْرِ، وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يُبَارِكَ لَهُمْ فِيهِ، وَيُسَلِّمَهُ لَهُمْ وَيَتَسَلَّمَهُ مِنْهُمْ مُتَقَبِّلًا.

عِبَادَ اللَّهِ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِقُدُومِ رَمَضَانَ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ مُبَارَكٍ، فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُعَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُعَلُّ فِيهِ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرُهَا فَقَدْ حُرِمَ». (٢١١)

وَمِنْ خَيْرٍ مَا يُسْتَقْبَلُ بِهِ شَهْرُ رَمَضَانَ يَا عِبَادَ اللَّهِ: تَجْدِيدُ التَّوْبَةِ وَالْإِكْتِنَارُ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ؛ لِأَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ مَا قَدْ يَحْرُمُ الْعَبْدَ التَّوْفِيقَ وَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ وَرَبِّهِ، فَإِنَّ شَوْمَ الذُّنُوبِ يُورِثُ الْحِرْمَانَ وَيَكُونُ سَبَبًا فِي الْخِذْلَانِ، وَالْإِصْرَارُ عَلَيْهَا يَحْرُمُ الْعَبْدَ ذَوْقَ حَلَاوَةِ الْمُنَاجَاةِ وَلَذَّةِ الْعِبَادَةِ، فَالِاشْتِغَالُ بِتَطْهِيرِ الْقُلُوبِ وَتَنْقِيَّتِهَا وَسَلَامَتِهَا أَمْرٌ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّ طَهَارَتَهَا هِيَ الطَّرِيقُ إِلَى الْعِفَّةِ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْمَآثِمِ، وَبِهَا تُشْرِقُ أَنْوَارُ الْقُلُوبِ.

وَمِمَّا يُسْتَقْبَلُ بِهِ هَذَا الشَّهْرُ الْكَرِيمُ: اللَّجُؤُ إِلَى اللَّهِ وَالِافْتِقَارُ إِلَيْهِ وَصِدْقُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالتَّبَرُّؤُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَسُؤَالُ اللَّهِ الْعَوْنُ وَالتَّوْفِيقَ، وَمِنْ الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: «رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ» (٢١٢)، وملازمة هذا الدعاء مع تدبر معناه: «اللهم أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». (٢١٣)

٢١١ () أخرجه النسائي في سننه، (٩٦/٣): (٢٤٢٧).

٢١٢ () أخرجه أبو داود في سننه (٨٣/٢): (١٥١٠).

٢١٣ () أخرجه أبو داود في سننه (٨٦/٢): (١٥٢٢).

عِبَادَ اللَّهِ: وَمَنْ أَرَادَ التَّوْفِيقَ فَلْيَصْدُقِ اللَّهَ؛ فَإِنَّ الصَّادِقَ مَعَ رَبِّهِ تَعَالَى يَبْلُغُ بِصِدْقِ نِيَّتِهِ مَا يَبْلُغُ الْعَامِلُ إِنْ تَعَدَّرَ عَلَيْهِ الْفَيْتَامُ بِالْعَمَلِ، فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ شَيْءٌ أَنْفَعَ مِنْ صِدْقِهِ رَبَّهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ مَعَ صِدْقِ الْعَزِيمَةِ: { فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ } [محمد: ٢١]. وَمَنْ صَدَقَ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ صَنَعَ اللَّهُ لَهُ فَوْقَ مَا يَصْنَعُ لِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقَ النَّاسِ مَنْ صَحَّ إِخْلَاصُهُ وَتَوَكُّلُهُ، وَمَتَى مَا صَدَقَ إِقْبَالُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ وَجَدَ الْمَرْءُ طَعْمَ الْعِبَادَةِ وَحَلَاوَتَهَا، فَتَكُونُ فُرَّةً عَيْنِهِ وَبَهْجَةً قَلْبِهِ وَنَعِيمَ رُوحِهِ؛ فَالْصَّدْقُ مَعَ اللَّهِ مِغْيَارُ الْأَعْمَالِ وَمِفْتَاحُ بَرَكَاتِهَا وَبِهِ تُرْجَى ثَمَرَاتُهَا.

فَانُوا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْجَدَّ وَالْاجْتِهَادَ وَمُضَاعَفَةَ الْعِبَادَاتِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَاتَّقِنُوا أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَى نِيَّتِكُمْ، عَلِيمٌ بِسِرِّيَّتِكُمْ، فَمَتَى مَا رَأَى مِنْكَ الصَّدْقَ سَدَّدَكَ وَأَعَانَكَ. وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ رَمَضَانَ مِنْ أَنْفُسِ لَحَظَاتِ الْعُمْرِ، وَمِمَّا يَجْعَلُ الْمُؤْمِنَ لَا يُفَرِّطُ فِي لَحْظَةٍ مِنْهُ أَنْ يَتَذَكَّرَ وَصَفَ اللَّهُ لَهُ بِأَنَّهُ { أَيَّامًا مَعْدُودَاتٌ } . وَهِيَ رِسَالَةٌ فُرَانِيَّةٌ تُذَكِّرُ الْمُؤْمِنَ بِأَنْ يَجْتَهِدَ فِيهَا بِأَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ وَأَجَلِ الطَّاعَاتِ، وَأَنْ يَكُونَ شِعَارُهُ فِيهَا { فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ } .

{ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٌ } تُتَبَّهُ الْمُؤْمِنُ بِأَنْ لَا يَتَرَامَنَ فُتُورُهُ فِي أَوْقَاتِ الْعَنَائِمِ وَمَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ الَّتِي تَنْتَزِلُ فِيهَا الرَّحِمَاتُ وَالنَّفَحَاتُ؛ فَإِنَّ الْعَنَائِمَ مَعَ أَهْلِ الْعَزَائِمِ. { أَيَّامًا مَعْدُودَاتٌ } تُشْعِرُ بِسُرْعَةِ انْقِضَائِهَا وَفُزْبِ رَحِيلِهَا، فَلْيُحْسِنِ الْعَبْدُ اسْتِقْبَالَهَا وَبِجَدِّ بَهْمَةٍ وَعَزِيمَةٍ فِي اسْتِنْمَارِهَا؛ فَإِنَّ الْفُرْصَةَ إِذَا مَضَتْ لَا تَعُودُ. فَسَلِّ رَبَّكَ أَهْيَا الْمُؤْمِنُ وَادْعُهُ بِتَقِينٍ أَنْ يُعِينَكَ فِيهَا عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ، وَتُوفِّقَكَ فِيهَا إِلَى طَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ: **عِبَادَ اللَّهِ:** وَمِنْ حِكْمِ الصَّوْمِ وَمَقَاصِدِهِ الْعُظْمَى: تَحْقِيقُ التَّقْوَى، فَالصَّيَامُ مَدْرَسَةٌ يَتَرَبَّى فِيهَا الْمُسْلِمُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَتَصُومُ جَمِيعُ جَوَارِحِهِ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، فَتُجْمَعُ بَيْنَ صَوْمِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ. وَلِذَا فَإِنَّ مِمَّا يَجِبُ حِفْظُهُ: حِمَايَةُ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ مِنَ الْحَرَامِ، فَإِنَّ عَرَضَ الْحَرَامِ عَلَى الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ يَكْثُرُ فِي رَمَضَانَ، فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنْ ذَهَابِ أَجْرِ الصَّيَامِ وَالْفَيْتَامِ

بِمَعَاصِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ. قَالَ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ». (٢١٤)

اللهم بلغنا شهر رمضان في أحسن حال، ووفقنا فيه لقيامه وصيامه إيماناً واحتساباً.

شَهْرُ رَمَضَانَ... مَوْسِمُ الرَّحْمَةِ وَالْغُفْرَانِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ أَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَمَنْ عَلَيْنَا بِمَوَاسِمٍ؛ لِيَكُونَ لِمَنْ اغْتَنَمَهَا زَادًا فِي الدُّنْيَا، وَذُخْرًا لَهُ فِي الْآخِرَةِ؛ حَتَّى إِذَا قَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ يُقَالَ لَهُمْ: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة: ٢٤]، فَلَهُ فِي أَيَّامِ الدَّهْرِ نَفَحَاتٌ تَنْزِلُ فِيهَا عَلَى عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، الَّذِينَ يَسْتَبِقُونَ فِيهَا الْخَيْرَاتِ وَالْعَطَايَا وَالْهَبَاتِ، فَتُغْفَرُ لَهُمْ فِيهَا الذُّنُوبُ، وَتَرْفَعُ لَهُمْ فِيهَا الدَّرَجَاتُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ أَنَّهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ {يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون: ٦٠].

عِبَادَ اللَّهِ:

ذَا بُعِيْدَ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ، وَسَمِعَهُ أَوْلِيَائِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَعَلَامَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ مَحَبَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَبِهَا يُعْرَفُ مَقَامُ الْمَرْءِ فِي تَعْظِيمِ شَعَائِرِ الدِّينِ، وَبِهَا تُسْتَقْبَلُ نَفَحَاتُ أَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ: إِنَّهَا عِبَادَةُ الْفَرَحِ وَالِاسْتِبْشَارِ بِشَهْرِ مُبَارَكٍ، شَهْرُ الْعِبَادَةِ الَّتِي اخْتَصَّهَا اللَّهُ بِنَفْسِهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ، قَالَ ﷺ: ((الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)) (٢١٥)، {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: ٥٨].

وَأَعْظَمُ الْفَرَحِ مَا كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَبِهِ سُبْحَانُهُ، وَبِكِتَابِهِ وَدِينِهِ، وَذِكْرِهِ وَفَرَائِضِهِ، وَمَوَاسِمِهِ وَشَعَائِرِ دِينِهِ؛ فَأَكْثَرُ النَّاسِ يَفْرَحُونَ بِمَا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدُّنْيَا، وَلَا يَفْرَحُونَ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْآخِرَةِ، { وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ } [الرعد: ٢٦].

عِبَادَ اللَّهِ:

كَيْفَ لَا يَفْرَحُ الْعَبْدُ بِقُدُومِ شَهْرِ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَانِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّارِ، وَلِلَّهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهُ عَتَقَاءُ مِنَ النَّارِ؟ (٢١٦)

كَيْفَ لَا يَفْرَحُ الْعَبْدُ بِقُدُومِهِ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ؟
كَيْفَ لَا يَفْرَحُ الْعَبْدُ بِقُدُومِ شَهْرِ مَنْ صَامَهُ إِيْمَانًا وَاخْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَهُ إِيْمَانًا وَاخْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ؟ (٢١٧)

(٢١٥) أخرجه البخاري في صحيحه، (٧٠٥٤).

(٢١٦) أخرجه الترمذي في سننه، (٦٨٢)، وصححه الألباني.

(٢١٧) أخرجه البخاري في صحيحه، (١٨٠٢).

عِبَادَ اللَّهِ:

وَلِهَذَا فَرِحَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَمَضَانَ، وَكَانَ يُبَشِّرُ بِهِ أَصْحَابَهُ؛ فَهُوَ فَرَحٌ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَعَفْوِهِ، وَمَغْفِرَتِهِ، وَفَضْلِهِ، وَإِحْسَانِهِ بِعِبَادِهِ.
 إِنَّ فَرَحَ الْمُؤْمِنِ بِرَمَضَانَ ذَلِيلٌ عَلَى تَعْظِيمِهِ لَهُ، وَمَحَبَّتِهِ إِيَّاهُ، وَإِثَارِهِ لَهُ عَلَى غَيْرِهِ؛ فَإِنَّ فَرَحَ الْعَبْدِ بِالشَّيْءِ عِنْدَ حُصُولِهِ لَهُ عَلَى قَدَرِ مَحَبَّتِهِ لَهُ وَرَغْبَتِهِ فِيهِ، فَمَنْ لَيْسَ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الشَّيْءِ لَا يَفْرَحُهُ حُصُولُهُ، وَلَا يَحْزَنُهُ فَوَاتُهُ، فَالْفَرَحُ تَابِعٌ لِلْمَحَبَّةِ وَالرَّغْبَةِ، وَيَلْزَمُ مِنْهُ التَّهَيُّؤُ وَحُسْنُ الاسْتِعْدَادِ، وَالضَّيْفُ إِذَا أَقْبَلَ فَحَقُّهُ أَنْ تُكْرِمَ وَفَادَتُهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

مَنْ أَشَدَّ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَنْ نُهَيِّئَ الْقُلُوبَ لِاسْتِقْبَالِ رَمَضَانَ؛ لِأَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ يُقْطَعُ بِالْقُلُوبِ، وَعَلَى قَدَرِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ يَكُونُ السَّيْرُ وَالْعَزْمُ؛ لِأَنَّ أَيَّ حَرَكَةٍ لِلْعَبْدِ إِنَّمَا هِيَ أَثَرٌ لِمَا فِي الْقَلْبِ، فَصَلَاحُ الْقَلْبِ سَبَبٌ لِصَلَاحِ الْعَمَلِ، وَالْقَلْبُ مَحَلُّ نَظَرِ الرَّبِّ.
 اللَّهُمَّ بَلِّغْنَا رَمَضَانَ فِي أَحْسَنِ حَالٍ، وَوَقَّفْنَا لِقِيَامِهِ وَصِيَامِهِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَجِدَ لَذَّةَ الْمُنَاجَاةِ فِي ذِكْرِهِ، وَصَلَاتِهِ، وَتِلَاوَتِهِ، وَدُعَائِهِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُهَيِّئَ قَلْبَهُ، وَيُزِيلَ حُجُبَ الذُّنُوبِ عَنْهُ بِالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ؛ فَالذُّنُوبُ حِجَابٌ عَنِ الْمَحْبُوبِ، وَالانْصِرَافُ عَمَّا يُبْعَدُ عَنِ الْمَحْبُوبِ وَاجِبٌ.
 فَأَحْرِصْ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْكَ رَمَضَانُ إِلَّا وَأَنْتَ نَقِيٌّ؛ فَإِنَّ رَمَضَانَ عِطْرٌ، وَلَا يُعْطَرُ الثُّوبَ حَتَّى يُغْسَلَ، وَالثُّوبُ الَّذِي عَلِقَتْ بِهِ الْأَوْسَاحُ أَخْوَجُ إِلَى الصَّابُونِ مِنْهُ إِلَى الْبُخُورِ.
 نُفُوسُكُمْ مَطَايَاكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، فَأَصْلِحُوا مَطَايَاكُمْ تُوصِلَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ.
 هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا. رَحِمَكُمُ اللَّهُ. عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [الأحزاب: ٥٦].

اسْتِقْبَالُ رَمَضَانَ... فَفَهْوَ وَاسْتِعْدَادُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ، يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ، هَيَّا لِعِبَادِهِ مِنْ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالثَّوَابِ مَا يُوقِي فِيهِ الْمُتَّقُونَ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ؛ { أَمَنْ هُوَ قَنْتِ عَائَةُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ } [سورة الزمر]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الصَّبْرَ قَرِينُ التَّقْوَى، { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } [يوسف: ٩٠].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

مِنْ أَعْظَمِ مَوَاسِمِ الْمُؤْمِنِ، وَأَعْلَاهَا، وَأَنْفُسِهَا، وَأَشْرَفَهَا، وَأَزْكَاهَا، جَعَلَهُ اللَّهُ مِصْمَارًا لِعِبَادِهِ؛ يَسْتَقْبِلُونَ فِيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ، فِيهِ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ وَالنَّفَحَاتِ مَا لَا يُحْصِيهَا إِلَّا مُعْطِيهَا سُبْحَانَهُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا أَنْتَ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

حَرِيٌّ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يُعَظَّمَ رَمَضَانُ، وَيَسْتَقْبَلَهُ بِقَلْبٍ مُقْبِلٍ عَلَى الطَّاعَةِ؛ فَهُوَ شَهْرُ التَّقْوَى وَالرَّحْمَةِ وَالْقُرْآنِ. أَوْقَاتُهُ نَفِيسَةٌ لَا تُقَدَّرُ بِثَمَنٍ؛ فَالسَّعِيدُ مَنْ اغْتَنَمَهَا، وَبِالْقُرْبَاتِ وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ عَمَرَهَا، { فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ } [القصص: ٦٧]، فَاعْمُرُوا. عِبَادَ اللَّهِ. بِالصَّالِحَاتِ شَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَبِّكُمْ؛ فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَلْيَحْرِصِ الْمُؤْمِنُ عَلَى اسْتِحْضَارِ النَّيَّةِ الصَّالِحَةِ، وَالْعَزِيمَةِ الصَّادِقَةِ؛ لِيُذَرِكَ بِذَلِكَ الْمَغْفِرَةَ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) (٢١٨)؛ أَي: إِيمَانًا بِاللَّهِ، وَاخْلَاصًا لَهُ، وَمَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا، وَتَصَدِيقًا بِخَبَرِهِ وَبِالْأَمْرِ بِهِ، وَعِلْمًا بِوُجُوبِهِ وَحُكْمِهِ، وَاعْتِقَادًا فَرَضِيَّتِهِ، وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِ اللَّهِ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ، وَاحْتِسَابًا بِأَنْ يَطْلُبَ الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ، طَائِبَةً بِذَلِكَ نَفْسُهُ، غَيْرَ مُسْتَقْبِلٍ لِصِيَامِهِ، وَلَا مُسْتَطِيلٍ لِأَيَّامِهِ.

وَلْتَعْلَمَ . عِبَادَ اللَّهِ . أَنَّ الْغَايَةَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا شَرَعَ اللَّهُ الصَّيَامَ هِيَ: تَحْقِيقُ التَّقْوَى؛ فَبِالتَّقْوَى بَدَأَتْ آيَاتُ الصَّيَامِ {يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ٢١] ، وبها ختمت {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٧]. اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ: وَمِمَّا يَجِبُ أَنْ يَحْذَرَ مِنْهُ الْمُؤْمِنُ: لُصُوصَ رَمَضَانَ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، الَّذِينَ يَسْرِقُونَ أَنْفُسَ الْأَوْقَاتِ، بِمَا يَبْتُونُهُ فِي وَسَائِلِ إِعْلَامِهِمْ عَنِ الْفَضَائِلِ مِنْ مُسَلْسَلَاتٍ وَتَمَثِيلِيَّاتٍ؛ يُسْتَهْزَأُ فِيهَا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَدِينِهِ وَشَرْعِهِ، وَشَعَائِرِهِ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، وَبِمَا يَغْرِضُونَهُ فِيهَا مِنْ فِتَنِ وَمُغْرِبَاتٍ، وَشُبُهَاتٍ وَشَهَوَاتٍ وَمَحَرَّمَاتٍ؛ يُشِيعُونَ فِيهَا الْفَاحِشَةَ، وَيَسُوقُونَ لِلرَّذِيلَةِ.

فَاخْذَرُوهُمْ . عِبَادَ اللَّهِ . وَفِرُّوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ قُطَاعِ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ، { وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا أُمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } [البقرة: ٢٢١]؛ { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا } [سورة الأنعام: ١١٢]، { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَنَّاهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا } [النساء].

فَالْخَاسِرُ مَنْ اسْتَجَابَ لِعِوَايَتِهِمْ، وَأَرْخَصَ وَقْتَهُ، وَأَفْسَدَ قَلْبَهُ وَدِينَهُ بِدَنَسِهِمْ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ تَحْقِيقِ الْغَايَةِ الْمُرَادَةِ مِنَ الصَّيَامِ، وَهِيَ: تَقْوَى اللَّهِ. وَالرَّابِحُ مَنْ أَعْلَقَ مَنَافِدَهُمْ، وَحَفِظَ سَمْعَهُ، وَبَصَرَهُ، وَقَلْبَهُ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ إِيْمِهِمْ وَرِجْسِهِمْ، { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا } [النساء: ٢٧]. فَاخْذَرُوا كَيْدَ الشَّيَاطِينِ، وَاعْتَمُوا نَفَحَاتِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ((رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ)) (٢١٩). اللَّهُمَّ بَلِّغْنَا رَمَضَانَ، وَوَقَّفْنَا لَصِيَامِهِ وَقِيَامِهِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا.

انْتِصَفَ رَمَضَانَ، وَعَظِيمُ أَجْرِ الْمُتَّقِينَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ جَعَلَ رَحْمَتَهُ قَرِيبًا مِنْ عِبَادِهِ الْمُحْسِنِينَ، وَيَجْزِي بِفَضْلِهِ الْمُتَصَدِّقِينَ، وَيُخْلِفُ النَّفَقَةَ عَلَى الْمُتَّقِينَ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

{ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [سورة التغابن].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

اغْتَنِمُوا لَيَالِي وَأَيَّامًا ثَمَرًا مَرَّ السَّحَابِ، وَضَاعِفُوا فِيهَا الْعَمَلَ الصَّالِحَ؛ لِنَتَّالُوا عَظِيمَ الْأَجْرِ مِنَ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ {ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} [آل عمران: ١٩٥]، و{لِلمثل هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ} [الصافات]، {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين: ٢٦].

عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ مَضَى مِنْ رَمَضَانَ صَدْرُهُ، وَانْقَضَى مِنْهُ شَطْرُهُ، وَاكْتَمَلَ فِيهِ بَدْرُهُ، فَاعْتَنِمُوا أَوْقَاتَهُ، وَاعْمُرُوا سَاعَاتِهِ بِالْقُرْبَاتِ وَالْمُنْجِيَاتِ وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، وَاسْتَبِقُوا فِيهِ الْخَيْرَاتِ، فَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ، فَالسَّعِيدُ مَنْ وَفَّقَ لِإِغْتِنَامِهَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُقَرِّبُهُ لِمَوْلَاهُ وَلِسَانُ خَالِهِ {وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} [النمل: ١٩]، وَاحْذَرُوا التَّسْوِيفَ فَإِنَّهُ أَكْبَرُ جُنُودِ إِبْلِيسَ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُشْغَلَكُمْ الصَّوَارِفُ وَالْمُلْهِيَّاتُ عَنْ إِغْتِنَامِ أَوْقَاتِهِ بِمَا يُقَرِّبُكُمْ إِلَى مَرْضَاتِهِ.

وَإِذَا افْتَقَرْتُمْ إِلَى الدَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ دُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

((يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)). (٢٢٠)

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هِيَ بُرْهَانٌ عَلَى الْإِيمَانِ، وَبَابٌ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الْإِحْسَانِ، وَبِهَا يَسْتَظِلُّ صَاحِبُهَا تَحْتَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، دَوَاءٌ لِلْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ، وَتَرْكِيبَةٌ لِلنَّفْسِ مِنْ آفَةِ الشَّحِّ وَالْأَذْرَانِ، تَجَارَةٌ رَابِحَةٌ مَعَ الرَّبِّ الْكَرِيمِ وَسَبَبٌ لِنَيْلِ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ، تَطْيِبُ بِهَا نَفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتُظَنُّ بِهَا نَفُوسُ الْمُنَافِقِينَ، تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَمْحُو أَثَرَ الذَّنْبِ

وَتَقِي صَاحِبَهَا مِنَ النَّارِ، بِمَا تَنْشُرُ الصُّدُورُ، وَتَتَيَسَّرُ الْأُمُورُ، بَرَكَتُهُ فِي الْمَالِ وَالْعُمْرِ وَالْأَهْلِ وَنَمَاءً، وَسَبَبٌ لِرُفْعٍ وَدَفْعٍ الْبَلَاءِ، صَاحِبُهَا مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ نَفْسًا، وَأَشْرَحَهُمْ صَدْرًا، وَأَنْعَمَهُمْ عَيْشًا، وَلِعَظَمَ شَأْنُهَا جَعَلَ اللَّهُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ لِأَهْلِهَا: ((وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ))، (٢٢١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة].

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ((أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ. قَالَ: ((فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ)) (٢٢٢)، ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَبَّكَلَمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ ثَمَرَةٍ)) (٢٢٣). أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

((كَانَ النَّبِيُّ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ، وَكَانَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْزِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ)) (٢٢٤)

فِي شَهْرِ الْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ تَسْتَبِيرُ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ جَدْوَةُ الْإِيمَانِ، فَتَكُونُ النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ بِالْخَيْرِ سَخِيَّةً، وَالْأَيْدِي بِالْعَطَاءِ نَدِيَّةً، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَهُ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ طَرِيقٌ إِلَى دَارِ السَّلَامِ { وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [المزمل: ٢٠].

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ.

٢٢١) أخرجه البخاري في صحيحه، (١٧٩٨).

٢٢٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٠٧٧).

٢٢٣) أخرجه مسلم في صحيحه، (١٠١٦).

٢٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه، (١٨٠٣).

اغْتِنَامُ مَوَاسِمِ الْخَيْرَاتِ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِعِبَادِهِ مَوَاسِمَ لِلْخَيْرَاتِ، وَحَثَّهُمْ فِيهَا عَلَى الْإِسْتِكثارِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ، وَوَعَدَهُمْ بِعَظِيمِ الْأَجْرِ، وَوَاسِعِ الْعَطَايَا وَالْهَبَاتِ، وَجَعَلَهَا لَهُمْ مَرْبَحًا وَمَغْنَمًا، وَبَابًا إِلَى رَحْمَتِهِ وَسَلَامًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾} [الأحزاب: ٧٠-٧١].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ الْمُتَّقِينَ، وَدَأْبُ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَدَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ الْإِيمَانِ، وَصَدَقَ الْيَقِينُ، وَعَلَامَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ مَحَبَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ إِنَّهَا الْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ، وَاغْتِنَامُ مَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ بِالْقُرْبَاتِ وَالْبَقَايَاتِ الصَّالِحَاتِ. وَوَصَفَ اللَّهُ أَهْلَهَا بِقَوْلِهِ {وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ} ﴿١١٤﴾ [سورة آل عمران].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

الْمَرْءُ بِحُسْنِ عَمَلِهِ لَا يَطُولُ عُمُرُهُ، وَلَقَدْ عَوَّضَ اللَّهُ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ عَنْ قِصْرِ أَعْمَارِهَا بِبَرَكَاتِ أَعْمَالِهَا، وَمَوَاسِمِ لِلْخَيْرَاتِ يُضَاعَفُ اللَّهُ فِيهَا الْأُجُورُ؛ لِيَزْدَادَ الْمُؤْمِنُونَ رِفْعَةً فِي دَرَجَاتِهِمْ، وَيَسْتَدْرِكَ الْمُقْصِرُونَ مَا فَاتَهُمْ. وَمِنْ تِلْكَ الْأَيَّامِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي أَعْلَى اللَّهُ شَأْنَهَا وَعَظَّمَ أَمْرَهَا أَيَّامُكُمْ هَذِهِ: أَيَّامُ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ. فِيهِ الْحَدِيثُ: «مَا مِنْ عَمَلٍ أَرْكَى عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا أَعْظَمَ أَجْرًا، مِنْ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ فِي عَشْرِ الْأَضْحَى» (٢٢٥)، فَهِيَ خَيْرُ أَيَّامٍ، يُحِبُّ اللَّهُ [?] الْعَمَلَ الصَّالِحَ فِيهِنَّ، «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ». (٢٢٦)

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، أَلَّا فَتَعَرَّضُوا لَهَا، وَأَكْثَرُوا فِيهَا مِنْ أَوْجِهَةِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ، كُلٌّ حَسَبَ قُدْرَتِهِ وَطَاقَتِهِ، وَفَضْلُ اللَّهِ وَاسِعٌ. وَالْمَوْفُقُ مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ وَأَعَانَهُ، فَعَمَرَ عَشْرَهُ بِالطَّاعَاتِ، وَاجْتَنَبَ فِيهَا الْمَعَاصِيَ وَالْمُحَرَّمَاتِ. وَإِذَا أَيْقَنَ الْمَرْءُ أَنَّ الْعُمُرَ قَصِيرٌ، وَالْبَاقِي مِنْهُ يَسِيرٌ، فَلَنْ يُضَيِّعَ نَفْسَ عُمُرِهِ بِغَيْرِ عَمَلٍ صَالِحٍ. وَاللَّيْبُ الْعَاقِلُ يُسَارِعُ وَيُبَادِرُ قَبْلَ الْعَوَائِقِ وَالْعَوَارِضِ؛ فَالصَّحَّةُ يَغْتَرِيهَا الْمَرَضُ، وَالْقُوَّةُ يَغْفُبُهَا الْوَهْنُ، وَالشَّبَابُ يَتْبَعُهُ الْهَرَمُ. قَالَ ﷺ: «اغْتَنِمْ خُمُسًا قَبْلَ خُمُسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ،

٢٢٥) أخرجه الدارمي في سننه، (١٧٧٤) قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح

٢٢٦) أخرجه الترمذي في سننه، (٧٥٧)، وصححه الألباني.

وَصَحَّتْكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» (٢٢٧)، وَهَذِهِ الْخُمْسُ، يَا عِبَادَ اللَّهِ، لَا يُعْرِفُ قَدْرَهَا إِلَّا بَعْدَ زَوَالِهَا، وَمَتَى حِيلَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْعَمَلِ لَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا الْحَسْرَةُ وَالْأَسْفُ عَلَيْهِ، وَيَتَمَتَّى الرَّجُوعُ إِلَى حَالِهِ يَتَمَكَّنُ فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَلَا تَنْفَعُهُ الْأُمِّيَّةُ. «يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». (٢٢٨)

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِيعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَزِيدَ اجْتِهَادَهُ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ، وَيَضْرِبَ بِسَهْمٍ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، وَأَبْوَابِ الْخَيْرِ كَثِيرَةٌ. وَمِمَّا يُحْسِنُ التَّنْبِيَةَ عَلَيْهِ صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ؛ فَقَدْ قَالَ ﷺ: «أُخْتِسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ» (٢٢٩)، فَيَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي صِيَامِهِ، وَأَنْ يَحْتَ أَهْلَ بَيْتِهِ.

وَمِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْمَرْءُ إِلَى رَبِّهِ فِي يَوْمِ النَّحْرِ، الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ أَيَّامِ السَّنَةِ، إِرَاقَةُ الدَّمِ؛ بَأَن يَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِأَطْيَبِ الْأَصْحَايِ وَأَعْلَاهَا ثَمَنًا، وَأَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا: «صَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا، وَسَمَّى وَكَبَّرَ». (٢٣٠)

وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّذَكُّيرُ بِهِ الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا شُرِعَتْ الْأُضْحِيَّةُ، وَهِيَ سُنَّةُ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ، دَرَسُ عَظِيمٍ يَنْبَغِي أَنْ نَعِيَهُ، وَهُوَ دَرَسُ الْإِسْتِسْلَامِ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَالْإِنْقِيَادِ لِشَرْعِهِ، فَلَا تَنْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالْإِسْتِسْلَامِ. أَوْمَرُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْمَنَامِ بَأَن يُذَبِّحَ ابْنَهُ، فَلَمْ يَتَلَكَّأْ، وَلَمْ يَتَرَدَّدْ، وَلَمْ يَتَنَاقَلْ، وَلَمْ يَطْلُبِ الْحِكْمَةَ مِنْ رَبِّهِ، بَلْ أَسْلَمَ أَمْرُهُ لِلَّهِ، وَأَسْلَمَ الْإِبْنُ أَمْرَهُ لِلَّهِ؛ بَيْنَمَا تَوَمَّرَ أُمَّةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ، فَيُجَادِلُونَ نَبِيَّهُمْ: { أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا } [البقرة: ٦٧]، { أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ } [البقرة: ٦٨]. { أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونَهَا } [البقرة: ٦٩]. { فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ } [البقرة: ٧١]. شِعَارُ أُمَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ "سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا"، وَشِعَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّنَا ﷺ أَنْ يَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا:

٢٢٧) أخرجه الحاكم في مستدركه، (٤ / ٣٤١): وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

٢٢٨) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٧٧).

٢٢٩) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٢٦٧٤) تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

٢٣٠) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥٢٣٨).

"سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا". فَيُنَبِّغِي أَنَّ نَعِي هَذَا الدَّرْسَ، وَهُوَ دَرَسُ الْإِسْتِسْلَامِ وَالتَّسْلِيمِ لِشَرَعِ
اللَّهِ، وَالْإِنْقِيَادِ لِأَمْرِهِ، وَأَنَّ نَصْحِي بِكُلِّ مَحْبُوبٍ تُرَاحِمُ مَحَبَّتَهُ مَحَبَّةَ اللَّهِ.

عَامٌ جَدِيدٌ... دَعْوَةٌ لِلْمَحَاسِبَةِ وَالتَّجْدِيدِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا، { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا } ﴿٦٢﴾ {، سُبْحَانَهُ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ { يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ }، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ { وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } ﴿٢٨١﴾ { يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا } ﴿١٧﴾ { السَّمَاءُ مُنْفِطِرَةٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا } ﴿١٨﴾ { .اللَّهُمَّ قِنَا عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَنَحْنُ فِي مُقْتَبِلِ عَامٍ هِجْرِيٍّ جَدِيدٍ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُهْلَهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَأَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ وَيُعْلِي كَلِمَتَهُ، وَيُعِزَّ فِيهِ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ، وَيُدِلَّ فِيهِ الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ فِي قَوَارِعِ الدَّهْرِ لَعِبْرًا، وَإِنَّ فِي حَوَادِثِ الْأَيَّامِ لَمُرْدَجَرًا، فَاعْتَبِرُوا بِمَرِّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَسُرْعَةِ مُرُورِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ، الْفُرَصُ تَفُوتُ، وَالْأَجَلُ مَوْفُوتٌ، وَالْحَيَاةُ أَيَّامٌ مَّحْدُودَةٌ، وَأَنْفَاسٌ مَّغْدُودَةٌ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا، وَمَنْ لَمْ يَغْتَنِمْ عُمْرَهُ نِدَمٌ عِنْدَ بُلُوغِ أَجَلِهِ: { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ } ﴿٩٩﴾ { لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ }، فَعُمْرُكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ رَأْسُ مَالِكَ، وَهُوَ مَرْرَعَتُكَ لِأَخِرَتِكَ، { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ. }

الْوَقْتُ هُوَ رَأْسُ مَالِ الْعَبْدِ الَّذِي يَتَجَرُّ فِيهِ مَعَ اللَّهِ، وَيَطْلُبُ بِهِ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَ الْحَسَنُ: مَا مِنْ يَوْمٍ يَنْشَقُّ فَجْرُهُ إِلَّا وَيُنَادِي: يَا ابْنَ آدَمَ، أَنَا يَوْمٌ جَدِيدٌ، وَعَلَى عَمَلِكَ شَهِيدٌ، فَاعْتَنِمْني فَإِنِّي لَا أَعُودُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ، فَإِذَا ذَهَبَ يَوْمُكَ ذَهَبَ بَعْضُكَ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمِنْ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا مُحَاسِبَةُ أَنْفُسِنَا، قَالَ تَعَالَى: { يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍّ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } ﴿١٨﴾ {، هَذِهِ آيَةُ

أَصْلُ فِي مُحَاسَبَةِ الْعَبْدِ نَفْسَهُ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَفَقَّدَهَا، فَإِنْ رَأَى زَلَلًا تَدَارَكَهُ بِالْإِفْلَاحِ عَنْهُ، وَالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَالْإِعْزَاضِ عَنِ الْأَسْبَابِ الْمُوصِلَةِ إِلَيْهِ، وَإِنْ رَأَى نَفْسَهُ مُقْصَرًا فِي أَمْرٍ مِنْ أَوَامِرِ اللَّهِ بَدَلَ جُهْدَهُ وَاسْتَعَانَ بِرَبِّهِ فِي تَكْمِيلِهِ وَتَثْمِيمِهِ وَانْقَانِهِ، فَإِنَّ الْحِزْمَانَ كُلَّ الْحِزْمَانَ أَنْ يَغْفَلَ الْعَبْدُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَيُشَابِهَ قَوْمًا نَسُوا اللَّهَ وَغَفَلُوا عَنْ ذِكْرِهِ وَالْقِيَامِ بِحَقِّهِ، فَأَنْسَاهُمْ اللَّهُ مَصَالِحَ أَنْفُسِهِمْ، فَصَارَ أَمْرُهُمْ قَرْطًا، وَرَجَعُوا بِخُسْرَانِ الدَّارَيْنِ، {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ}، وَهَلَاكَ النَّفْسُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ إِهْمَالِ مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ، وَمِنْ مُوَافَقَتِهَا وَاتِّبَاعِ هَوَاهَا. الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ - يَغْنِي: حَاسَبَهَا - وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ (٢٣١)، وَإِنَّمَا يَخِيفُ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِيعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ [؟] ذَكَرَ مَوْقِفَيْنِ عَظِيمَيْنِ يَنْدَمُ فِيهِمَا الْإِنْسَانُ عَلَى صَبَاغِ الْوَقْتِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ مَغْبُونًا خَاسِرًا فِي حَيَاتِهِ:

الْمَوْقِفُ الْأَوَّلُ: سَاعَةُ الْإِحْتِضَارِ؛ حِينَمَا يَنْزِلُ الْمَوْتُ بِالْعَبْدِ الْمُفْرَطِ، فَيَقُولُ: {رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} ١٠ {،}، يَتَمَتَّى تَأْخِيرَ الْأَجَلِ، ﴿وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا {وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون: ١١].

الْمَوْقِفُ الثَّانِي: فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ حِينَمَا يَقُولُ الْمُفْرَطُ فِي جَنْبِ اللَّهِ حِينَ يَرَى الْعَذَابَ: {فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الزمر: ٥٨]. قَالَ ابْنُ الْقَيِّم [؟]: "وَقْتُ الْإِنْسَانِ هُوَ عُمْرُهُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَهُوَ مَادَّةُ حَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَهُوَ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَمَا كَانَ مِنْ وَقْتِهِ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ فَهُوَ حَيَاتُهُ وَعُمْرُهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ لَيْسَ مُحْسُوبًا مِنْ

حَيَاتِهِ، وَإِنْ عَاشَ فِيهِ عَيْشَ الْبَهَائِمِ؛ فَإِذَا قَطَعَ وَقْتَهُ فِي الْعَفْلَةِ وَالسَّهْوِ وَالْأَمَانِيِّ
الْبَاطِلَةِ، وَكَانَ خَيْرُ مَا قَطَعَهُ بِهِ النَّوْمُ وَالْبَطَالَةُ، فَمَوْتُ هَذَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ". (٢٣٢)

نِعْمَةُ الْعَيْثِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ بَدَعِ شَهْرِ رَجَبٍ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاسِعِ الْمَجِيدِ، {وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾} [الشورى: ٢٨]، خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا، وَأَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، فَأَنْشَأَ فِيهَا سَحَابًا ثِقَالًا، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاشْكُرُوهُ بِمَا آفَاءَ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّعَمِ وَالْخَيْرَاتِ، وَمَا أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَمْطَارِ وَالْبَرَكَاتِ، وَتَأَمَّلُوا هَذِهِ النِّعَمَ الَّتِي تَتَوَالَى عَلَيْكُمْ، فَكُلَّمَا جَدَّدَ لَكُمْ رَبُّكُمْ نِعْمَةً فَجَدِّدُوا لَهَا حَمْدًا وَشُكْرًا، وَقُومُوا بِحَقِّهَا طَاعَةً لِلَّهِ وَتَنَاءً وَذِكْرًا. اسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمْ فِيمَا أَعْطَاكُمْ، وَأَنْ يُتَابَعَ عَلَيْكُمْ مَنَافِعَ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ؛ فَإِنَّ الشُّكْرَ يَقْبِذُ النِّعَمَ وَيُبَارِكُهَا، وَإِنْ كَفَرَهَا يَمْحَقُهَا وَيُذْهِبُ بَرَكَتَهَا. وَكُلُّ شَيْءٍ مُحَقَّتٌ بَرَكَتُهُ فَإِنْ صَاحِبَهُ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ وَلَوْ كَثُرَ. فَاسْتَشْعِرُوا جَلَالَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، وَاعْرِفُوا قَدْرَهَا، وَقُومُوا بِحَقِّهَا، وَاجْتَهِدُوا فِي شُكْرِهَا. وَالشُّكْرُ فِي جَانِبِ الْعَمَلِ أَعْظَمُ وَأَوْفَى مِنْهُ فِي الْقَوْلِ. قَالَ تَعَالَى: {اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾} [سبأ: ١٣].
وَالشُّكْرُ يَتَعَلَّقُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: بِالْقَلْبِ: لِلْمَعْرِفَةِ وَصِدْقِ الْمَحَبَّةِ. بِاللِّسَانِ: لِلثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ. بِالْجَوَارِحِ: فِي اسْتِعْمَالِهَا فِي طَاعَةِ الْمُنْعِمِ وَكَفِّهَا عَنْ مَعَاصِيهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِذَا نَزَلَ الْغَيْثُ عِلْتَ عَلَى الْوُجُوهِ بِهَجَّتْهَا، وَأَخَذَتِ الْأَرْضُ زِينَتَهَا، وَأَخْرَجَتْ بَرَكَاتَهَا بِإِذْنِ رَبِّهَا، النُّفُوسُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ مُسْتَبْشِرَةٌ، وَالْقُلُوبُ بِفَضْلِهِ مُبْتَهِجَةٌ؛ {فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [الروم: ٤٨]. مِنْ غَيْثِهِ الْمُبَارَكِ، يَشْرَبُونَ، وَمِنْ نَتَاجِهِ يَأْكُلُونَ، وَبِهِ يَنْتَهَرُونَ.

{أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾} [الواقعة: ٦٨-٧٠]، {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ءَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾} [النمل: ٦٠].

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾} [النحل: ١٠-١١].

تَجْرِي بِهِ الْجَدَاوِلُ وَالْأَنْهَارُ، وَتَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْعُيُونُ وَالْآبَارُ، وَتَحْتَزُّهُ الْأَرْضُ
وَالْبِحَارُ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِيرُونَ ﴿١٨﴾ [المؤمنون: ١٨].

سَمَّاهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ رَحْمَةً، {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} [الأعراف: ٥٧]. {فَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ} [الروم: ٥٠]، فَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ بَعَيْنِ الْبَصِيرَةِ
امْتِلَأَ قَلْبُهُ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَتَعْظِيمًا وَاجْلَالًا وَخَشْيَةً لَهُ وَتَسْلِيمًا، وَعَظُمَ يَقِينُهُ وَرَجَاؤُهُ بِرَبِّهِ،
وَلَمْ يَفُتْ مِنْ رَحْمَتِهِ.

أَمَرَ اللَّهُ بِالشُّكْرِ عَلَى نِعَمِ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْغَيْثِ وَمَا يَنْتُجُ عَنْهُ مِنَ الْمَنَافِعِ،
﴿٣٢﴾ {وَأَيُّهَا لَكُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ} ﴿٣٣﴾
وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ
وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس: ٣٣-٣٥].

اللهم اجعلنا شاكرين لنعمه مثنين بها عليك قابليها، وأتمها علينا يا ذا الجلال
والإكرام، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم.
الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:
عَبَادَ اللَّهِ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُذَكِّرُ أَصْحَابَهُ أَهَمِّيَّةَ الْإِتِّبَاعِ وَخَطَرَ الْإِبْتِدَاعِ، فَكَانَ يَقُولُ:
«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ
مُحَدَّثَاتُهَا. وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» (٢٣٣). وَبِالْإِتِّبَاعِ ثَنَاءُ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَحَبَّةِ الرَّسُولِ
ﷺ؛ لِأَنَّ الْمُتَّبِعَ مُعَظَّمٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

يَتَنَاقَلُ كَثِيرٌ مِنَ الضُّلَّالِ وَالْمُبْتَدِعِينَ رِسَائِلَ فِي الْإِخْتِفَاءِ بِشَهْرِ رَجَبٍ، وَإِقَامَةِ صُرُوبٍ
مِّنَ الْإِخْتِفَالَاتِ وَأَنْوَاعٍ مِّنَ الْعِبَادَاتِ لَمْ يَأْذَنْ بِهَا الشَّرْعُ.
وَقَدْ نَصَّ الْعُلَمَاءُ كَشَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ، وَالْإِمَامُ النَّوَوِيُّ، وَابْنُ الْقَيِّمِ، وَابْنُ حَجَرٍ،
وَابْنُ رَجَبٍ عَلَى أَنَّ كُلَّ حَدِيثٍ يُرَوَّى فِي صَوْمِ رَجَبٍ أَوْ الصَّلَاةِ فِيهِ كَذِبٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ
الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ (٢٣٤)، وَعَلَيْهِ فَلَا يِعْتَمِدُ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا.
وَالَّذِي يُلْبِغِي أَنْ يُذَكَّرَ بِهِ: أَنَّ شَهْرَ رَجَبٍ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ، فَيُلْبِغِي مُرَاعَاةَ حُرْمَةِ
هَذِهِ الْأَشْهُرِ لِمَا خَصَّهَا اللَّهُ بِهَا مِنَ الْمَنْزِلَةِ، وَالْحَذَرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ لِمَا
لَهَا مِنَ الْحُرْمَةِ، وَلِأَنَّ الْمَعَاصِيَ تَعْظُمُ بِسَبَبِ شَرَفِ الزَّمَانِ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ. {إِنَّ عِدَّةَ

(٢٣٣) أخرج مسلم في صحيحه، (٨٦٧).

(٢٣٤) ينظر: أقوالهم مجموعة في «موقع الإسلام سؤال وجواب» (٥/ ٣٢٨٨ بترقيم الشاملة آليا).

الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ
حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ { [التوبة: ٣٦].

الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ... طَرِيقُ الْهُدَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَاخْتَصَّ بِفَضْلِهِ مَنْ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، أَمَرَ بِالْعِلْمِ وَرَفَعَ مَنْ شَاءَ مِنْ أَهْلِهِ الْعَامِلِينَ دَرَجَاتٍ: { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [المجادلة: ١١]، فَلَا حَسَنَةَ إِلَّا وَالْعِلْمُ مِفْتَاحُهَا، وَلَا مُحَمَّدَةً إِلَّا وَمِنْهُ يُتَّخَذُ مِصْبَاحُهَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ الْعِلْمِ، وَبِهَا يُنَالُ الْفَهْمُ، وَيَفْتَحُ اللَّهُ بِهَا الْبَصِيرَةَ { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [سورة البقرة].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَنُورُ الْبَصَائِرِ، وَرِيَاضُ الْعُقُولِ، وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ، بِهِ تُعْرِفُ السَّرَائِعُ وَالْأَحْكَامُ، وَيَتَمَيَّزُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، هُوَ سَبِيلُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمِفْتَاحُ عِبَادَتِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَهُوَ النُّورُ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ؛ فَيَسْلُكُ بِهِ صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ، أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَسْأَلَهُ الْمَزِيدَ مِنْهُ { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } ﴿١١٤﴾ { [طه: ١١٤]؛ إِنَّهُ الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ النَّافِعُ الَّذِي يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، وَيُنْتَفَعُ بِهِ رِضَاهُ، الْعِلْمُ الَّذِي يَغْرِسُ فِي الْقَلْبِ حَسَنَةَ اللَّهِ، وَيُثْمِرُ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنْ مَنْ تَأَمَّلَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَذْرَكَ عَظِيمَ مَنَازِلَةِ الْعِلْمِ، وَرَفِيعَ قَدْرِهِ وَشَرَفَ أَهْلِهِ؛ فَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ كَلِمَةِ الْعِلْمِ فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِمِائَةِ مَرَّةٍ بِصِيَغٍ وَتَنْصِيفَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَحَسْبُكَ أَنْ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْوَحْيِ فِي الْإِسْلَامِ كَانَ أَمْرًا بِالْقِرَاءَةِ { أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } ﴿١﴾ { [العلق: ١].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

مَدَحَ اللَّهُ الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ، وَحَثَّ عِبَادَهُ عَلَى الْعِلْمِ وَالزُّرُودِ مِنْهُ، فَلَاشْتِغَالٍ بِالْعِلْمِ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ وَأَجَلِّ الطَّاعَاتِ، وَأَوَّلَى مَا أُتِفِقَتْ فِيهِ نَفَائِسُ الْأَوْقَاتِ، وَبَادَرَ إِلَى الْإِهْتِمَامِ بِهِ الْمُسَارِعُونَ إِلَى الْخَيْرَاتِ، الْعِلْمُ النَّافِعُ يُورِثُ الْيَقِينَ الَّذِي تَزُولُ بِهِ الْوَسَاوِسُ، وَتَنْدَفِعُ بِهِ الشُّبُهَاتُ، وَيَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنِ الْقَلْبِ الشَّهَوَاتِ، الْعِلْمُ هَبَّةٌ إِلَهِيَّةٌ وَمِنْحَةٌ رَبَّانِيَّةٌ، يَمُنُّ اللَّهُ بِهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ: { وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ } وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ { [البقرة: ١٠٥].

الْعِلْمُ عِبَادَ اللَّهِ: هُوَ طَرِيقُ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَمِصْبَاحُ يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى، يُخَلِّدُ اللَّهُ بِهِ ذِكْرَ صَاحِبِهِ بَيْنَ الْوَرَى وَإِنْ كَانَ تَحْتَ التُّرَى، وَلَا يَنْقَطِعُ عَمَلُهُ بِانْقِصَاءِ أَجَلِهِ، الْعِلْمُ وَسِيلَةٌ إِلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَتَعْلُمُ مَا لَا يَسْعُ الْمُسْلِمُ جَهْلُهُ فَرِيضَةٌ ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُا الْأَلْبَابِ﴾ ١٩ ﴿[الرعد: ١٩].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

رَخَرَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ بِأَحَادِيثَ تُعْنِي مِنْ شَأْنِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، قَالَ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» (٢٣٥)، فَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ: أَنْ يَفْتَحَ لَهُ أَبْوَابَ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ، وَ«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» (٢٣٦)، وَكَانَ ﷺ يَدْعُو فِي كُلِّ يَوْمٍ بَعْدَ أَنْ يُسَلِّمَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ بِهَذَا الدُّعَاءِ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا». (٢٣٧)

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ: يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ إِذَا اسْتَشْعَرَ مَكَانَةَ الْعِلْمِ وَمَنْزِلَتَهُ وَقَضَلَ أَهْلَهُ أَنْ يَجْعَلَ لِنَفْسِهِ حِظًّا وَنَصِيبًا مِنْهُ، فَلَا يَفُوتُ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِهِ إِلَّا وَيَتَزَوَّدُ فِيهِ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ وَإِنْ قَلَّ.

وَلِنَعْلَمَ عِبَادَ اللَّهِ: أَنَّ الْعِلْمَ شَجَرَةٌ، وَالْعَمَلُ ثَمَرُهَا، وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يُثْمِرُ عَمَلًا؛ بَلْ هُوَ حُجَّةٌ عَلَى صَاحِبِهِ، وَحَسْرَةٌ مُضَاعَفَةٌ، وَقَدْ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ». (٢٣٨)

فَطَرِيقُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ بِهِ، وَتِلْكَ سَبِيلُ الْمُرْسَلِينَ وَطَرِيقُ الْفَائِزِينَ {رُسُلِهِ} وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا [سورة البقرة: ٢٨٥]، سَمِعُ تَتْلُوهُ طَاعَةً، وَعِلْمُ يَتْلُوهُ عَمَلًا.

(٢٣٥) أخرجه البخاري في صحيحه، (٧١).

(٢٣٦) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٦٩٩).

(٢٣٧) أخرجه ابن ماجه في صحيحه (٩٢٥)، وصححه الألباني.

(٢٣٨) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٧٢٢).

اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَانْقَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا، اللَّهُمَّ يَا مُعَلِّمَ إِبْرَاهِيمَ وَدَاوُودَ
عَلِّمْنَا، وَيَا مُفَهِّمَ سُلَيْمَانَ فَهَّمْنَا، {قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ} ٣٢.

الماء... سر الحياة ومنبعها

الْحَمْدُ لِلَّهِ يُرِي عِبَادَهُ أَثَارَ رَحْمَتِهِ، وَمَظَاهِرَ كَمَالِ قُدْرَتِهِ، لِيَتَّقُوهُ وَيُطِيعُوهُ، وَيَذْكُرُوا آلَاءَهُ، وَيَتَحَدَّثُوا بِنِعَمِهِ، وَيَشْكُرُوهُ، وَيُؤْمِنُوا بِهِ وَيُعَظِّمُوهُ: { ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذْكُرُونَ } [يونس: ٣]: { وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } [النحل: ٥٣]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: { يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ } [الشورى: ٢٨]، وَأَشْهَدُ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ فِيهِ وَصِيَّةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ } [النساء: ١٣١]، اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

عباد الله:

هُوَ سِرُّ الْحَيَاةِ وَمَنْبَعُهَا، وَمِنْ أَعْظَمِ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ وَأَوَّلِهَا، جَعَلَهُ اللَّهُ أَسَاسَ الْحَيَاةِ وَعَنْصَرَهَا، إِذَا نَزَلَ عَلَتِ الْوُجُوهُ بِهَجَّتِهَا، وَأَخْرَجَتْ زَكَاتَهَا بِإِذْنِ رَبِّهَا، حَفَلَ الْقُرْآنُ بِذِكْرِهِ وَثَمَرَاتِهِ، وَعَظِيمُ أَثَرِهِ وَبَرَكَاتِهِ، فِي أَكْثَرِ مِنْ سِتِّينَ مَوْضِعًا مِنْ كِتَابِهِ: { أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ } ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ } [الواقعة: ٦٨-٧٠]، { أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ءَأَلَيْهِ مَعَ اللَّهِ بَلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُلُونَ } ﴿٦٠﴾ [سورة النمل: ٦٠]: { وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ } [الحجر: ٢١].

مِنْ غَيْثِهِ الْمُبَارَكِ يَشْرَبُونَ وَمِنْ نِتَاجِهِ يَأْكُلُونَ، وَبِهِ يَتَطَهَّرُونَ: { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ } ﴿١٠﴾ [النحل: ١٠]. { يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } ﴿١١﴾ [سورة النحل: ١١]، النَّفُوسُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ مُسْتَبْشِرَةٌ، وَالْقُلُوبُ بِفَضْلِهِ مُبْتَهَجَةٌ { فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } [الروم: ٤٨]، تَجْرِي بِهِ الْجَدَاوِلُ وَالْأَنْهَارُ، وَتَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْعُيُونُ وَالْآبَارُ، وَتَخْتَرِنُهُ الْأَرْضُ وَالْبَحَارُ: { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ } [المؤمنون: ١٨]: { هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ } ﴿١٢﴾ { وَيَسْجُجُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَدِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ } ﴿١٣﴾ [الرعد: ١٢-١٣].

عِبَادَ اللَّهِ:

الْمَاءُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْمُوجِبَةِ لِلْإِيمَانِ: { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ } [الأنبياء: ٣٠]، فَمَا أَحْوَجَنَا إِخْوَةَ الْإِيمَانِ إِلَى التَّفَكُّرِ، فَالتَّفَكُّرُ يُوقِعُ صَاحِبَهُ مِنَ الْإِيمَانِ عَلَى مَا لَا يُوقِعُهُ عَلَيْهِ الْعَمَلُ الْمُجَرَّدُ. وَمَا أَكْثَرَ مَا نَدَبْنَا الْقُرْآنُ إِلَى ذَلِكَ لِتَمْتَلِئَ الْقُلُوبُ مَحَبَّةً لِخَالِقِهَا، وَتَعْظِيمًا وَاجْتِلَالًا وَخَشْيَةً وَاسْتِسْلَامًا وَذُلًّا وَخُضُوعًا.

عِبَادَ اللَّهِ: قَيِّدُوا نِعَمَ اللَّهِ بِشُكْرِ اللَّهِ، وَأَحْسِنُوا عِبَادَ اللَّهِ جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا قَلَّ مَا نَفَرَتْ عَنْ أَهْلِ بَيْتٍ فَكَادَتْ تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

حَتَمَ اللَّهُ آيَةً مِنْ آيَاتِ الْعَيْثِ بِقَوْلِهِ فَانْظُرْ إِلَى ءَاثِرِ رَحْمَتِ اللَّهِ { [الروم: ٥٠]، وَالنَّظَرُ هُنَا بَعَيْنُ الْبَصَرِ وَعَيْنُ الْبَصِيرَةِ؛ لِتَمْتَلِئَ الْقُلُوبُ مَحَبَّةً لِرَبِّهَا، وَتَعْظِيمًا لَهُ، وَظَمْعًا فِي عَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَعَدَمِ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ مِنْ رَوْحِهِ، وَالتَّعَرُّضِ لِلْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِرَحْمَتِهِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ لَهَا.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا. رَحِمَكُمُ اللَّهُ. عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا: { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا

عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الشَّتَاءُ... ربيعُ الْمُؤْمِنِينَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ جَعَلَ فِي تَعَاقُبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ذِكْرَى وَعِبْرًا، وَفِي تَقَلُّبِ الْأَزْمَانِ وَالْفُصُولِ آيَاتٍ وَمُذَكِّرًا، وَذَلِيلًا عَلَى أَنَّ لِهَذَا الْكَوْنِ إِلَهًا مُدَبِّرًا: {إِنَّ فِي أَلْجَلْبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ} [يونس: ٦]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} ﴿٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١].

عِبَادَ اللَّهِ:

هُوَ ربيعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَغَنِيمَةُ الْعَابِدِينَ، وَغِبْطَةُ لِعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَبَابُ عَظِيمٍ مِنَ الْإِنْفَاقِ لِلْمُتَصَدِّقِينَ، نَعَمْ زَمَانُ الْمُؤْمِنِ هُوَ: إِنَّهُ الشَّتَاءُ، ربيعُ الْمُؤْمِنِ، طَالَ لَيْلُهُ فَقَامَهُ، وَقَصُرَ نَهَارُهُ فَصَامَهُ.

تَعَلَّمَ الصَّالِحُونَ مِنَ الشَّتَاءِ عِزَّهُ وَعِظَاتِهِ، وَسَارَعُوا فِيهِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ، امْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِمَحَبَّتِهِ فَهُمْ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، لَمْ يَقْعُدْهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ لَفْحُ صَيْفٍ وَلَا بُزْدُ الشَّتَاءِ: {أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} فَلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُا الْأَلْبَابِ} [الزمر: ٩].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

ابْتَلَى اللَّهُ عِبَادَهُ بِأَنْ جَعَلَ أَجْزَاءً مِنْ عُبُودِيَّتِهِ فِيَمَا يَكْرَهُ الْعَبْدُ، لِيُبْرِهِنَ الْعَبْدُ عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِهِ، وَصِحَّةِ يَقِينِهِ، وَكَمَالِ تَسْلِيمِهِ لِرَبِّهِ، وَلَا يُحَقِّقُ الْعَبْدُ تَمَامَ الرِّضَى بِاللَّهِ حَتَّى يُحَقِّقَ الْعُبُودِيَّةَ فِيَمَا يُحِبُّ وَيَكْرَهُ، وَالرَّاضِي إِنَّمَا يَحْمِلُهُ عَلَى اخْتِمَالِ الْمَكَارِهِ وَالْآلَامِ فِي ذَاتِ اللَّهِ مَا يَجِدُهُ مِنْ لَذَّةِ الرِّضَا وَحَلَاوَتِهِ، فَتَكُونُ الْمَشَقَّةُ عِنْدَهُ مَحْبُوبَةً لَا لَذَاتَهَا، وَإِنَّمَا لِعِلْمِهِ بِرِضَا اللَّهِ عَنْهُ بِسَبَبِهَا، وَلِمَا يَرْجُوهُ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَيْهَا.

وَمِنْ مَكَارِهِ الشَّتَاءِ: مُفَارَقَةُ دِفْءِ الْفِرَاشِ، وَقَطْعُ الْاسْتِغْرَاقِ فِي النَّوْمِ وَلَذَاتِهِ لِقِيَامِ اللَّيْلِ أَوْ لَشُهُودِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ فِي الْفَجْرِ، وَفِي الْحَدِيثِ: ((عَجِبَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ نَارَ عَنْ وَطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ حَبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَ لَا يَكْتُمُ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، نَارَ عَنْ وَطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ حَبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ، رَغْبَةً فِيَمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي))، وَفِي رَوَايَةٍ: ((مَا سَأَلَنِي فَهُوَ لَهُ)) (٢٣٩). فَإِذَا اسْتَحْضَرَ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ الْكَرَامَةَ

الْعَظِيمَةَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ هَانَتْ عَلَيْهِ مَكَارِهِ الْوُضُوءِ وَالْإِغْتِسَالِ، وَهَجُرَ النَّوْمُ وَالْفِرَاشُ لِمُنَاجَاةِ اللَّهِ، وَهَانَ عَلَيْهِ الْخُرُوجُ لَصَلَاةِ الْفَجْرِ فِي شِدَّةِ الْبَرْدِ، فَمَا تَلَدَّدَ الْمُتَلَدِّدُونَ بِمِثْلِ الْخَلْوَةِ بِمُنَاجَاةِ اللَّهِ، وَأَهَمُّ فِي لَيْلِهِمْ أَلَدُّ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ وَفِي لَهْوِهِمْ، وَجَدُوا لَدَّةَ الْمُنَاجَاةِ وَنَعِيمَ الْخَلْوَةِ بِاللَّهِ، فَتَجَافَتْ جُوبُهُمْ عَنْ مَصَاجِعِهِمْ، وَفَارَقَ النَّوْمُ أَعْيُنَهُمْ، وَاكْتَفَوْا بِالْخَلْوَةِ بِرَبِّهِمْ عَنْ غَشْيَانِ مَجَالِسِ السَّمْرِ وَاللَّهِ وَالْعَقْلَةِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ: وَاللَّهُ تَعَالَى يُعَظِّمُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوْبَةَ عَلَى تَحْمُلِ الْمَكَارِهِ فِي طَاعَتِهِ، فَمِنْ أَسْبَابِ مَحْوِ الْخَطَايَا وَرَفْعَةِ الدَّرَجَاتِ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ (٢٤٠)، وَشِدَّةُ الْبَرْدِ وَشِدَّةُ الْحَرِّ نَفْسَانِ مِنْ جَهَنَّمَ - أَعَادَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهَا - لِتَذَكُّرِ الْعِبَادِ فِي الدُّنْيَا بِنَارِ الْآخِرَةِ؛ لِيَتَّقُوا مَا يُورِدُهُمْ إِيَّاهَا، وَيَأْخُذُوا بِأَسْبَابِ النِّجَاةِ مِنْهَا. اللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنَ النَّارِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَيَتَّبِعِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَتَذَكَّرَ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَتَذَكَّرُ النِّعَمَ بَاعِثٌ عَلَى شُكْرِهَا وَالْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ فَقَدَهَا، وَمِنْ ذَلِكَ مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ نِعْمَةِ اللَّبَاسِ الَّذِي يَقِيهِ بَرْدَ الشِّتَاءِ: {وَالَّذِينَ خَلَقْنَاكُمْ فِيهَا دِفْءًا وَمَنْفَعًا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} [النحل: ٥]، وَنِعْمَةُ الْبُيُوتِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ سَكَنًا وَرَاحَةً لِأَهْلِهَا: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا} [النحل: ٨٠]، وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَأَوَانَا، وَكَمِ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤَوِّي» (٢٤١)؛ وَمَعْنَى آوَانَا: رَدَّنَا إِلَى سَكْنٍ وَمَأْوَى. فَتَذَكَّرُوا. عِبَادَ اللَّهِ. إِخْوَانًا لَكُمْ سَرَدَتْهُمْ الْقَوَى الظَّالِمَةُ، فَهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ وَأَطْفَالُهُمْ فِي مَلَاجِيٍّ وَمُخَيِّمَاتٍ لَا تَقِيهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَصَقِيعِ الْأَرْضِ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ، فَقَدْ مَسَّتْهُمْ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءُ.

٢٤٠) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٥١).

٢٤١) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٧١٥).

يَوْمُ التَّنَادِي... مَشْهَدٌ مِنْ مَشَاهِدِ الْآخِرَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ جَامِعِ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، أُنْذِرَ عِبَادَهُ بِيَوْمٍ يَعَضُ الظَّالِمُ فِيهِ عَلَى يَدَيْهِ؛ لِيَتَدَكَّرَ الْعِبَادُ يَوْمَ الْجَمْعِ وَالْوُفُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَتَوَبُّوا وَيُنِيبُوا إِلَيْهِ، وَيَسْتَجِيبُوا لِرَبِّهِمْ، وَيَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} ﴿٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١].

عِبَادَ اللَّهِ:

رُكُنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَسِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، أُنْذِرْنَا اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، فَلَا تَكَادُ تَخْلُو مِنْ ذِكْرِهِ، صَفْحَةً مِنْ صَفَحَاتِ نَبَاهِ الْعَظِيمِ، خَافَهُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، وَأَرَقَّ ذِكْرُهُ مَضَاجِعَ {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}، وَالَّذِينَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبِّهِمْ وَاتَّقُوا إِلَهَ رَبِّهِمْ}؛ إِنَّهُ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ} ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدُّودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ [هود: ١٠٣-١٠٥].

عِبَادَ اللَّهِ:

حَفَلَ الْقُرْآنُ بِذِكْرِهِ، وَتَكَثَّرَتْ آيَاتُهُ بِوَعِيدِهِ وَوَعْدِهِ، مَنْ فَاتَحَتْهُ إِلَى خَاتِمَتِهِ فِي أَكْثَرِ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ، بِأَسْمَاءٍ وَصِفَاتٍ يَخْفِقُ لَهَا الْقَلْبُ، وَيَرْجُفُ لَهَا الْفُؤَادُ، أَقْرَأُوا — إِنْ شِئْتُمْ — {وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ فُلٌ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} ﴿٥٣﴾ [يونس: ٥٣] {هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ} ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٣٩﴾ [سورة المرسلات]، {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا} ﴿١٧﴾ {السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ} كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنْ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ [سورة المزملة]، {أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ {لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ} [سورة الأنبياء]، {أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ} ﴿٤﴾ كَلَّا إِنْ كَتَبَ الْفُجَّارُ لِفِي سَجِينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ {سورة المطففين}، {يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ

ذَاتِ حَمَلٍ حَمَلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢٤﴾ [سورة الحج].

عِبَادَ اللَّهِ:

أَيُّ أَثَرٍ عَلَى قَلْبٍ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلَاتِهِ بَايَةَ تَرْسُخٍ فِي قَلْبٍ مَنْ يَتَدَبَّرُهَا بِعَظَمَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَدَوَامِ الشَّفَقَةِ مِنْهُ، وَاسْتِحْضَارِ لِقَاءِ اللَّهِ، وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ {مِلْكِ يَوْمِ الدِّينِ} ﴿٤﴾ {الفاحة: ٤}.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُعَاقَبُ بِهِ الْقَلْبُ أَنْ يَكُونَ غَافِلًا عَنْ دَوَامِ تَذَكُّرِ هَذَا الْيَوْمِ، مُنْهَمِكًا فِي دُنْيَاهُ، غَافِلًا عَنْ آخِرَتِهِ {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِلُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوُكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ تَصَرُّينَ} ﴿٣٤﴾ [الجاثية: ٣٤]، {فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينُكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} ﴿١٤﴾ {سورة السجدة: ١٤}.

اللَّهُمَّ قِنَا عَذَابَكَ يَوْمَ تَعَبَثَ عِبَادُكَ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ الْمُصَدِّقَ بِيَوْمِ الدِّينِ حَقًّا، يَعْمَلُ وَهُوَ نَاطِرٌ لِمِيزَانِ السَّمَاءِ لَا لِمِيزَانِ الْأَرْضِ، لِحِسَابِ الْآخِرَةِ لَا لِحِسَابِ الدُّنْيَا، لَهُ سُلُوكٌ فَرِيدٌ فِي الْحَيَاةِ، تَرَى فِيهِ الْإِسْتِقَامَةَ، وَقُوَّةَ الْإِيمَانِ، وَالثَّبَاتَ فِي الشَّدَائِدِ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْمَصَائِبِ؛ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ، وَالذَّارِ الْآخِرَةِ، مَلَأَ الْخَوْفُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَلْبَهُ فَأَحْرَقَ الشَّهَوَاتِ، وَسَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} ﴿١٥﴾ [الأنعام: ١٥]، {وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ} ﴿٤٦﴾ {سورة الرحمن: ٤٦}.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا — رَجَمَكُمُ اللَّهُ — عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ﴿٥٦﴾ {الأحزاب: ٥٦}.

التَّمْرُ... غِذَاءٌ وَبَرَكَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَبَارَكَ فِيهَا، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَ بِهَا أَشْجَارَهَا، وَأَخْرَجَ مِنْهَا ثَمَارَهَا، وَجَعَلَ لِعِبَادِهِ مَوَاسِمَ تُجْنَى فِيهَا ثِمَارُهَا، {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ} [ق: ٩-١١]، فَلَهُ الْحَمْدُ أَوَّلًا، وَآخِرًا، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:
فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ، وَرَاقِبُوهُ مِرَاقِبَةً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ رَبَّهُ يَسْمَعُهُ وَيَرَاهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هُوَ غِذَاءٌ لِلْأَبْدَانِ، وَقُوَّةٌ مِنْهُ يَأْكُلُ النَّاسُ وَيَدَّخِرُونَ، وَيُطْعَمُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، يُطْعَمُونَ مِنْهُ جَائِعًا، وَيُفْطِرُونَ مِنْهُ صَائِمًا، وَيُتَحَفُّونَ بِهِ رَائِرًا، وَيُيْهَدُونَ مِنْهُ قَرِيبًا أَوْ صَدِيقًا، هُوَ زَادُ الْمُسَافِرِ، وَسُنَّةٌ يَتَسَحَّرُ مِنْهُ وَيُفْطِرُ عَلَيْهِ الصَّائِمُ، إِنَّهُ التَّمْرُ الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ فِي مَوْسِمِ جَنَاهُ، فَلْيَتَذَكَّرِ الْمَرْءُ نِعْمَةَ رَبِّهِ فَيَشْكُرْ مَوْلَاهُ، ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَكِينَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس: ٣٣-٣٥].

عِبَادَ اللَّهِ:

اْمُنِّنَ اللَّهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَتَكَرَّرَ ذِكْرُهُ فِي كِتَابِهِ، فَقَدْ ذُكِرَتْ شَجَرَتُهُ الْمُبَارَكَةُ فِي أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: {وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّزَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَّضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾} [الرعد: ٤].

عِبَادَ اللَّهِ:

اذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَاشْكُرُوهُ وَأَنْتُمْ فِي مَوْسِمٍ تَتَجَدَّدُ فِيهِ نِعَمُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِمَا أَخْرَجَ لَكُمْ مِنْ ثِمَارِ هَذِهِ النَّخِيلِ الَّتِي تُعَمَّرُ بِلَادِكُمْ؛ فَإِنَّ النِّعَمَ إِذَا أَلْفَتْ نُسَيْتَ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ النِّعَمِ، وَيُنْسَوْنَ شُكْرَ الْمُنْعِمِ، {فَكُلُوا بِمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾} [النحل: ١١٤].

وَمِنْ صَوَرِ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ: إِكْرَامُهَا وَعَدَمُ امْتِهَانِهَا، وَحِفْظُهَا عَمَّا يُفْسِدُهَا؛ فَتَعْصُ النَّاسُ لَا يُبَالِي بِتَسَاقُطِ الثَّمَرِ فِي بَيْتِهِ أَوْ فِي مَرْزَعَتِهِ أَوْ فِي سَوْقِهِ، وَمَنْ لَا يَشْكُرُ قَلِيلَ

النَّعْمَةُ لَا يَشْكُرُ كَثِيرَهَا، فَمَنْ وَجَدَ تَمْرَةً سَاقِطَةً فِي الْأَرْضِ فَلْيُكْرِمْهَا بِأَكْلِهَا أَوْ رَفْعِهَا أَوْ التَّصَدُّقِ بِهَا، وَلِزُرِّي أَوْلَادَنَا عَلَى ذَلِكَ.

وَمِنْ صُورِ شُكْرِهَا: إِخْرَاجُ زَكَاتِهَا إِذَا بَلَغَتْ نِصَابَهَا، وَمِقْدَارُهُ ثَلَاثُمِائَةِ صَاعٍ بِمَا يُعَادِلُ سِتِّمِائَةَ كَيْلُو تَقْرِيْبًا، وَقَدْ قَدَّرَ أَهْلُ الْخِبْرَةِ أَنَّ مَنْ مَلَكَ خُمْسَ نَخْلَاتٍ غَزِيْرَةِ الْإِنْتِاجِ فَإِنَّهُ تَجِبُ الزَّكَاةُ فِيهَا، فَلْيَنْتَبِهْ أَصْحَابُ الْإِسْتِرَاحَاتِ، وَإِذَا بَاعَ الْمَالِكُ التَّمْرَ فَإِنَّهُ يُخْرِجُ الزَّكَاةَ مِنْ ثَمَنِهَا.

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيْمَا رَزَقْتَنَا، وَاجْعَلْ مَا رَزَقْتَنَا عَوْنًا لَنَا عَلَى طَاعَتِكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمِكَ، مُتْنِينَ بِهَا عَلَيْكَ، قَابِلَهَا، وَأَتِمِّمْهَا عَلَيْنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمِنْ صُورِ شُكْرِ هَذِهِ النَّعْمِ أَنْ يَجْتَهِدَ الْمُسْلِمُ فِي إِخْرَاجِ الصَّدَقَاتِ غَيْرِ الْوَاجِبَةِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (٢٤٢)، وَقَالَتْ عَائِشَةُ ؓ: «جَاءَنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ» (٢٤٣). وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَذْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيْبُهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرِيْبُ أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ». (٢٤٤)

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ الدَّاكِرِينَ، وَأَنْ يُدْخِلَنَا وَإِيَّاكُمْ بِرَحْمَتِهِ فِي عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ.

٢٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (١٣٥١).

٢٤٣) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٦٣٠).

٢٤٤) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٩٩٣).

الخُسُوف والكُسُوف...رِسَالَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَجَعَلَ فِي السَّمَاءِ سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا، وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ أَنْ يُرْسِلَ الْآيَاتِ إِنْذَارًا لَهُمْ وَتَأْثِيرًا، خَلَقَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ وَجَعَلَهُمَا آيَتَيْنِ مِنْ آيَاتِهِ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا، يُخَوِّفُ اللَّهُ بِآيَاتِهِ عِبَادَهُ؛ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، وَيُنذِرُهُمْ بِأَسْهٍ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ، { وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا } ٥٩، { وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ الْعُدَّةِ لِصِفَةِ الشَّدَّةِ، وَخَيْرُ الرِّزَادِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ، { وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الرِّزَادِ التَّقْوَى } [البقرة: 197]

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

آيَتَانِ عَظِيمَتَانِ، وَبُرْهَانُ كَبِيرَانِ عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ، إِنَّهُمَا بِأَمْرِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ، كَانَ سَبَبًا لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالنُّورِ وَالظُّلَامِ، وَانْتِظَامُ الْحَيَاةِ وَعِمَارَةُ الْأَرْضِ، سَخَّرَهُمَا اللَّهُ لِلْعِبَادِ، وَجَعَلَ فِيهِمَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مَا لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ إِلَّا اللَّهُ، { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [يونس: 5] وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } [الأنبياء: 33]

عِبَادَةُ اللَّهِ:

وَفِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَخْصُلُ كُسُوفُ الشَّمْسِ وَخُسُوفُ الْقَمَرِ تَخْوِيفًا لِلْعِبَادِ وَتَذْكِيرًا حَتَّى يُؤُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَتُوبُوا، وَالتَّخْوِيفُ إِنَّمَا يَكُونُ بِوُجُودِ سَبَبِ الْخَوْفِ، فَعَلِمَ أَنَّ كُسُوفَهُمَا قَدْ يَكُونُ سَبَبًا لِأَمْرِ مَخُوفٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُخَوِّفُ عِبَادَهُ بِآيَاتِهِ، { وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا }، وَالتَّخْوِيفُ بِالْآيَاتِ يَكُونُ بِسَبَبِ تَسَاهُلِ الْعِبَادِ فِي الطَّاعَاتِ، وَانْتِهَاكِ الْحُرْمَاتِ، وَالْمُجَاهَرَةِ بِالْمُنْكَرَاتِ؛ لِيَرْجِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَيَنْتَهُوا عَنْ غَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْتَهِينُ بِهَذَا التَّخْوِيفِ وَالتَّذْكِيرِ إِلَّا أَهْلُ الْعُقْلَةِ وَالْإِعْرَاضِ وَالْإِسْتِكْبَارِ، { وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ }، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ صَدُّهُمْ عَنْ مَنْ يُرِيدُ تَخْوِيفَ النَّاسِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ وَسُخْرِيَّتُهُمْ بِهِمْ { بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ } ١٢ { وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ } ١٣ { وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ } ١٤ { [سورة الصافات].

عِبَادَ اللَّهِ:

أَعْلَمَ الْخَلْقِ بِاللَّهِ وَبِآيَاتِهِ الْكُونِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ هُوَ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَمَّا كَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِهِ فَرَعَ فَرَعًا شَدِيدًا، قَالَ أَبُو مُوسَى [؟]: «خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَامَ فَرَعًا يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ، فَقَامَ يُصَلِّي بِأُطُولِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ، مَا رَأَيْتُهُ يَفْعَلُهُ فِي صَلَاةٍ قَطُّ»، (٢٤٥) وَفِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: «فَأُطَالَ الْقِيَامَ حَتَّى جَعَلُوا يَخْرُونَ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، نَحْوًا مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ...» الْحَدِيثُ (٢٤٦)، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْكُرُوا اللَّهَ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَافْرَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَافْرَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ»، ثُمَّ قَالَ: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا». (٢٤٧)

هَذَا هُوَ حَالُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَا هِيَ حَالُنَا؟ اللَّهُمَّ أَصْلِحْ قُلُوبَنَا، وَأَيِّقْظَنَا مِنْ غَفْلَتِنَا، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

حَرِيٌّ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ أَنْ يَغْتَبِرُوا بِنُذْرِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، فَمَا وَقُوعُ الْكُسُوفِ وَالْخُسُوفِ إِلَّا إِندَارٌ بَعْدَ ابْتِغَاءِ سَبَابِهِ، فَالْوَاجِبُ عِنْدَ الْكُسُوفِ أَوْ الْخُسُوفِ أَنْ يَهْرَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَأَنْ يَكْثُرُوا مِنَ الْاسْتِغْفَارِ وَالصَّدَقَةِ وَالذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ حَتَّى يَنْجَلِيَ مَا بِهِمْ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْرَأَ الْأَحْدَاثَ الْكُونِيَّةَ مِنْ رِوَايَةِ شَرْعِيَّةٍ، قَالَ قَتَادَةُ: "إِنَّ اللَّهَ يُخَوِّفُ النَّاسَ بِمَا يَشَاءُ مِنْ آيَاتِهِ لَعَلَّهُمْ يَعْتَذِرُونَ وَيَذْكُرُونَ وَيَرْجِعُونَ" (٢٤٨)، وَهَذِهِ صِفَةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا ذُكِّرُوا تَذَكَّرُوا، وَإِذَا أُعْظُوا اتَّعَظُوا، وَالْآيَاتُ لَا تُؤَثِّرُ فِيمَنْ أَغْفَلَ اللَّهُ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِهِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا، { وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا }

[الإسراء: 60]

(٢٤٥) أخرجه مسلم في صحيحه، (٩١٢).

(٢٤٦) أخرجه مالك في موطأه، (١/٢٣٧).

(٢٤٧) أخرجه البخاري في صحيحه، (٩٩٩).

(٢٤٨) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، (١٦/٣٦٧).

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا. رَحِمَكُمُ اللَّهُ. عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ
جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}
[الأحزاب: ٥٦].

الْمَسَاجِدُ... بُيُوتُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَسَاجِدَ أَحَبَّ الْبِقَاعِ إِلَيْهِ، وَأَوْدَعَ فِيهَا نُورًا لِلْقُلُوبِ، وَغَذَّاءً لِلْأَرْوَاحِ، لِمَنْ أَحَبَّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ، وَيُعْظَمَهُ، وَيُنَاجِيَهُ، وَيَتَذَلَّلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَوَفَّقَ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ قَدَّمَ رِضَاهُ عَلَى مَا تُحِبُّهُ نَفْسُهُ وَتَهْوَاهُ، وَأَصْلَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ - يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ - وَيجعل لكم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ - وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد: ٢٨].

عِبَادَ اللَّهِ:

هِيَ أَحَبُّ الْبِقَاعِ إِلَيْهِ، يُحِبُّهَا أَهْلُهَا، وَتَتَعَلَّقُ بِهَا قُلُوبُ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، وَتَطْمَئِنُّ فِيهَا نَفُوسُ الْخَاشِعِينَ، وَتَتَشَوَّقُ إِلَيْهَا قُلُوبُ مَنْ صَدَقَتْ مَحَبَّتُهُمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، تَجْتَمِعُ فِيهَا الْقُلُوبُ، وَتَتَأَلَّفُ فِيهَا الْأَرْوَاحُ، أَعَدَّ اللَّهُ نُزُلًا فِي الْجَنَّةِ لِمَنْ غَدَا إِلَيْهَا أَوْ رَاحَ، مَنْ تَعَلَّقَ بِهَا قَلْبُهُ كَانَ فِي ظِلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، وَمَنْ عَمَرَهَا بِطَاعَتِهِ فَهُوَ مِمَّنْ يُشْهَدُ لَهُ بِالْإِيمَانِ، تَتَنَاقَلُ عَنْهَا أَقْدَامُ الْمُعْرِضِينَ وَالْغَافِلِينَ، وَيَهْجُرُهَا الَّذِينَ اسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينُ، فَأَظْلَمَتْ قُلُوبُهُمْ، وَحُرِّمُوا هَذَا النُّورَ الَّذِي جَعَلَهُ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. إِنَّهَا الْمَسَاجِدُ يَا عِبَادَ اللَّهِ، تَشْكُو وَتَبْكُ مِنْ قِلَّةِ الْمُصَلِّينَ: ﴿٣٥﴾ { فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ } ﴿٣٧﴾ { لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَبَيِّذَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ } وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ } وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ [النور: ٣٦-٣٩].

الْمَسَاجِدُ يَا عِبَادَ اللَّهِ بُيُوتُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَمَوَاطِنُ عِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَذِكْرِهِ، هِيَ مِفْتَاحُ الرَّحْمَاتِ، وَمَوْضِعُ تَنْزِيلِ الْعَطَايَا وَالْهَبَاتِ، تَجْتَمِعُ فِيهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتُظْهِرُ فِيهَا شَعَائِرَ الدِّينِ، أَضَافَهَا اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا، وَأَعَدَّ لِمَنْ عَمَرَهَا بِطَاعَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا، وَشَهِدَ اللَّهُ لِعُمَّارِهَا بِالْإِيمَانِ: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} [التوبة: ١٨]. مَنْ عَمَرَهَا فَقَدْ عَمَرَ طَرِيقَ آخِرَتِهِ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ التَّوْفِيقِ أَنْ يَكُونَ قَلْبُ الْعَبْدِ مُعَلِّقًا بِالْمَسْجِدِ، قَالَ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ... وَذَكَرَ مِنْهُمْ: «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي

الْمَسَاجِدِ» (٢٤٩)، وَمَعْنَاهُ شَدِيدُ الْحُبِّ لَهَا، وَالْمَلَازِمَةُ لِلْجَمَاعَةِ فِيهَا، كَأَنَّمَا قَلْبُهُ فِي الْمَسْجِدِ، فَهُوَ يُحِبُّ الْمَسْجِدَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ فِيهِ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْهُ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ، وَهَذَا لَا يَحْصُلُ إِلَّا لِمَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ، وَقَادَهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَأَنْقَادَتْ لَهُ، فَلَا يَقْصُرُ نَفْسُهُ عَلَى مَحَبَّةِ بَقَاعِ الْعِبَادَةِ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَوَاهُ، وَقَدَّمَ مَحَبَّةَ مَوْلَاهُ عَلَى مَا تُحِبُّهُ نَفْسُهُ وَتَهَوَّاهُ، وَهَذَا ثَمَرَةُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ أَحَبَّهُ، وَأَحَبَّ مَا يُحِبُّهُ. وَقَدْ حَفَلَتِ السُّنَّةُ بِأَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ فِي فَضَائِلِ عُمَارِ الْمَسَاجِدِ وَالْأَجُورِ الْعَظِيمَةِ، نَسَّالُ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَعْمُرُونَ مَسَاجِدَ اللَّهِ وَتَتَعَلَّقُ بِهَا قُلُوبُهُمْ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسَاجِدِ شَعِيرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ، وَقَدْ هَمَّ النَّبِيُّ ﷺ بِإِخْرَاقِ بُيُوتِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا، وَعَدَّ تَرْكَهَا مِنْ صِفَاتِ الْمُتَأَفِّقِينَ، ((وَلَمْ يَأْذَنْ لِرَجُلٍ أَعْمَى، قَدْ كَبُرَ سِنُّهُ، وَبَعُدَتْ دَارُهُ، وَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَقُودُهُ، أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهَا)). (٢٥١)

وَالْتَهَاؤُنْ عَنْ أَدَائِهَا فِي الْمَسَاجِدِ عَلَامَةٌ خِذْلَانٍ، وَقَسْوَةٍ قَلْبٍ، وَضَعْفٍ فِي الْإِيمَانِ، وَغَفْلَةٍ وَتَفْرِيطٍ، وَلَا يَزَالُ أَقْوَامٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخَّرَهُمُ اللَّهُ.

فَلْيُخَذَرْ الْمُتَكَاسِلُ الَّذِي يُلَوِّي عُنُقَهُ، وَيَصُمُّ أُذُنَهُ عَنْ سَمَاعِ النَّدَاءِ، وَيَتَعَامَى عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى بُيُوتِ اللَّهِ، أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ ذَمَّهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

وَقَالَ رَسُولُ الْهُدَى ﷺ: «وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا». (٢٥٢)

هَذَا وَصَلُوا وَسَلَّمُوا. رَحِمَكُمُ اللَّهُ. عَلَى مَنْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}

[الأحزاب: ٥٦].

٢٤٩ () أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٢٩).

٢٥٠ () أخرجه مسلم في صحيحه، (٦٥١).

٢٥١ () أخرجه مسلم في صحيحه، (٦٥٣).

٢٥٢ () أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٢٦).

الْمَالُ فِي مِيزَانِ الشَّرِيعَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّزَّاقِ ذِي الْقُوَّةِ الْمَتِينِ، رَزَقَ الْعِبَادَ وَجَعَلَهُمْ فِي الْمَالِ مُسْتَخْلَفِينَ، وَعَنْهُ فِي الْآخِرَةِ مُحَاسِبِينَ، {وَنَضْعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: ٤٧]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَحْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ} [لقمان: ٣٣].

عباد الله:

هُوَ قِوَامُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتُهَا وَبَهْجَتُهَا وَزِينَتُهَا، جُبِلَتْ النُّفُوسُ عَلَى حُبِّهِ، وَالتَّنَافُسُ فِي جَمْعِهِ هُوَ زِينَةُ وَجَمَالٌ، وَبِهِ يَكْفُ الْمَرْءُ وَجْهَهُ عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ، وَبِهِ يَصِلُ رَحِمُهُ وَيُعْطِي مِنْهُ حَقَّهُ، جَعَلَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ اخْتِبَارًا وَابْتِلَاءً. مِنْ أَيْنَ يَكْتَسِبُونَهُ وَفِيمَا يُنْفِقُونَهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ» (٢٥٣)، يُمْتَحَنُ بِهِ الصَّابِرُ وَيُخْتَبَرُ بِهِ الشَّاكِرُ، فَمَنْ أَصَابَ الْمَالَ مِنْ حِلِّهِ وَأَدَّى حَقَّ اللَّهِ فِيهِ فَدَلَّكَ الَّذِي يُبَارِكُ لَهُ فِيهِ، فَهُوَ نِعْمَةٌ إِذَا أَحْسَنَ التَّصَرُّفَ فِيهِ كَسِبًا وَإِنْفَاقًا، فَإِنْ لَمْ يُحْسِنِ التَّصَرُّفَ فِيهِ كَانَ الْمَالُ فِتْنَةً وَبَلَاءً {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [التغابن: ١٥]، وَلَمْ يَدَمْ الْإِسْلَامُ الْمَالُ إِلَّا إِذَا جَعَلَهُ الْمَرْءُ غَايَةً مَسْعَاهُ، وَعَنِ الْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ أَلْهَاهُ، أَوْ مَنَعَ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ. وَالْعَبْدُ كُلَّمَا زَادَ رِزْقُهُ زَادَ لِلَّهِ شُكْرُهُ: بِلِسَانِهِ حَمْدًا وَتَنَاءً، وَبِمَالِهِ مَنَحًا وَعَطَاءً. وَيَدُ الْإِنْسَانِ فِي الْمَالِ يَدٌ وَدِيعَةٌ، {ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} [الحديد: ٧].

عباد الله:

لَيْسَتْ الْعِبْرَةُ بِكَثْرَةِ الْمَالِ وَلَا بِقِلَّتِهِ، وَإِنَّمَا بِحُسْنِ إِدَارَتِهِ، فَلَا كَثِيرَ مَعَ التَّبْذِيرِ، وَلَا قَلِيلَ مَعَ حُسْنِ التَّذْبِيرِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَثَرِ: «مَا عَالَ مَنْ افْتَصَدَ» (٢٥٤)، وَالْإِفْتِصَادُ نِصْفُ

(٢٥٣) أخرجه الدارمي في سننه (٥٣٧).

(٢٥٤) أخرجه أحمد في مسنده، (٤٢٦٩).

المعيشة، وحُسْنُ التَّذْيِيرِ مِفْتَاحُ الرُّشْدِ وَبَابُ السَّلَامَةِ. وَفِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: «وَأَسْأَلُكَ الْقُصْدَ فِي الْغَيِّ». (٢٥٥)

عباد الله:

لَيْسَ مَالُ الْمَرْءِ مَا جَمَعَهُ لِيَفْقَسَمَهُ وَوَرِثَتُهُ مِنْ بَعْدِهِ، بَلْ حَقِيقَةُ مَالِ الْمَرْءِ هُوَ مَا قَدَّمَهُ لِنَفْسِهِ ذَخْرًا، يَجِدُهُ عِنْدَ رَبِّهِ. قَالَ ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ». (٢٥٦)

الْمَالُ يُعْلِي مَرْزَلَةَ صَاحِبِهِ عِنْدَ اللَّهِ وَيُبْلِغُهُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى إِذَا أَنْفَقَهُ فِي سُبُلِ الْخَيْرِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ» (٢٥٧). وَالْمُؤَوَّقُ يَا عِبَادَ اللَّهِ، الَّذِي إِنْ أَنْقَضَتْ أَنْفَاسُهُ لَمْ تَتَوَقَّفْ حَسَنَاتُهُ، وَإِذَا وَارَاهُ التُّرَابُ بَقِيَ أَثَرُهُ وَجَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عباد الله:

وَمِنْ أَشَدِّ مَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْمَالِ الْحَرَامِ: التَّعَدِّي عَلَى الْمَالِ الْعَامِّ، فَالْمَالُ الْعَامُّ حُرْمَتُهُ كَبِيرَةٌ وَحِمَايَتُهُ عَظِيمَةٌ، وَهُوَ أَشَدُّ فِي حُرْمَتِهِ مِنَ الْمَالِ الْخَاصِّ، لِأَنَّ الْمَالَ الْعَامَّ تَتَعَلَّقُ بِهِ دُمُومُ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ. وَقَدْ حَدَرْنَا دِينَنَا مِنَ الْأَخْذِ وَالِاخْتِلَاسِ مِنْ هَذِهِ الْمُمْتَلَكَاتِ الْعَامَّةِ أَوْ التَّعَدِّي عَلَيْهَا أَوْ الِاسْتِفَادَةَ مِنْهَا بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ.

قَالَ ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢٥٨). وَقَالَ ﷺ: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ» (٢٥٩)، وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: مَنْ جَعَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ وَأَعْطَيْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ مَالًا فَلَا يَجِلُّ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئًا بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِنْ أَخَذَ فَهُوَ غُلُولٌ {وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلَّ مِثْلَ بَابٍ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [آل عمران: ١٦١]. وَلَا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالًا حَرَامًا فَيَتَصَدَّقَ مِنْهُ فَيُقْبَلَ مِنْهُ، وَلَا يُنْفِقَ مِنْهُ فَيُبَارَكَ لَهُ فِيهِ، وَلَا يَتْرُكُهُ خَلْفَ

٢٥٥) أخرجه النسائي في سننه، (١٣٠٥)، وصححه الألباني.

٢٥٦) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٠٧٧).

٢٥٧) أخرجه البخاري في صحيحه، (٨٠٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، (٥٩٥).

٢٥٨) أخرجه البخاري في صحيحه، (٢٩٥٠).

٢٥٩) أخرجه أبو داود في سننه (٢٩٤٣)، وصححه الألباني.

ظَهَرَهُ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ. وَكَمْ مِنْ مَالٍ كَانَ وَقُودًا لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُكْوَى بِهِ جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّهُ لَا يَزُبُّ لَحْمٌ نَبَتَ مِنَ السُّحْتِ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ» (٢٦٠).
فَطَيِّبُوا مَكَا سِبْكُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ، وَاتَّقُوا الشُّبُهَاتِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ.

الْوَقْفُ نَهْرٌ جَارٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَحَ لِعِبَادِهِ أَبْوَابَ الْخَيْرَاتِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى اغْتِنَامِ حَيَاتِهِمْ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، وَجَعَلَ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ مَا يُكْتَبُ لَهُمْ أَجْرُهَا فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَا بَعْدُ:

{يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: ١٨].

عِبَادَ اللَّهِ:

بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، وَنَهْرٌ جَارٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ يَتَدَفَّقُ عَلَى صَاحِبِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ، وَذَكَرَ حَسَنٌ لَهُ بَعْدَ ائْتِرَاسِ رَسْمِهِ؛ فَصَاحِبُهُ حَيٌّ وَإِنْ نُقِلَ إِلَى مَنَازِلِ الْأَمْوَاتِ، تَنْقُطِعُ بِوَفَاةِ الْمَرْءِ أَعْمَالُهُ، وَتَتَوَقَّفُ حَسَنَاتُهُ، وَيَبْقَى لَهُ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالْأَجُورِ مَا لَا يُخْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ؛ إِنَّهُ الْوَقْفُ يَا عِبَادَ اللَّهِ.

قَالَ ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ» وَذَكَرَ مِنْهَا: «صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ». (٢٦١)

لَمَّا كَانَ الْمَوْتُ سَبَبًا لِانْقِطَاعِ الْأَعْمَالِ، حَثَّ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَلَى الْأَخْذِ بِطُرُقِ اسْتِمْرَارِ الْأَعْمَالِ الْخَيْرَةِ إِلَى مَا بَعْدَ الْمَوْتِ حَتَّى تَسْتَمِرَّ الْأَجُورُ، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْفُ.

عِبَادَ اللَّهِ:

يَتَسَاءَلُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْبَذْلِ وَالْإِحْسَانِ عَنْ أَفْضَلِ الصَّدَقَاتِ وَأَعْظَمِهَا أَجْرًا وَأَكْثَرَهَا نَفْعًا وَأَدْوَمَهَا أَثَرًا؛ وَهَذَا هُوَ السُّؤَالُ الَّذِي سَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ [?] النَّبِيَّ ﷺ، فَأَرْشَدَهُ إِلَى الْوَقْفِ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا» (٢٦٢)، فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ -أَيَّ وَقَفَهَا- وَسَبَّلَ غَلَّتْهَا.

قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ [?]: «مَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ذُو مَقْدِرَةٍ إِلَّا وَقَفَ». فَيَا مَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَوَسَّعَ رِزْقَهُ، إِنَّهُ لِمَنْ الْجَزْمَانِ أَنْ يَكُونَ مَا شَقِيتَ بِجَمْعِهِ فِي حَيَاتِكَ لَا أَثَرَ لَهُ فِي سَعَادَتِكَ وَنَجَاتِكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ، فَكَانَ لِوَارِثِكَ غُنْمُهُ وَعَلَيْكَ غُرْمُهُ. وَاعْلَمْ أَخِي أَنَّهُ لَنْ يَنْفَعَ الْمَرْءَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا يَنْفَعُ الْمَرْءَ نَفْسَهُ؛ فَكَمْ رَأَيْنَا مِنَ الْأَثْرِيَاءِ رَحَلُوا

(٢٦١) أخرجه الترمذي في سننه، (١٣٧٦)، وصححه الألباني.

(٢٦٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (٢٥٨٦).

وَلَمْ يُوصُوا أَوْ يُوقَفُوا فَتَنَسِيَهُمْ أَبْنَاؤُهُمْ، وَقِيلَ لَهُمْ: تَصَدَّقُوا عَنْ أَبِيكُمْ، فَقَالُوا: لَوْ كَانَ يُرِيدُ لَقَدَّمَ فِي حَيَاتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَسْنَا بِأَحْرَصَ عَلَى الْخَيْرِ مِنْ أَبِيئِنَّا. إِنَّ الْمَيِّتَ الَّذِي أَوْقَفَ جُزْءًا مِنْ أَمْوَالِهِ لَا يَزَالُ غَنِيًّا، وَقَدْ نَقَلَ مَعَهُ جُزْءًا مِنْ مَالِهِ لِآخِرَتِهِ، وَمَلَكَ هَذَا الْمَالَ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ، لَا يَبَاعُ وَلَا يُوَهَّبُ وَلَا يَوْرَثُ؛ فَاغْتَنِمِ الْفُرْصَةَ يَا عَبْدَ اللَّهِ، فَأَوْقِفْ مِنْ مَالِكَ قَبْلَ أَنْ يَزُولَ عَنْكَ إِلَى مَنْ بَعْدَكَ، فَلَعَلَّ وَارِثَكَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ فَيَكُونَ أَسْعَدَ بِهِ مِنْكَ.

وَاحْذَرُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ التَّسْوِيفَ؛ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ [٢]: «كَمْ جَاءَ إِلَيْكَ الثَّوَابُ فَوَقَفْتَ بِالْبَابِ، فَزَدَهُ بَوَابٌ (سَوْف) وَ(لَعَلَّ) وَ(عَسَى)»، وَ{ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ }.

عِبَادَ اللَّهِ:

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: وَشَرُّ طَرَفِ صِحَّةٍ وَفِيهِ أَنْ يَكُونَ قُرْبَةً. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: "لَا أَعْرِفُ الْوَقْفَ إِلَّا مَا أُرِيدُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ" (٢٦٣)؛ وَلِذَا يُنْصَحُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُوقِفَ أَنْ يَكُونَ وَقْفُهُ عَلَى مَصَارِفِ الْبِرِّ؛ فَإِنَّ الْوَقْفَ عَلَى الذَّرِّيَّةِ مَعَ غِنَاهُمْ لَيْسَ بِرَاءٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَوْرِيثٌ، وَلِذَا فَالْأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ خَيْرِيًّا، وَيُنَصَّ الْوَاقِفُ أَنْ مِنْ مَصَارِفِ الْوَقْفِ مَنْ كَانَ مُحْتَاجًا مِنْ أَهْلِ الزَّكَاةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ. اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمَسَارِعِينَ إِلَى الطَّاعَاتِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ حِفْظِ الْوَقْفِ وَنُمُوهِ وَاسْتِمْرَارِيَّتِهِ وَسَلَامَتِهِ مِنَ الْأَيْدِي الْعَابِثَةِ، وَتَحْقِيقِ شُرُوطِ الْوَاقِفِ فِيهِ: إِثْبَاتُهُ وَتَوْثِيقُهُ وَإِتْقَانُ وَثِيقَةِ الْوَقْفِ، وَذَلِكَ بِاسْتِشَارَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْخِبْرَةِ وَالِاخْتِصَاصِ.

وَيُسْتَحَبُّ لِلوَاقِفِ أَنْ يَخْتَارَ لَوْقْفِهِ الطَّيِّبَ الْعَالِيَّ وَالنَّفِيسَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَأَنْ يُرَاعِيَ فِي اخْتِيَارِ النُّظَارِ مَنْ يَتَّصِفُ بِالْأَمَانَةِ وَالْعَدَالَةِ وَالْكَفَايَةِ وَالصَّلَاحِ؛ فَإِنَّ صَلَاحَ الْوَقْفِ مَرْهُونٌ بِصَلَاحِ النَّاضِرِ وَتَقْوَاهُ وَإِتْقَانِهِ.

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْجِدَّةِ فَيُمْكِنُهُ أَنْ يُوقِفَ وَلَوْ بِالْقَلِيلِ، فَمَا لَا يُدْرِكُ كُلَّهُ لَا يُتْرَكُ جُلُهُ، وَقَلِيلٌ مِنَ الْبِرِّ خَيْرٌ مِنَ الْجِزْمَانِ، فَبِإِمْكَانِ الْمَرْءِ أَنْ يَضْرِبَ بِسَهْمٍ وَفِي قَدَرِ اسْتِطَاعَتِهِ «وَرَبِ دِرْهَمٍ سَبَقَ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ» (٢٦٤).

٢٦٣ () الجامع لعلوم الإمام أحمد - الفقه، (١٠ / ٣١٤).

٢٦٤ () أخرجه النسائي في السنن الكبرى، (٢٣١٨).

الفهرس

مُقَدِّمَة

٣

٣

٦

٩

١٢

١٥

١٨

٢١

٢٤

٢٧

٣١

٣٤

٣٧

٤٠

٤٤

٤٨

٥٢

٥٥

٥٨

٦١

٦٤

٦٧

٧٠

٧٣

٧٦

٧٩

١. الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ... نُورُ الْهَدَايَةِ وَمَنْهَجُ الْحَيَاةِ.

٢. تَعْظِيمُ الْقُرْآنِ ... سَبِيلُ الْإِتِّفَاعِ بِهِ

٣. اللَّهُ... الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ

٤. اللَّهُ الْوَلِيُّ... أَمَانُ الْمُؤْمِنِينَ وَنَاصِرُ الْمُتَّقِينَ

٥. الْعِلْمُ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ... أَشْرَفُ الْعُلُومِ

٦. الثِّقَةُ بِاللَّهِ رَأْدُ الْقُلُوبِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ

٧. تَعْظِيمُ اللَّهِ ... رُوحُ الْعِبَادَةِ وَبَهَاؤُهَا

٨. "مَحَبَّةُ اللَّهِ" طَرِيقُ الطَّاعَةِ.

٩. الْقَلْبُ وَوَسَائِلُ إِصْلَاحِهِ

١٠. أَثَرُ الدُّعَاءِ فِي صَلَاحِ الْقَلْبِ

١١. وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ... نُوحِيدُ الْإِسْتِعَانَةَ

١٢. إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ... دُعَاءُ الْعُمَرِ

١٣. التَّوْفِيقُ... أَسْبَابُهُ وَمَوَانِعُهُ

١٤. «التَّفَاوُلُ» وَفُودُ الْعَمَلِ وَالنَّجَاحِ

١٥. مَقَامُ الشُّكْرِ... مَظَاهِيرُ وَوَسَائِلُهُ

١٦. الْإِسْتِغْفَارُ... ذَابُ الْمُؤْمِنِينَ وَسَبِيلُ الصَّالِحِينَ

١٧. التَّسْبِيحُ ذِكْرُ اللِّسَانِ وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ

١٨. "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" ... سُرُّ الْقُوَّةِ وَالثَّبَاتِ

١٩. الدُّعَاءُ... بَيْنَ فَضْلِ الْعِبَادَةِ وَخَطَرِ الْمَوَانِعِ

٢٠. الصَّلَاةُ... عَمُودُ الدِّينِ وَعُنْوَانُ النَّجَاحِ

٢١. صَلَاةُ الْفَجْرِ... بَدَايَةُ النُّورِ وَتَرْكُهُ الْيَوْمِ

٢٢. الْبَرَكَةُ الْإِلَهِيَّةُ: آثَارُهَا وَأَسْبَابُهَا

٢٣. أَمْنُ الْأَوْطَانِ هِبَةُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ

٢٤. مَنْزِلَةُ عِبَادَةِ حُسْنِ الْخُلُقِ فِي الْإِسْلَامِ

٢٥. حُسْنُ الْخُلُقِ: سَبِيلُ الرِّفْعَةِ وَكَمَالِ الْإِيمَانِ

٢٦. بَذَلُ الْمَعْرُوفِ... طَرِيقُ الْبَرَكَةِ ٨٢
٢٧. الْأَلْفَةُ... رُوحُ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ ٨٥
٢٨. جَبَرُ الْخَوَاطِرِ... عِبَادَةُ خَفِيَّةٍ ٨٩
٢٩. الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ... جِسْرُ الْقُلُوبِ ٩٢
٣٠. الْقَنَاعَةُ... سِرُّ السَّعَادَةِ ٩٥
٣١. إِفْشَاءُ السَّلَامِ... مِفْتَاحُ الْمَحَبَّةِ ٩٨
٣٢. الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ... حَقٌّ وَاجِبٌ ١٠١
٣٣. حُسْنُ الْجَوَارِ... خُلُقُ الْكِرَامِ ١٠٤
٣٤. مَالَاتُ هَمِّ الدُّنْيَا وَهَمُّ الْآخِرَةِ ١٠٧
٣٥. التَّنَبُّتُ فِي الْأُمُورِ... صَيَانَةُ لِمَرْءٍ مِنَ الرُّلَلِ ١١٠
٣٦. اهْتِمَامُ الْإِسْلَامِ بِظَهَارَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَمَاكِينِ وَالْأَبْدَانِ ١١٣
٣٧. الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ وَعَاقِبَتُهُ الْهَلَاكُ ١١٦
٣٨. الْحَسَدُ... ذَاءُ الْقُلُوبِ، أَسْبَابُهُ وَعِلَاجُهُ ١٢٠
٣٩. تَحْذِيرُ النَّبَلَاءِ مِنْ خَطُورَةِ الشُّخْنَاءِ ١٢٣
٤٠. الْغَيْبَةُ... سُمْ الْمَجَالِسِ ١٢٦
٤١. النَّظَرُ الْمُحَرَّمُ... مِفْتَاحُ الشَّهَوَاتِ ١٢٩
٤٢. الْغَفْلَةُ... طَرِيقُ الْهَلَاكِ ١٣٢
٤٣. الْحِقَاقُ... سَبَبُ الْقَطِيعَةِ وَقَسَادِ الْقُلُوبِ ١٣٥
٤٤. الطَّمَعُ... مَرَضُ النُّفُوسِ وَسَبَبُ الْهَوَانِ ١٣٨
٤٥. الْفِرَاقُ... نِعْمَةٌ وَحَسْرَةٌ ١٤١
٤٦. آفَةُ السَّهْرِ وَأَثَارُهَا عَلَى الدِّينِ وَالْدُّنْيَا ١٤٤
٤٧. عَدَاوَةُ الشَّيْطَانِ وَمَكَايِدُهُ فِي إِغْوَاءِ الْإِنْسَانِ ١٤٧
٤٨. الْفِتْنُ... أَسْبَابُ الْوُقُوعِ فِيهَا وَالتَّجَاةُ مِنْهَا ١٥٠
٤٩. يَوْمُ الْجُمُعَةِ... عِيدُ الْأُسْبُوعِ ١٥٣
٥٠. التَّيَكِيرُ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ... دَلِيلُ التَّعْظِيمِ ١٥٦
٥١. شعبان... شهر التَّهْنِئَةِ وَرَفْعِ الْأَعْمَالِ ١٥٩
٥٢. رمضان... بَشَارَةُ الْمُتَّقِينَ وَزَادَ الصَّادِقِينَ ١٦٢
٥٣. شَهْرُ رَمَضَانَ... مَوْسِمُ الرَّحْمَةِ وَالْعُفْرَانِ ١٦٥

- ١٦٨ . ٥٤ . اسْتَقْبَالَ رَمَضَانَ... فَفُتِّهُ وَاسْتَعْدَادًا
- ١٧١ . ٥٥ . انْتِصَفَ رَمَضَانَ، وَعَظِيمُ أَجْرِ الْمُتَّقِينَ
- ١٧٤ . ٥٦ . اغْتِنَامُ مَوَاسِمِ الْخَيْرَاتِ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ
- ١٧٧ . ٥٧ . غَامٌ جَدِيدٌ... دَعْوَةٌ لِلْمُحَاسَبَةِ وَالتَّجْدِيدِ
- ١٨٠ . ٥٨ . نِعْمَةُ الْعَيْثِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ بَدَعِ شَهْرِ رَجَبٍ
- ١٨٤ . ٥٩ . الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ... طَرِيقُ الْهُدَى
- ١٨٧ . ٦٠ . الْمَاءُ... سِرُّ الْحَيَاةِ وَمَنْبَعُهَا
- ١٩٠ . ٦١ . الشِّتَاءُ... رَبِيعُ الْمُؤْمِنِينَ
- ١٩٣ . ٦٢ . يَوْمُ التَّنَادِي... مَشْهَدٌ مِنْ مَشَاهِدِ الْآخِرَةِ
- ١٩٦ . ٦٣ . التَّمَرُ... غِذَاءٌ وَبَرَكَةٌ
- ١٩٩ . ٦٤ . الْخُسُوفُ وَالْكَسُوفُ... رِسَالَةٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ
- ٢٠٢ . ٦٥ . الْمَسَاجِدُ... يُبَيِّنُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ
- ٢٠٥ . ٦٦ . الْمَالُ فِي مِيزَانِ الشَّرِيعَةِ
- ٢٠٨ . ٦٧ . الْوَقْفُ نَهْرٌ جَارٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ
- ٢١١